مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

التاريخيات

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم

نظير عبود

توزيع

دار الجيل

هنري الرابع

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

التاريخيات

(٨)

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

يحتوي هذا المجلّد على

هنري الرابع

الجزء الأول

أشخاص المسرحية

الملك هنري الرابع.

هنري : أمير وايْلْس الأمير جون لنكاسْتر	إبنا الملك
هنري برْسي كونْت نورْثمْبرْلنْد هنري برْسي الملقّب بـ هاتْسْبر توماس برْسي كونْت ورْشسْتر أُوين كلانْداور، رئيس من وايلس أرْشيبالْد كونْت دوكْلاس ادْموند مورْتيمور كونْت مارْش إسْكْروب رئيس اساقفة يورك	حلفاء يناوئون الملك
سرْ رتْشرْد فرْنون سرْ والْتر بلونْت كونْت ويسْتْمورلنْد سرْ جون فالْسْتاف	أنصار الملك

بُوينْزْ

كاذْشْهيل بيتو بارْدولْف	رفاق فالْسْتاف

السيدة برسي: زوجة هاتْسْبر وأخت مورْتيمور.
السيدة مورتيمور : ابنة كلانْداور وزوجة مورْتيمور.
السيدة كويكْلي : مضيفة حانة إيست شيب

لوردات، وضبّاط، ورجل أمن، وصاحب حانة، وسائس، وغلمان نزْل، وسائقا عربة، ومسافرون، وخدم.

تجري الأحداث في انكلترا

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري وويستمورلند وسرْ والْتر بلونْت وغيرهما من رجال الحاشية).

الملك هنري: لندع السلام المرتعش الشاحب اللون من شدة القلق يتنفّس لحظة، وبسرعة يسترجع أنفساه، بانتظار المعارك الجديدة التي ستبدأ قريباً على شواطئنا البعيدة. من الآن وصاعداً لن تضيق بنا هذه الأرض المضطربة التي استنزفت في ربوعنا دماء أولادها. لأن الحرب لن تحفر أخاديد وخنادق في سهولنا المنبسطة ولن تدوس أزهارها بعد الآن جزمات أعدائنا وأفواج خيولهم أثناء هجماتهم الوحشية على ديارنا. هذه الجيوش المعادية التي تنقضّ علينا كالشهب من سماء غاضبة، كلها مصنوعة من طينة واحدة ومركّبة من المادة عينها، وقد اشتركت سابقاً في اشتباكات داخلية ونزاعات أدّتْ بهم الى مجازر بين الأخوة. لكنهم اتّحدوا منذ ذلك الحين وتنسّقوا في صفوف متراصّة للهجوم جميعاً

علينا بضراوة. وقد كفّ بينهم الأصدقاء عن معارضة أصدقائهم، والأهل عن مشاكسة أهلهم، والحلفاء عن محاربة حلفائهم. ولم تعد نصال الحرب تجرح سادتها نظير خنجر لم يُحسن ردّه الى غمده. فأصبح الآن لزاماً علينا، أيها الأصحاب، أن نهبّ يداً واحدة، كأننا نذهب الى قبر فادينا جنوداً منضوين تحت لواء رايتنا المقدسة، ونصمّم على تدعيم قيادة محاربينا الانكليز. وقد تشابكت أيديهم منذ كانت في بطون أمّهاتهم لطرد الوثنيين من السهول المباركة التي وطأتها قدما الاله المتأنّس منذ أربعة عشر قرناً حين سُمّر صاحبهما على خشبة العار الأليمة. لكن، ها قد مضى عام على هذا المشروع فأضحى لا غنى لنا عن تنفيذه. وقد اجتمعنا الآن هنا لا للمناقشة بل... على كل حال، أرجوك، يا ابن عمي ويستمورلند أن تفيدني عما قرّره بالأمس مجلسنا لاستعجال القيام بهذه الحملة العزيزة على قلوبنا.

ويستمورلند : يا مليكي المفدّى، كانت المناقشة حامية متخبّطة، وعدد كبير من قرارات صرْف الاعتمادات مجمّدة مساء البارحة، عندما وصل رسول من مقاطعة وايْلس وزوّدنا بأخبار خطيرة. أسوأها ان النبيل مورتيمور الذي يقود رجال هيرْفورْد شايرْ كالمعتاد لمطاردة الوحش كلانْداورْ قد أسره أخيراً هذا البطل الشهير في مقاطعة وايْلس. لأن ألْفاً من الرجال قد قُتلوا وبدت على جثثهم المثخنة جراحاً عميقة آثار تشويهات مشينة ارتكبها الوايْلسيّون لا سبيل لاعادة ذكرها أو سرد تفاصيلها بدون أن تحمرّ وجوهنا خجلاً منها.

الملك هنري: وعلى ما يظهر، أخّر هذا النبأ المزعج مجمل استعداداتنا للذهاب الى الأرض المقدسة.

ويستمورلند : أجل، هذا خبر يضاف الى سواه من الأنباء المختلفة، يا مولاي الكريم. اذ وردتنا معلومات أخرى من الشمال فيها الحسن وفيها السيّئ. واليك ما جاء فيها : يوم عيدنا العظيم، تقابل، في هولْمْدن، هاتْسبْر الجريء والفتى هاري برسي وارشيبالْد ألْباس، هذا الاسكتلندي الذي برهن على مهارة فائقة. فجرت ذاك النهار أحداث دامية لا يستهان بها، كما استنتجنا من التراشق بالمدافع، على ذمّة الراوي الذي امتطى صهوة جواده ليأتينا بالنبأ أثناء احتدام المعركة قبل أن تتبيّن نتيجتها النهائية.

الملك هنري: ها هوذا صديقنا المخلص والتْر بلونْت يترجّل عن حصانه، والأوحال التي كسته من هولمدن الى هنا، لا تزال عالقة بهندامه. وقد أتانا بأحلى الأخبار وأبهجها، اذ تفيد ان كونت دوكلاس يهيم على وجهه وان عشرة آلاف مقاتل اسكتلندي من الشجعان واثنين وعشرين فارساً، جميعهم يسبحون في دمائهم، قد قتلهم والتر في سهول هولْمْدن. وأنّ هاتْسْبر قد أسر مورتيمور وكونْت فايْف وهو بكر المغلوب دوكلاس، وكذلك كونت آثول وكونْت موري وكونت أنْكوس وكونْت منْثات. أوليس هذا انتصار باهر مجيد وصيد ثمين من الأعداء المناوئين، يا ابن عمي العزيز؟

ويستمورلند : لعمري، هذا ظفر عظيم يفاخر به كل أمير نبيل.

الملك هنري: أجل، لكن هذه الفكرة أحزنتني. لأني بتّ أحسد

مولاي نورثمبرلند على كونه والد مثل هذا الابن الفذّ الذي استقطب مديح الجميع بنبل شهامته وبسالته. وقد برز كزهرة نادرة وبطل محبوب ومفخرة قلّ نظيرها. بينما انا ظللت شاهداً على أمجاده أبصر الخساسات والدناءات كوصمة عار على جبين الفتى هاري. آه، كم أتمنّى لو أنّ باستطاعتي أن أثبت أن هناك جنُيّة جوّالة أثناء الليل قد استبدلت ولدينا وهما في أقمطتهما، ودعتْ ابني برسي وابنه بلانتاجيني. وهكذا كان نصيبي انا ابنه هاري ونصيبه هو ابني انا. لكن، دعنا من التفكير الآن بهذا... كيف تجد، يا ابن عمي العزيز، وقاحة الفتى برسي، ان الأسرى الذين باغتهم وجمعهم في هذه المغامرة الموفّقة، كما يقول، سيُبقيهم تحت سيطرته، ويعلمني اني لن استولي الّا على واحد منهم فقط، هو مرداك كونتْ فايْف.

ويستمورلند : وذلك بناءً على نصيحة عمّه ورْسسْتر الذي ضايق الجميع في كل المناسبات، ولم يتورّع عن التشامخ ورفع عقيرته حتّى في وجه جلالتك.

الملك هنري: غير اني استدعيته لأردّه الى جادّة الصواب. ولهذا السبب اراني مضطراً الى تجميد مشاريعنا المباركة المتعلّقة بالقدس. يا ابن عمي، سأجمع مجلسي يوم الأربعاء القادم في قصر وندْسور. فأرجوك أن تُعلم اللوردات بهذا القرار، وأن تعود عاجلاً لتظلّ بجواري. لأن كل ما سأقوله وأفعله لا يتيح لي غضبي أن أذيعه وأفسّره.

ويستمورلند : أمرك مطاع، يا مليكي الكريم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في نزل

(يدخل هنري أمير مقاطعة وايْلس، وفالستاف).

فالستاف : في أية ساعة من النهار نحن الآن، يا هال.

الأمير هنري : أراك قد شربت كثيراً من الخمرة حتى أنك فككت أزرار قميصك وغفوت على مقعد الحديقة بعد الظهر ونسيت ما كنت تريد أن تعرفه. ليت ابليس يدلك على الساعة التي بلغناها في هذا النهار. إلّا اذا كانت الساعات لديك توازي عدد الكؤوس التي رشفتها، والدقائق كمّية الديوك المشوية التي التهمتها، ورقّاص الساعة أنامل القوّادات التي داعبتها، وميناؤها شعار بيوت الدعارة التي ارْتَدْتها والشمس الساطعة بنْت الهوى المتسربلة بحلّتها الحمراء النارية التي احتضنتها. لست أدري لماذا تطرح سؤالك النافل عن الوقت الحاضر في هذا النهار بالذات؟

فالستاف : بالفعل، يا هال، أنت تفهم أفكاري الثاقبة. لأننا نحن الذين نعرف كيف نستفيد من الفرص ومن الغنائم نضبط وقتنا على جولة القمر وعلى الأجرام السماوية السبعة التي تشكل مجموعة الدبّ الأكبر وليس على حركات الاله فابوس الفارس التائه. أرجوك أيها الساخر الظريف، عندما تصبح ملكاً... حفظك الله، يا صاحب السموّ... بل يا صاحب الجلالة المقبل، لأنك بالحري لا تدرك معنى السموّ.

الأمير هنري : كيف تقول لي هذا؟ الأمر ليس صحيحاً.

فالستاف : لا، لعمري. ليس فيك من السموّ ما يسمح لك حتى بمباشرة تناول بيضة مقلية بقليل من الزبدة.

الأمير هنري : حسناً. وماذا بعد ذلك؟ أفصحْ عما تقصد قوله؟

فالستاف : اذاً، أيها الساحر الظريف، عندما تصبح ملكاً، لن تسمح لنا نحن حرّاسك أثناء الليل، بأن ندعى لصوص وضْحِ النهار. لأننا نفضّل أن نُسمّى حرّاس غابات الإلهة ديانا، وجهاء الظلال وظرفاء ضوء القمر، وأن نُعتبر رجالاً نُحسن السلوك بفضل سيّدنا ومولانا البدر الذي تحت إشرافه نحن... نسرق.

الأمير هنري : الحق معك، وما تتفوّه به هو عين الصواب، لأن لثروتنا نحن جماعة ضوء القمر، كما للبحر، مدّها وجزْرها ما دمنا نظير أمواج البحر يتحكّم القمر بنا أيضاً. وهاك الدليل الساطع والبرهان القاطع : ان كيس الذهب الذي نسلبه مساء يوم الأثنين، سرعان ما نكون قد أنفقاه بكامله صباح يوم الثلاثاء، وقد حصلنا عليه بلمح البصر عندما صرخنا بالناس، هيا اعطونا فوراً كل ما بحوزتكم. فنبدّده ونحن نصيح : هات كؤوس الخمرة، أيها الساقي. وهكذا، تارةً ينحسر الموج الى مستوى أرجلنا، وطوراً يصعد الى مستوى منصّة المشنقة.

فالستاف : والله، أنت لا تنطق إلا بالحق، يا بنيّ. أولم تلاحظ أن مضيفتي في الحانة فتاة رائعة.

الأمير هنري : بل هي أحلى من عسل النحل، يا غلام الفندق. أولا تليق بي هذه السترة المصنوعة من جلد الثور وأنا أرتديها كنخبة الذوات؟

فالستاف : تبًّا لك، أيها الساحر اللاذع. ما هذه التلميحات

والعقصات؟ ولماذا تهمّني سترتك المصنوعة من جلد الثور؟

الأمير هنري : بل لماذا تهمّني انا مضيفتك القابعة في الحانة التي زرتها؟

فالستاف : لقد ناديتها أنت مراراً وتكراراً لتجري معها حسابك الطويل.

الأمير هنري : وهل ناديتك انا لكي تدفع حصتك منه؟

فالستاف : لا، أبداً. وأنا أشكرك على كرمك لأنك دفعت كامل المتوجّب.

الأمير هنري : أجل، هنا وهناك، حسب ما تسمح لي نقودي. وعندما أكون خالي الجيب، ألجأ الى تسجيلها كدَيْن على حسابي الخاص.

فالستاف : نعم، لأنك معروف كوارث اكيد... لكن قل لي، أيها الساحر اللطيف، هل ستظل المشانق منصوبة في انكلترا عندما ستصبح ملكاً؟ وهل سيظل الحق مهملاً كما هو اليوم، يتغاضى عنه عدل القانون الذي لم يعد له في الحقيقة من هيبة أو نفوذ؟ أرجوك عندما تصبح ملكاً أن لا تلاحق اللصوص بنوع خاص وتسجنهم.

الأمير هنري : كلاّ، اطمئنّ، فأنت الذي ستلاحقهم.

فالستاف : أنا؟ لا، لا. هذه لعمري مسؤولية ظريفة جداً، إذْ سأكون قاضياً نادر الوجود غريب الأطوار.

الأمير هنري : ها أنت منذ الآن تحكم خلافاً لما تشاء. أريد أن أقول انك ستدين اللصوص وتحكم عليهم بالأعدام

شنقاً. وهكذا تصبح جلّاداً لا مثيل له.

فالستاف : ليكن ما تريد، يا هال. فهذا، الى حدٍّ ما، يناسب ذوقي كما لو أني أصبحت من الحرس داخل قصرك الملكي، إن أمكنني القول.

الأمير هنري : فتمسي هكذا موظفاً مرموقاً واسع النفوذ.

فالستاف : طبعاً سأصبح موظفاً وسأهتم بهندامي... لأن الجلّاد الذي ستعيّنه أي أنا، لا أملك الكثير من الثياب، وأراني كئيباً نظير هرّ مسنّ أو دبّ مربوط.

الأمير هنري : أو كنمر عجوز أو كعود عشاق مختل الأوتار.

فالستاف : بل كملطّف صوت موسيقى القِرَب في جوقة « لينكولن شاير ».

الأمير هنري : ولماذا لا تتشبّه بأُرنب برّي أو بمستنقع آسن المياه في منطقة مورديشن.

فالستاف : ما أفظع تشابيهك. في الحقيقة، أنت أمهر مبتكر وأرذل أمير شابّ وسيم الطلعة... لكن، يا هال، أرجوك أن لا تلصق بي سخافات جديدة. وان شاء الله، ستتعلّم مثلي من أين تغرف النقود التي تنفقها بدون حساب. هناك لورد هَرِم من المجلس أنّبني ذات يوم بسببك. ولكني لم آبه لثرثرته. مع أنه تكلّم بحكمة فائقة، إلّا أني لم استمع اليه وقد تكلّم، كما قلت لك سابقاً، بمنتهى الحكمة وفي وسط الشارع.

الأمير هنري : حسناً فعلت، لأن الحكمة تستصرخ الضمائر عادة في الشوارع ولا أحد يصغي اليها.

فالستاف : ما هذا الكلام الجارح؟ في الحقيقة، أنت قادر على افساد قدّيس. وما أكثر ما سببت لي من المشاكل. سامحك الله. قبل أن أعرفك، يا هال، لم اكن أدرك شيئاً. والآن اذا وجب عليّ قول الحقيقة المجرّدة، أنا لست أسوأ من أي خاطئ غيري. ولكن، لا بد لي من أن أغيّر سلوكي هذا، وسأبدّله حتماً. وإن لم أفعل أُصبح رذيلاً، لكني لن أدع أولاد الملوك المتدنّيين يلعنونني.

الأمير هنري : أين سنسرق كيس نقود غداً، يا جاك؟

فالستاف : حيث ترغب، يا صاح. واذا شئت، حين لا ألبّي الطلب، أُدعُني ساذجاً غبيًّا واهزأ بي على هواك.

الأمير هنري : حسناً. ألاحظ انك بتّ تحرجني. إذ انك صرت تنتقل من الصلاة الى سلب اكياس النقود بكل سهولة.

(يدخل بوينْز ويقف على مسافة منهما).

فالستاف : يا الهي، هذه مهنتي، يا هال. ولا تُحسب على الرجل خطيئة طالما هو يتعاطى اختصاصه، يا بوينْز. ستعرف اذا كانت في رأس كادسهيل فكرة ما. واذا كان هذا الرجل لا ينوبه سوى ما يستحق، أعني حفرة مشتعلة في جهنم، ستكون حتماً من نصيبه قريباً. ويكون هذا أقدر صعلوك صرخ في حياته : قف أيها الجبان وأفرغ جيوبك في يديّ.

الأمير هنري : نهارك سعيد، يا صاح.

بوينز : نهارك سعيد، يا هال... ماذا يقول ضميرك الحيّ؟ وماذا يقول شارب الخمرة الحلوة، يا جاك؟ كيف

تتدبّر امورك؟ كيف حالك مع الشيطان الذي يحوم حول نفسك التي سلّمته اياها بأرخص الأثمان أثناء آخر يوم جمعة عظيمة لقاء كأس من خمرة مديرا وفخذ دجاج بارد؟

الأمير هنري : إعلم ان سرْ جون سَيَفي بما وعدنا به، ولسوف يقبض الشيطان حصّته من الغنيمة. (يشير الى فالستاف). هذا لم يناقض أبداً ما يسري بين الناس من الأمثال المعروفة، وسيدفع لابليس ما يحقّ له لقاء مساعيه.

بوينز : ها قد لبستُك اللعنة، لأنك وفيت بما ودعت أنت به الشيطان.

الأمير هنري : وإلّا سيدينك القاضي، لأنك خدعت الشيطان.

بوينز : آه، يا أولادي تذكروا ان لقاءنا سيتمّ غداً باكراً جداً أي حوالى الساعة الرابعة صباحاً في منطقة كادْشهيل. سيذهب بعض الحجّاج الى كنتربري ومعهم تقدمات ثمينة، وسيمضي بعض التجار الى لندن وأكياس نقودهم غاصّة بقطع العملة. وأنا لديّ أقنعة تكفي لستر وجوهكم، وأنتم لديكم جيادكم. سينام المدعو كادْشهيل هذه الليلة في إيست شيب. وسنقوم نحن بعملنا بدون عناء كما لو كنا راقدين في أسرّتنا. فاذا شئتم ان تأتوا، سأملأ أكياسكم ذهباً رنّاناً. وإلّا، فالأفضل لكم أن تلازموا بيوتكم، وما عليكم إلّا أن تلوموا أنفسكم على حرمانكم من هذه المغانم.

فالستاف :.إسمع، يا ادوارد، اذا بقيت أنت هنا ولم تذهب الى المكان المعيّن، أتمنى لك الشنْق لعدم موافاتك ايّانا.

بوينز : هل ستأتون كلكم، أيها الشجعان؟

فالستاف : أتريد أن ترافقنا، يا هال؟

الأمير هنري : من؟ أنا؟ أراكم تريدون مني أن أسرق أنا أيضاً، وأن أصبح قاطع طُرُقٍ مثلكم؟ كلاّ ثم كلاّ، وألف كلاّ.

فالستاف : هنا لا مكان للشرف ولا للاستقامة حتى ولا للصحبة المتينة، لا سيما وأنت تنتمي الى الأسرة المالكة الحاكمة. فاذا لم تكن لديك الشجاعة لخوض الحملة معنا كيف ستخوض المعركة لأجل الحصول على العرش؟

الأمير هنري : حسناً، سأغامر مرة واحدة في حياتي، وارتكب هذه الحماقة التي تدفعونني اليها.

فالستاف : هذا كلام ظريف مسموع.

الأمير هنري : وليتمّ ما هو مقدّر لي. على كل حال، سأبقى في منزلي.

فالستاف : وأنا سأخالفك قبل أن تصبح ملكاً.

الأمير هنري : هذا الأمر لا يهمّني مطلقاً.

بوينز : أرجوك، يا سرْ جون، ان تتركنا انا والأمير وحدنا، لكي أقدّم له حججاً وبراهين كافية تجعله يقبل بالاشتراك معنا في هذه المغامرة كما دعاها.

فالستاف : أتمنى لك أن تمتلك كل وسائل الاقناع اللازمة، وأتمنى له أن تكون أذنه صاغية لسماعك. كما أرجو أن تكون أقوالك مؤثّرة وأن ينصت اليك ويرضى بحديثك الى حدّ أن تدعه هو الأمير الأصيل يمسي لصاً مزيّفاً. فالانحرافات تتطلب في هذه الأيام دعماً قويًّا لترو ج. الوداع. سنلتقي في إيْست شيب.

الأمير هنري : الوداع، أيها الربيع المتأخّر. الوداع، أيه العيد المشؤوم.

(يخرج فالستاف).

بوينز : هيا، يا صاح، يا أمير الأصدقاء، إمتطِ صهوة جوادك، وكن غداً برفقتنا. سأقوم بمهمّة لا أستطيع أن أنفذها وحدي. فيا فالستاف وباردولف وبيتو وكادْسْهيل، عليكم أن تنتزعوا عنوةً ما يحمله الأشخاص الذين تداهمونهم. فلا أنا، ولا أنتم، سنظلّ هنا. لكن، حالما تستولون على الغنائم، اذا لم نتوصّل نحن الى انتزاعها منهم، ما عليكم إلّا أن تطيحوا برأسي من فوق كتفيّ.

الأمير هنري : ولكن كيف نفترق عنهم أثناء الطريق؟

بوينز : سنسلك الطريق قبلهم أو بعدهم بقليل، ونحدّد لهم موعداً لن نتقيّد به طبعاً، ونفاجئهم هكذا، وسينوؤون تحت ضربتنا لا محالة.

الأمير هنري : نعم، ولكن لا يُستبعد أن يعرفونا من جيادنا ومن ملابسنا أو من أي دليل آخر رأوه سابقاً.

بوينز : أما جيادنا فلن يبصروها لأني سأربطها بأشجار الغابة، فنعود اليها حالما نغادرهم، ونرفع أقنعتنا عن وجوهنا. أخيراً، لديّ قفاطين طويلة نخفي تحتها ألْبستنا العادية.

الأمير هنري : غير اني مع ذلك أخشى أن يهتدوا الى حقيقتنا ويتغلّبوا علينا.

بوينز : ما هذا الكلام؟ انا أعرف رجلين هما من أكثر الخائفين لم يديرا أبداً ظهرهم لأحد. أمّا الثالث، فاذا قاتل مدة أطول من المعتاد، فأنا مستعد من جهتي أن أهجر مهنة حمل السلاح. وفحوى هذه المهزلة السخيفة أن تتواصل هذه الأكاذيب الهزيلة التي سيغدقها علينا

هذا الدجّال المحتال عندما نجتمع معاً لتناول طعام العشاء، بعد أن يكون قد نازل حوالى ثلاثين مسلّحاً على أقلّ تقدير. ولست أدري أي عرض عضلات ولا أية جزمات ولا أية نهاية سيواجه سيادته. انما الفضيحة الأخيرة ستنكشف حتماً عند ختام المهزلة.

الأمير هنري : حسناً. سأرافقك، فجهّز كل ما يلزم، وسألحق بك هذا المساء الى إيسْت شيب حيث أتناول طعام العشاء. الوداع.

بوينز : الوداع، يا مولاي.

الأمير هنري (على حدة) : أنا أعرفكم جميعاً وأودّ أن أساير بعض الوقت مزاجكم أثناء عدم انشغالكم بأي عمل يلهيكم. وبذلك أريد أن أتشبّه بالشمس التي تسمح للغيوم الفارغة بأن تحجب جمال كوكب النهار هذا كي تتيح للناس النظر اليها بمزيد من الاعجاب عندما يفتقدونها، فتبرز لهم وتبدّد الضباب الكثيف الذي يواريها ويخفي نورها الوهّاج. لو كانت الأعياد على عدد أيام السنة لما ترقّبها الجميع بشوق ليرتاحوا من عناء الشغل. لكن، بما أنها تأتي في أحيان متباعدة، يتمنّون مجيئها على الدوام. لأن لا شيء يعجب أكثر من الأحداث النادرة الوقوع في هذه الدنيا. وهكذا عندما أنبذ حياة الفوضى هذه، وأفي الديون التي أستلفها، فبقدر ما أؤجّل تسديدها يزداد تلهّف الدائنين عليها. ونظير معدن يلمع في مكان مظلم، يتسنّى لارتدادي الذي ينعكس بريقه على أخطائي ويجتذب مزيداً من الأنظار إليّ أكثر من أية فضيلة لا يُبرز

جمالها ما يناقضها من الرذائل كافةً. أقاوم وقوعي في الخطأ، ولكنني أرغب أيضاً أن تنقلب كبوتي الى نهوض باهر، لأعوِّض عن ماضيّ الذي يترقّب محيطي تحسّنه الآن أقلّ من أية مناسبة مرّت بهم.

(يخرج).

المشهد الثاني

في القصر الملكي

(يدخل الملك هنري ونورثمبرلند وورسستر، وهاتسبر وسرْ والتر بلونْت وغيرهم)

الملك هنري: لقد كان دمي أبرد وأهدأ من المعتاد حتى أثّر بي هذا المقدار من الكرامة المهدورة. لقد خبرتم هذه الناحية حتماً وها أنتم تمعنون في الاستفادة من صبري الطويل. لكن كونوا على يقين باني سأستلهم سموّ مقامي وأكون قويًّا وحازماً، لا بداعي أخلاقي المائعة كالزيت، واللّيّنة كريش النعام، بل لأني بالنتيجة خسرت احترام مقامي الذي لا يوليه أصحاب النفوس الكبيرة تقديراً يليق بمستواه الرفيع.

ورسستر : اسرتنا، يا مولاي، لم تستحقّ هيبة السلطة التي ساهمت سواعدنا في فرضها كما يجب.

نورثمبرلند : مولاي...

الملك هنري: انصرف، يا ورسستر، لأني أرى التهديد والتمرّد يبرقان في عينيك. وها هو موقفك الجسور يدل على تشدّدك. وأنا كملك لا يسعني أن أسكت عن تطاول أحد

رعاياي. فلك ملء الحرية للغياب الآن عن نظري. وعندما سأحتاج الى خدماتك ونصائحك سأرسل في طلبك. (يخرج ورسستر). (لنورثمبرلند) كنت على وشك أن تتكلم، فماذا تريد أن تقول؟

نورثمبرلند : أجل، يا مولاي الكريم. الأسرى المحتجزون في هولْمْدن لم يُرفض تسليمهم مطلقاً بطريقة مقصودة، كما قيل لجلالتك. لذا يجمل أن ينسب هذا الامتناع الى سوء التفاهم أو سوء القصد ربما، لا الى تعنّت إبني.

هاتسبر : يا مليكي، أنا لم أرفض تسليم الأسرى. غير أني أتذكر عندما انتهت المعركة، اني كنت منهوك القوى فريسة الاستياء، ومن شدّة إعيائي أستند الى سيفي، فجاءني أحد اللوردات وهو أنيق المظهر رشيق الحركة كأنه مخطوب ظريف، حليق اللحية رائع الهندام تظنّه آت الى مأدبة ملوكية. وكان معطّراً كمبتكرة أزياء. وبين اصابعه يمسك بعلبة عطوس صغيرة فوّاحة الرائحة كان يدنيها من أنفه من حين الى آخر ثم يعيدها الى جيبه، وهو يترنّح أخيراً بمزاج غريب... وكان يتحدّث ويبتسم باستمرار. وحين يمرّ الجنود حاملين جثث الموتى، كان ينعتهم بالوقاحة والانحطاط، لأنهم تجاسروا على جلب جثة مشوّهة نتنة تعبق رائحتها الكريهة جوّ سيادته. وكأنه يغازل حسناء، طرح عليّ عدة أسئلة وطلب مني تسليمه الأسرى باسم جلالتك. لكن جراحي عندما بردت في تلك الأثناء أخذت تؤلمني بشكل غير محمول، واذ ضايقني هذا الماجن

وأخرجني عن تجلّدي، وجّهت اليه كلاماً قارساً تلقّاه بامتعاض، لأني كنت فعلاً في أشد الانزعاج من عطره وحديثه ولهجته المتخنّثة ومن جلبة المدافع- والطبول وآلام الجراح مجتمعةً. سامحني الله. وقد قال لي هذا الدخيل ان الدواء الناجع لشفاء الرضوض الداخلية هو مرهم نادر الوجود يستخرج من قلب الأرض المسالمة ممزوجاً بملح البارود اللعين الذي أتلف أعضاء عدد كبير من رجالي الشجعان الظرفاء. وأضاف هذا المتفلسف أنه لولا دويّ هذه المدافع الهدّامة لكان هو أيضاً انخرط في سلك الجندية. وعلى أثر هذا الحديث التافه المضني، يا مولاي، أجبته بغموض كما سبق وقلت لجلالتك. لذا أستحلفك راجياً أن لا تدع تقريره يبلغ من نفسك مستوى الامتعاض ويبدّد إخلاصي لجلالتك وقد عهدته لا يتزعزع على مدى الأيام.

بلونت : اذا أخذنا هذه الظروف الاستثنائية بعين الاعتبار، يا مولاي، نجد ان كل ما قاله هاري برسي لمثل هذا الانسان الثقيل الظلّ في مثل ذلك المكان الرهيب ومثل تلك اللحظة الحرجة، نظير التقرير المقدّم لهذا الغرض، جميعها من المستحسن أن ندفنها في طيّات النسيان. أجل يجمل بنا أن نتغاضى عمّا رواه هذا المغرور بما أنه قد تراجع الآن عن إدّعائه.

الملك هنري: هو مصرّ على عدم تسلمينا الأسرى إلّا بشرط أن ندفع نحن فدية زوج شقيقته الأبله مورتيمور. لقد قصد كونت مارْش أن يضحّي بحياة الذين قادهم الى

المعركة لمقاتلة هذا المشعوذ الرهيب كلانداوْر الملعون الذي، على ما بلغنا، تزوج هذا مؤخراً ابنته. فهل يتحتم علينا أن نفرغ خزانة أموالنا لإفتداء هذا الخائن السافل؟ وهل يجب علينا أن ندفع ثمن دناءته ونتساهل حيال أنصارنا الذين ضيّعوا مستقبلهم وهدموا كيانهم بأيديهم؟ كلا، ثم كلا. سأدعهم يموتون جوعاً في جبالهم القاحلة، ولن أصادق أبداً على طلب أي رجل يفرض عليّ أن أدفع فلساً واحداً كفدية لاسترداد المتمرّد مورتيمور.

هاتسبر : المتمرد مورتيمور، يا مولاي الملك، إن سقط في أيدي العدو فهذا من صدف الحرب. ولإثبات ذلك، ها هيذا جراحه ومحنه تتكلم عنه، وقد تلقّاها ببسالة على ضفاف النهر حيث ينبت الخيزران بغزارة في مقاطعة سافيرن أثناء قتال جرى وجهاً لوجه طوال ساعة كاملة بينه وبين الجبار كلانداور. ثلاث مرات استراحا، وثلاث مرات، حسب الاتفاق، رويا عطشهما من مياه النبع الذي يصبّ في سافيرن. وحين هاله عمق جراحه ركض مسرعاً بين رماح القصب المتمايلة، الى أول ملجأ وأخفى تجاعيد شعره الطويل في السرير الملوث بدماء جراح المقاتلين البواسل. لم يسبق لرياءٍ أحطّ من ذاك أن يصم عملاً شجاعاً كهذا، بنميمةٍ هكذا خطرة ومميتة. اذ لم يتلقّ النبيل مورتيمور في الماضي عدداً من الجراح كهذه ببهجة وسرور. فلماذا يرميه لائموه الآن بتهمة التمرد والعصيان؟

الملك هنري: أنت منافق، يا برسي. أجل أنت تشوّه الحقيقة حين

تتكلم عنه، لأنه لم يجرؤ على تشبيه ذاته بالداهية كلانداور. أؤكد لك انه لم يخطر يوماً بباله ان يجابه مكر إبليس، فكيف يجسر على مواجهة عدد مثل أُوين كلانداور؟ ألا تخجل من ادعاءاتك؟ ثق باني لا أريد أبداً أن أسمعك تتحدّث هكذا عن مورتيمور. ارسل اليّ الأسرى الذين تحتجزهم بأسرع وقت ممكن، وإلا ستبلغك أخباري التي لن تسرّك بتاتاً... يا كونْت نورثمبرلند، أنا آذن لك أن ترافق ولدي. فاذهب وارسل لي الأسرى المشار اليهم، وإلا سينوبك مني ما لا يرضيك.

(يخرج الملك وبلونت والحاشية).

هاتسبر : ولو أتى الشيطان بنفسه هادراً متوعّداً ليستلمهم، لن أسلّمه اياهم... سأبعث بمن يبلغه قولي هذا، لأني لا أريد أن أغفل هذه المشكلة ولو كلفني الأمر فقدان حياتي.

نورثمبرلند : لماذا تتكلّم هكذا، يا من استحوذ عليك الغضب؟ تمهّل قليلاً، ها هوذا عمّك قادم الينا.

(يدخل ورسستر).

هاتسبر : من يريد أن لا نتكلم بعد الآن عن مورتيمور؟ لعمري، أنا سأتحدث عنه كما أشاء، ولا يسامحني الله، اذا لم أنضمّ اليه قريباً. أجل أنا مستعد أن أهدر دمي الغالي حتى آخر نقطة لنصرته، وأن أرفع مورتيمور الى أعلى المراتب نكاية باللئيم بولينبروك، هذا الملك الذي أعمى بصيرته نسيان المودّة ونكران الجميل.

نورثمبرلند (لورسستر) : لماذا أغضب الملك ابن شقيقك، يا أخي؟

هاتسبر : لأنه يريد استلام جميع الرجال الذين أسرتهم. وعندما أصررت على أن يدفع فدية شقيق زوجتي شحب لونه ونظر اليّ شذراً كأنه يريد أن يزهق روحي لمجرّد ذكر اسم مورتيمور أمامه.

ورسستر : لا يسعني أن ألومه. ألم يعلن المرحوم رتشرد أن مورتيمور هو الأمير الأقرب نسباً الى الملك؟

نورثمبرلند : أجل، أعلن ذلك، وأنا كنت حاضراً حينذاك. ولقد أكّد هذا القول حين رحل الملك المنكود الحظ، سامحنا الله على كل ما أسأنا به اليه، الى ايرلندا أثناء حملته التي عاد منها بغتةً ليُخلع عن العرش ويذهب ضحية الاغتيال.

ورسستر : وبسبب هذه الجريمة النكراء لم تكفّ ألْسنة الأغبياء عن التنديد والتشهير بنا.

هاتسبر : أرجوك أن لا تتسرّع. اني استنتج من حديثك ان الملك رتشرد أعلن أخي إدموند مورتيمور كوريث عرشه.

نورثمبرلند : أجل، وأنا سمعت ذلك من فمه بالذات.

هاتسبر : اذاً، لا سبيل الى لوم الملك ابن عمه، اذا قصد إهلاكه جوعاً وسط تلك الجبال الجرداء. لكنكم، أنتم الذين توّجتم هذا الرجل العاقّ وساعدتموه على تنفيذ مأربه في الاغتيال، ألا تجدون من الطبيعي أن يعتبركم الشعب الحاقد كشركاء مسؤولين وكآلة تنفيذ طيّعة، بل كجلاّدين ساعدتم على وضع حبل المشنقة حول عنق المغدور. سامحوني اذا تماديت في شرح الموضوع

لأبيّن لكم الى أي درك إنحدرتم في عهد هذا الملك الطاغية الشرير. يا للعار، هل كتب عليكم في هذه الأيام العسيرة وفي المستقبل الغامض أن يتورّط نبلاء مثلكم أصحاب جاه ونفوذ واسع، وأن تساهموا في دسيسة ظلم فاضح كما فعلتم، سامحكم الله، لتقتلعوا الملك السابق رتشرد الذي كان كوردة زاهية فوّاحة، وتجلسوا على العرش مكانه هذه الشوكة السامة بولينبروك؟ وما زاد الطين بلّة في هذا التصرّف المشين، وما هو غير معقول ولا مقبول أبداً أن تكونوا أنتم أيضاً ضحية خداع وإبعاد أُلحقه بكم من قبلتم لأجله بالاشتراك في هذه المؤامرة السافلة. لا، لا، لم يفت الأوان بعد لاستدراك صيانة شرفكم من لطخة العار هذه، واسترداد اعتباركم ومكانتكم السامية في نظر شعبنا. فهلاّ انتقمتم لشهامتكم المُهانة وأوقفتم هذا الملك المستهتر عند حدّه ومنعتموه من التمادي في تحقيركم، وهو يسعى ليلاً ونهاراً ويبذل أقصى جهوده للتملّص من هذا الصنيع المشين الذي أهال عليه سيلاً من اللوم والهوان، وهو يريد الآن أن يتنصّل منه بجعلكم أنتم كبش المحرقة. أقول اذا...

ورسستر : أصمت، يا ابن أخي، ولا تنطق بكلمة أخرى، لأني أنوي اليوم أن أُبرز كتاباً سريًّا وأقرأ فيه ما يزعجكم من الفضائح ليفتح عيونكم على كل ما جرى من مغامرات دموية حقيرة يصعب تجنّب ما ستجرّه على الجميع من وبال واذلال.

هاتسبر : اذا سقطنا، فعلينا كلّنا السلام. لا بد لنا من أن نغرق

جميعنا إن لم نحسن السباحة... يتحتّم علينا اذاً أن نواجه العاصفة ونجابه أفظع الأخطار من الشرق الى الغرب، أللّهمّ اذا تمكّنّا من صيانة سمعتنا من الشمال الى الجنوب، وتركناهم يعلقون هم في الفخ الذي نصبوه لنا... أعتقد بأن قلب الانسان يزداد خفقانه سرعةً حين يطارد وحشاً ضارياً أكثر من ملاحقة أرنب برّي.

نورثمبرلند : أعتقد أيضاً أن فكرة هذا الانجاز العظيم تفوق حدود الصبر الجميل.

هاتسبر : بحقّ السماء، سأطير الى القمر الشاحب لأنقذ شرفي المهان. وإلّا كان نصيبي ان أغوص الى أعماق المحيط لانتشال شرفي الغريق، هذا اذا كتب لمن يبغي التحرّر أن يصل وحده، وبدون مضايقة أي خصم، الى الفوز المنشود. فتبًّا لمن يكتفي بمكافأة زهيدة كهذه.

ورسستر : ها هوذا مشغول بمجابهة سيل من الأوهام، وليس هناك من موضوع يلفت انتباهه... حسناً، يا ابن أخي. اسمح لي بمحادثةٍ وجيزة.

هاتسبر : انا أسألك هذا السماح.

ورسستر : ما هو مصير هؤلاء النبلاء الأسرى؟

هاتسبر : انا مصمّم على الاحتفاظ بهم جميعاً. وأقسم بأن لا أحد سيستلم أيًّا من هؤلاء الأسكتلنديين. كلا، ولو اقتضى الأمر التفريط باسكتلندي واحد لانقاذ شخصية بارزة، فلن يتمّ ذلك، لأني أنوي أن أحتجزهم كلهم بقوة ساعدي.

ورسستر : لماذا تستشيط هكذا غيظاً، بدون أن تصغي الى

تفسيري؟ ستحتفظ بهؤلاء الأسرى..

هاتسبر : أجل، سأحتفظ بهم كلهم. هذا واضح، لا يقبل الجدل. وقد تأكّد أنه لن يدفع فدية مورتيمور. وحرّم حتى التحدث بأمر هذا الأخير. غير أني سأذهب لمقابلته أثناء غفوته وسأصرخ في أذنه اسم مورتيمور مراراً. وسأمرّن ببغائي على ترديد هذا الاسم عالياً، وسأسلّمه إياها لكي تكرّره على مسمعه باستمرار لمجرّد إصراره على عدم سماعه إياه.

ورسستر : إصْغِ، يا ابن أخي، الى هذه الكلمة أيضاً...

هاتسبر : انا اتعهد على رؤوس الأشهاد بأن أتولّى مهمة وحيدة تهمني غاية الأهمية، وهي إزعاج بولينبروك وتعذيبه، كما سأفعل حيال أمير وايْلْس الذي لا يستهويه إلا امتشاق السيف. لو لم أكن مقتنعاً بأن والده لا يحبه، بل يتمنى له أن تنهال عليه كل بلايا الدنيا، لكنت سعيت الى دسّ السمّ له في كأس شرابه.

ورسستر : وداعاً اذاً، يا نسيبي العزيز. سأحدّثك مجدّداً عندما تكون على أتمّ الاستعداد للانصات الى أقوالي.

نورثمبرلند : ليتني أعرف ماذا يدفعك الى هذا الكلام؟ ولماذا أنت مستعجل هكذا؟ أراك لا تتلهّف إلّا الى سماع ما يرضيك فقط من شتى الأحاديث.

هاتسبر : ها أنت تراني كم أتعذّب وأتلقّى الضربات من كل صوب، وكيف تدمي الأشواك أطراف جسمي، وكأن نمل وكر بكامله يعقصني عندما اسمع أي كلام عن هذا الثعلب الغادر بولينبروك. فمنذ عهد رتشرد... كيف تسمّي ذاك المقرّ؟ لعنة الله على ذلك المكان...

أعني كلوسستر شاير حيث يمكث هذا الخداع المحتال عمك الدوق، أريد أن أقول عمه يورك، حيث لأوّل مرة طويت ركبتي أمام ملك البسمات المزيّفة بولينبروك، قبّح الله وجهه، عندما كنت أنت بصحبته عائدَين من رافنْسْبرْك.

نورثمبرلند : اسمه قصر بركْلي.

هاتسبر : تماماً كما تقول. وكم من المديح كال لي هذا الكلب المتناوم، اذ قال لي : عندما يكبر ويشتد ساعده... ثم، يا هاري برسي الظريف،... وكذلك، يا ابن عمي العزيز... لعنة ابليس على أمثال هذا النسيب الحقير. سامحني الله. والآن أرجوك، يا عمي الكريم، أن تكمل رواية هذه القصة، لأن حديثي عنه لا ينتهي.

ورسستر : لا، لا. إذا كنت لم تكمل حكايتك، ما عليك إلا أن تواصل سردها، وكلنا آذان صاغية لسماعك.

هاتسبر : أقسم بحياتي، إني انتهيت منها.

ورسستر : لِنَعُدْ اذاً الى أسراك الاسكتلنديين. أطلق حالاً سراحهم بدون فدية، وكلّف ابن دوكلاس كمفوّض وحيد لتجنيد الفرق الأسكتلندية. ولأسباب عدّة سأرودها لك كتابةً، ثق بأن الأمر ليس بعسير. (لنورثمبرلند) أما أنت يا سيدي اللورد، فبينما سيكون ابنك هكذا منشغلاً في اسكتلندا، ستلمّح سراً لهذا النبيل المحبوب ولرئيس الأساقفة المبجّل...

هاتسبر : تعني يورك، أليس كذلك؟

ورسستر : هو بالذات. انه لا يزال تحت وطأة موت أخيه لورد إسْكروب في بريستول. انا لا أتحدّث هنا جزافاً، ولا

أرجّح أن ما أظنّ حدوثه ممكناً، بل أصرّح عن معرفة أكيدة لا سبيل الى نكرانها. وقد نوقش الأمر ورُتّب واعتبر مشروعاً ضرورياً ينتظر أول فرصة ليدخل حيّز التنفيذ.

هاتسبر : انا مطلع على حقيقة الواقع، وأقسم بحياتي ان المسألة في طريقها الى الحلّ الملائم.

نورثمبرلند : أراك دوماً تطلق كلاب الصيد قبل أن تستهدف الطريدة.

هاتسبر : والله، هذه خطة ناجحة لا مجال لانتقادها. فقبل أن تنتقل فرق اسكتلندا ويورك الى مرحلة العمل الجدّي وتلتقي في نقطة معيّنة بمشيئة مورتيمور...

ورسستر : بكل تأكيد.

هاتسبر : بذمّتي، هذا ضرب رائع.

ورسستر : هناك أسباب قاهرة تضطرنا الى الاستعجال. فلنبادر الى انقاذ أرواحنا، ولنرفع رؤوسنا لنرى ماذا جرى. إذ مهما كان وضعنا هزيلاً سيظن الملك اننا المستفيدون، وسيرى فينا أشخاصاً غير راضين الى أن يتسنّى له ظرف مناسب للبتّ في أمرنا. وهو منذ الآن يصرف النظر عن كل ما فيه لنا بعض الفائدة.

هاتسبر : في الواقع، هذا ما يجري. وأعتقد أننا لن نتأخر عن الانتقام منه.

ورسستر : الوداع، يا ابن أخي... وفي كل هذه القضية، أتبع الخطوات التي تدلّك عليها رسائلي. وعندما يحين الأوان، قريباً إن شاء الله، سأمضي سرًّا الى مقابلة

كلانداور ولورد مورتيمور. حينئذٍ يجب عليك يا دوكلاس، كما يتحتم علينا، أن نجمع فرقنا بشكل ملائم حسب خطتي لمساندته بكل وسائلنا وقوانا. وان كانت في الوقت الحاضر غير ثابتة تماماً كما نشتهي.

نورثمبرلند : الى اللقاء، يا ابن أخي العزيز، انا على يقين بأن التوفيق حليفنا.

هاتسبر : الوداع، يا عماه. أرجو أن تمرّ الساعات بسرعة حتى تتردّد أصداء ضرباتنا وتنهدات أعدائنا في ساحة الوغى حسب رغباتنا وتمنّياتنا.

(يخرجون).

الفصل الثاني

المشهد الأول

وسط باحة نزل في روشستر ليلاً

(يدخل سائق عربة بيده فانوس)

السائق الأول: اذا لم تكن الساعة الرابعة اشنقوني. فالعربة تقترب من مكان المدخنة الجديدة، وحصاني لم يُحمَّل بعد. عجّل أيها السائس.

السائس (من الداخل): ها أناذا.

السائق الأول: أرجوك، يا طوم، أن تنفض الغبار عن سرج الحصان « كوت » وأن تضع خرقة تحت قوس السرج خشية أن يتخدّش جلد الحيوان المسكين، عند شدّ القماط.

(يدخل سائق عربة ثانٍ).

السائق الثاني: حبوب البسلّى والفول هي رطبة مثل الدجاجة المبلولة، والخيول تحتاج الى قليل من العلف الناشف. ما هذه الفوضى التي تفشّت منذ أن مات السائس روبين؟

السائق الأول: مسكين هذا الغلام، لم يلاقِ لحظة ارتياح منذ أن ارتفع سعر الشعير. فقضى عليه هذا الهمّ الذي تعدّى امكاناته.

السائق الثاني: أعتقد بأن هذا المكان الواقع على طريق لندن أضحى أبشع مرتع للقمل والحشرات، ومن شدة اللسع ظهرت البقع على جلدي كفلوس السمك.

السائق الأول: كفلوس السمك؟ بحق السماء، لم يُلسَع أحد أكثر مني منذ صياح الديك أول مرة عند بزوغ الفجر.

السائق الثاني: أليس في هذه الغرف من وعاء ليلي حتى تبوّل على قميصك وتدع الروائح الكريهة تنتشر وتفسح المجال لتفقيس القمل كبيض النمل.

السائق الأول: تعال، أيها السائس. هيا تعال.

السائق الثاني: لديّ قطعة لحم وقليل من الزنجبيل، عليّ أن أوصلها الى « شايرين كروس ».

السائق الأول: معي ديوك في السلّة، وأخشى أن تموت في داخلها، أيها السائس. ليحصدْك الطاعون. أوليس من عينين في وجهك؟ ألا تسمع أيضاً؟ بات من حقي أن أحطّم رأسك، كأني أشرب جرعة خمرة، فأنا رجل صريح للغاية. تعالَ، أيها الشقي... أليس لك من ضمير؟

(يدخل كادْشهيل).

كادسهيل : نهارك سعيد، أيها السائق. كم الساعة الآن؟

السائق الأول: أظن أنها الثانية.

كادسهيل : أرجوك أن تسمح لي برهة بفانوسك لأرى أين هو حصاني البليد داخل الاسطبل المعتم.

السائق الأول: مهلاً، يا صاح. كن على يقين بأني أعرف حيلة تساوي اثنتين من هذا النمط.

كادسهيل (للسائق الثاني): أرجوك أن تُعيرني فانوسك.

السائق الثاني: نعم. حاول أن تحزر متى... هل قال: أعرني فانوسك؟ بربّي، أفضّل قبلاً أن أراك متدلّياً من حبل المشنقة.

كادسهيل: يا صاحبي السائق، في أية ساعة تنوي الوصول الى لندن؟

السائق الثاني: أؤكد لك اني سأصل باكراً جداً، كي أذهب لأنام وبيدي شمعة أستنير بها. تعال، يا جاري موكسْ لنوقظ هؤلاء السادة. فإنهم يريدون أن يسافروا معنا، ولديهم كثير من الأمتعة.

(يخرج السائقان).

كادسهيل: أنت، يا غلام...

غلام النزل (وهو يدمدم من الداخل): خفيف كسارق كيس النقود

كادسهيل: في الحقيقة، أنت خفيف كغلام النزل. والفرق بينك وبين سارق كيس النقود هو كالفرق بين الآمر والمنفّذ. عليك اذاً أن تعدّ الخطّة.

(يدخل غلام النزل).

غلام النزل: نهارك سعيد، يا معلّم كادْسْهيل. ان ما قلته لك بالأمس، لا يزال معمولاً به. هناك تاجر، أجل هناك تاجر خشب من مقاطعة كَنْتْ جلب معه ثلاثمئة مارك ذهباً. وقد سمعته الليلة الماضية يحدّث، في موضوع لم أفهمه، أحداً من رفاقه يبدو عليه كأنه محاسب ومعه أيضاً كثير من الأمتعة. ولقد نهضوا من النوم

وطلبوا أن يقدّم لهم بيض مقليّ لأنهم ينوون السفر بدون تأخير.

كادسهيل : يا صاح، إذا لم يقابلوا موظفي مركز القديس نقولاس فاني مستعد أن أسلّم رأسي للقطع.

غلام النزل : لا، أنا لا أريد. أرجوك أن تترك ذاك للجلّاد. لأني أعرف جيداً انك تهوى القديس نقولاس بمقدار ما يفعل رجل ملحد لا دين له.

كادسهيل : لماذا تكلّمني عن الجلّاد؟ اذا كان نصيبي أن أشنق يوماً، سيكون بصحبتي سرْ جون العجوز. وأنت تعرف أنه هزيل... هناك بعض طروادّيين لا يفكرّ أحد بهم، وعلى سبيل المتعة يتنازلون الى ممارسة هذه المهنة الحقيرة. واذا تفحّصنا المسألة عن كثب وجدنا أنهم رتّبوا الأمور كلها لحسابهم الخاص. انا لست شريك هؤلاء الحفاة وحاملي العصي الذين يرتكبون جريمة القتل لقاء خمسة فلوس برفقة مُدْمنين على شرب الجعة يفاخرون بشواربهم الضخمة، رغم كل ما يبدو من نبل وهدوء على المسؤولين وأصحاب الأملاك الوافرة والرجال المرموقين المستعدّين للضرب أكثر من الحديث، وللحديث أكثر من الشرب، وللشرب أكثر من الصلاة. مع ذلك أجدهم مخطئين، لأنهم منشغلون دوماً بالابتهال الى شفيعهم لتأمين الراحة التي يتوقون اليها. هل قلت الابتهال؟ انا أقصد النهب والسلب، لأنهم لا ينفكّون يسارعون لملء جزماتهم من الغنائم.

غلام النزل : اذا كانت جزماتهم هكذا ملأى بالأموال العامة، أخشى أن تغوص في أوحال الطرقات لشدّة ثقلها.

كادسهيل : أبداً، لأن جزماتهم ملمّعة بصباغ الاعتدال. نحن نسرق

بكل أمان كأننا في حصن حصين. فلنا وسائلنا الحريزة، ونسير أينما كنّا بدون أن يرانا أحد.

غلام النزل : أنا أعتقد أن ظلام الليل هو الوسيلة التي تحميهم وتجعلهم غير منظورين.

كادسهيل : هات يدك. أقسم لك بشرفي أنك ستنال حصتك من غنائمنا.

غلام النزل : لا بل أقسم لي بمهارتك كلص محتال.

كادسهيل : هيا، يا صاح، لن نختلف على القاسم المشترك بينك وبين سائر الخلائق. قل للسائس أن يجلب لي حصاني الحرون من الاسطبل. وداعاً أيها اللص الظريف.

المشهد الثاني

ليلاً على طريق قرب كاذسهيل

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

بوينز : هيّا الى المطاردة. لقد ابتعدت عن حصان فالستاف، وهو في حماس غير مألوف.

الأمير هنري : ابتعد من هنا...

(يدخل فالستاف).

فالستاف : بوينز، يا بوينز. أيها الشقي بوينز.

الأمير هنري : اسكت، يا أحمق. ما سبب صراخك هكذا؟

فالستاف : أين بوينز، يا هال؟

الأمير هنري : لقد تسلّق أعلى الهضبة. وأنا ذاهب لآتي به.

(يتظاهر بالذهاب).

فالستاف : اللعنة تلاحقني، لأني أمارس اللصوصية بصحبة هذا السارق الخبيث. فقد أخذ المحتال جوادي ولست أدري أين ربطه. وأنا تعب جداً بحيث يداهمني اللهاث كلما مشيت مسافة مئة قدم فقط. على كل حال، أخاف أن أموت ميتة عاديّة اذا نجوت من حبل المشنقة عقاباً على قتلي هذا الوغد اللئيم. ها قد مضى عليّ اثنان وعشرون عاماً وأنا أحاول أن أتجنّب هذا الدجّال الذي يسحرني بروعة وعوده. ولو لم يدسّ لي هذا اللص مخدّراً ليجعلني أحبه، قدّمت عنقي لحبل المشنقة، وإلّا لما وجدت من تفسير لتعلّقي به الى هذا الحدّ. أجل، لا بد أن أكون قد تناولت بعض المخدّرات. يا بوينز ويا هال، أتمنى أن يحصدكما الطاعون. وأنت، يا بارْدولف، ويا بيتو، أرجو أن أهلك جوعاً اذا لم أسرق أحداً على بعد خطوتين من هذا المكان. ولو لم يكن من الصعب عليّ أن أهجر هؤلاء اللصوص، وأن أصبح رجلاً مستقيماً لأنقطعت عن تعاطي الخمرة أيضاً. انا سارق صريح لا أخجل أبداً من مهنتي الوضيعة. وبالنسبة الى حالتي الصحية، أنا أمشي مسافة سبعين ميلاً بهمة كقاطع طريق، كأنها مسافة سبعة أميال فقط. وشذّاذ الآفاق هؤلاء أصحاب القلوب المتحجّرة يعرفون ذلك جيداً. فتبًّا لهذه المهنة الحقيرة، اذا لم يتمسّك اللصوص ببقية من مروءة أثناء التعامل فيما بينهم. (يُسمع صفير). ها قد حان الوقت.

ليحصدكم الطاعون جميعاً. أعطوني حصاني، أيها الأوغاد. هيا اعطوني جوادي، أيها الماكرون.

الأمير هنري : اصمت، يا جبان، واجلس هنا على الأرض، بل ألْصق اذنك بالتراب وانصت لعلّك تسمع وقع أقدام المسافرين المرتقب وصولهم بين لحظة وأخرى.

فالستاف : هل لديك قضيب قارص لكي تساعدني على النهوض عندما أنطرح أرضاً؟ أؤكد لك اني لن أعيد الكرّة لتمريغ خدّي في التراب، ولو اعطيتني كل الأموال النقدية المكدّسة في خزائن والدك الملك. لماذا تطلب مني أن أتمدّد على الأرض؟

الأمير هنري : أنت مخطئ. أنا لا أريدك أن ترتمي على الأرض، بل أن تظل واقفاً على رجليك بقامتك الممشوقة.

فالستاف : أرجوك، أيها الأمير الصالح هال، أن تجد لي حصاني، يا ابن الملك الكريم.

الأمير هنري : تبًّا لك من غبي جاهل. هل تظنني سائساً لأهتمّ بجوادك.

فالستاف : الأجدر بك أن تشنق نفسك، يا وريث ربطة الساق المتعجرف. اذا وقعت يوماً في قبضتك، فانك ستظل مديناً لي بالتعويض طوال حياتك. ولن أتردد في تأليف الأغاني والردّات للتنديد بمساوئك، ونشر كلماتها المزعجة في محيطي. ولتصبح الخمرة التي أشربها باستمرار سمًّا ناقعاً، اذا لم أروّج هذه الأغاني وأعمّمها في كل مكان. لأني فعلاً أحبّ اذاعة مثل هذا التنفيس الذي يخفّف من استيائي وحقدي.

كادسهيل : قف عند هذا الحدّ وإلاّ...

فالستاف : ها قد توقّفت صاغراً.

بوينز : هذا عواء كلب صيد يخصنا، وأنا أعرف صوته جيداً.

باردولف (لكاذْسهيل) : ما وراءك من الأخبار؟

كادسهيل : استروا وجوهكم بأقنعتكم. فها هوذا خازن مال الملك ينحدر على سفح الهضبة قاصداً قصر الملك.

فالستاف : أنت مخطئ يا غبي. هو ذاهب الى حانة الملك.

كادسهيل : انتبه. أن ما يحمله من مال يغنينا جميعاً فترة طويلة.

فالستاف : أجل. ثم يقودنا جميعاً الى حبل المشنقة.

الأمير هنري : أنتم الأربعة، يا سادتي، ستوقفون موكبه عند الممرّ الجبلي. وأنا وادوارد بوينْز سننتظر في مكان أقلّ علوًّا. فان نجوا من مداهمتكم حينئذٍ نتكفّل نحن بهم ونباغتهم بانقضاضنا عليهم.

بيتو : كم يبلغ عددهم؟

كادسهيل : من ثمانية الى عشرة أشخاص.

فالستاف : لعمري، انا أخشى أن يسطوا هم علينا ويسلبونا ما معنا. وهكذا ينقلب السحر على الساحر.

الأمير هنري : تباً للأمير جون « لا بانْس » من جبان.

فالستاف : وهل تظنني جدّك البطل جون دي غان؟ لكني مع ذلك لست جباناً، يا هال.

الأمير هنري : عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان.

بوينز : يا صاحبي جاك، حصانك مربوط خلف السياج. وعندما تحتاج اليه ما عليك إلا أن تأخذه من هناك. الوداع، وكن على أتمّ الاستعداد.

فالستاف : آه. لو أمكنني أن أخنقه، عندما أساق الى حبل المشنقة.

الأمير هنري : أين أدوات تنكّرنا، يا ادوارد؟

بوينز : هي هنا الى جانبنا. اتبعوني عن كثب.

(ينسحب الأمير هنري وبوينز)

فالستاف : هيا، يا سادة، أتمنى لكم حظاً موفقاً. ولينصرفْ كلٌ منّا الى عمله.

(يدخل المسافرون)

المسافر الأول : تعال، يا جار. فالغلام يسوق جيادنا الى أسفل الهضبة. تعالوا نمشي قليلاً لتمرين عضلات أقدامنا.

اللصوص : قفوا جميعكم في أمكنتكم.

المسافرون : يا إلهنا، أشفق علينا وارحمنا.

فالستاف : أضربوهم، انقضّوا عليهم، أيها الرفاق، واقطعوا أعناقهم اذا لزم الأمر. تبًّا لكم، أيها الأوغاد، يا أبناء الحرام، يا أكلة الدهن البُلَهَاء. تبًّا لهم من أنذال لأنهم يمقتوننا الى أقصى حدود الكره. هيًّا، أيها الشبّان، إبطحوهم أرضاً، وانتزعوا كل ما يحملونه من غالٍ ونفيس.

المسافر الأول : لقد هلكنا وفقدنا جميع ما معنا.

فالستاف : هيا الى المشنقة، يا أصحاب البطون المنتفخة. تقولون انكم هالكون. كلاّ، أيها الأشحّاء الأغبياء. أتمنى أن يكون معكم كل ما تملكون من تحف وأموال. هيا، الى الأمام، أيها الجبناء. بماذا تتمتم أيها الأحمق؟ ألا تريد أن يعيش أمثالنا الشبان؟ أنتم حقاً أوزات مُسمّنة. وأنا أؤكّد لكم اننا سنجرّدكم من كل ما تحملون.

(يأخذ فالستاف ورفاقه بتجريد المسافرين وسلبهم، ثم يُعدونهم، وحين يخرجون، يدخل الأمير هنري وبوينز).

الأمير هنري : لقد سلب اللصوص هؤلاء الناس الأشراف. والآن اذا أمكننا، أنا وأنت، أن نسرق اللصوص ونعود مسرورين الى لندن، سيظل هذا الحادث يسلّينا طوال أسبوع وسنضحك طوال شهر، وننكّت على الدوام.

بوينز : لَنحدْ قليلاً عن الطريق، لأني أسمعهم يقتربون منّا.

(يدخل اللصوص).

فالستاف : هيا، يا سادة، لنقتسم الغنائم، ثم نمتطي جيادنا ونرحل على عجل. فاذا لم يكن الأمير وفالستاف من الجبناء المخدوعين، ليس في الدنيا من أثر للعدالة. وأنا على يقين بأن بوينز لا يساوي أكثر من بطّة بريّة.

الأمير هنري (وهو ينقضّ) : هاتوا ما معكم من نقود أيها الأوغاد.

بوينز : يا لكم من حمقى. لماذا لا تمتثلون؟

(وفيما اللصوص لاهون باقتسام الغنائم، ينقضّ عليهم الأمير وبوينز. وبعد ضربهم بالقضيب مرة أو مرّتين، يهرب جميع اللصوص، وكذلك فالستاف ويتركون غنائمهم على الأرض).

الأمير هنري : هذه غنيمة باردة حقاً. والآن الى صهوة جيادنا، ولنرحلْ سريعاً بغاية الفرح والسرور. فقد تشتّت اللصوص بعد أن تملّكهم الفزع الى حدّ أنهم لن يجرؤوا على الاقتراب بعضهم من بعض، لأن كلاً منهم أخذ يعتبر رفيقه من الشرطة. هيا بنا نجدّ السير، يا ادوارد. فان فالستاف يكاد يموت من الهلع، وهو يسقي الأرض بما يتصبّب منه من العرق، ويسرع الخطى هارباً. وأنا أكاد أنفجر من الضحك وأرثي لحاله مشفقاً.

بوينز : مع أن هذا الأحمق، فضلاً عن ذلك، كان يزمجر حانقاً بسبب ما فعلناه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في قصر واكْورْث

(يدخل هاتسبر، وهو يقرأ رسالة)

هاتسبر : « من جهتي، يا مولاي أنا مبتهج جداً لوجودي هنا، نظراً الى ما أكنّه من المودّة لأسرتك الكريمة ». يقول « أنه مبتهج جداً » فلماذا هو غير موجود هنا؟ ثم يقول : « نظراً الى ما يكنّه من المودة لأسرتي الكريمة ». وبذلك يبرهن على أنه يحبّ أهراءه أكثر مما يحبّ أسرتي. لأكمل قراءة الرسالة : « ان المشروع الذي تريد تحقيقه خطير جداً... » هذا طبعاً أمر لا شك فيه. هو خطر لأنه سيلتقط عدوى الرشح، ثم يشرب وينام. لكني أصرّح لك، أيها المولى الغبي، انني بسبب هذه الشوكة النابتة من الخطر سنقطف زهرة السلم والأمان ». يقول ان المشروع الذي أريد تحقيقه محفوف بالمخاطر، وان الأصحاب الذين عدّدت أسماءهم غير أهل للثقة، وان الأوان المحدد غير ملائم، وكل خطتك خفيفة الوزن لا تعادل ثقل قوة معارضيها... » هذا ما تقوله أنت. وأنا أؤكد لك

ردًّا على تصريحك، انك في الواقع أحمق وجبان وغليظ الذهن ومنافق. تباً لدماغك المعطوب. إلا أعلم ان خطتي ليست أفضل من مشروعك، وانِ أصدقائي أمناء وأهل للثقة خلاف ما تظن. وبما أن الخطة نافعة والأصدقاء أوفياء يمكن الاعتماد عليهم، فهي خطة ممتازة ما دام الأصحاب المنفّذون لا يوجد أشدّ إخلاصاً منهم. ليتني أعرف من أية طينة مجبول هذا الغبي وكيف يتصرّف على هواه؟ هل يوافق مولاي يورك على الخطة المرسومة وعلى سير الأمور بصورة اجمالية؟ لو كنت بقرب هذا المعتوه لكنت حطّمت رأسه بهذه المروحة النسائية. أوليس من حساب لي ولأبي ولعمي وللورد إدموند مورتيمور واللورد يورك وأوين كلانْداوْر؟ أوليست هناك أيضاً أسرة دوكلاس؟ أوليس بحوزتي تعهّد منهم مكتوب بخط يدهم ينصّ على أن أنضم اليهم وأحمل السلاح في اليوم التاسع من الشهر القادم؟ أولم يبادر بعضهم الى السير؟ تبًّا لهذا الجاحد الأحمق. تبًّا له من منافق دجّال. سترون كيف سيذهب هذا الجبان الأرعن الى الملك ومن جرّاء وجومه ودناءته، سيكشف له كل مرامينا. كم أود أن أتمزّق إرباً إرباً لأني تهاونت وعرضت على هذا الرعديد قضية بمثل هذه الأهمية. انه فعلاً يستحق الشنق حالاً، اذا باح بكل ما أطلعناه عليه لجلالة الملك. عليّ أن أكون على أتم الاستعداد لحماية مصالحي، وأن أرحل هذا المساء بالذات.

(تدخل السيدة برسي).

هاتسبر : ما بكِ، يا كايْت؟ لا بد لي من مغادرتك بعد ساعتين على الأكثر.

السيدة برسي: سيدي الكريم، لماذا أنت منزوٍ هكذا؟ ولأي خطأ صدر عني أبعدتني منذ خمسة عشر يوماً عن سريرك، يا عزيزي هاري؟ قل لي يا مولاي الظريف، ماذا حرمك الشهية والبهجة والنوم الهنيء؟ لماذا تُطْرق الى الأرض وترتعش عندما تكون منفرداً؟ ماذا أفقدك نضارة وجنتيك؟ ولماذا حرمت نفسك كنوزي وحرمتني جميع حقوقي عليك، يا حبيبي، ألتسترسل في الأحلام القاتمة والكآبة المضنية؟ أثناء غفواتك الخفيفة، سهرت عليك وسمعتك تتمتم قصص قتال مسلّح وتُوجّه تعابير تتعلق بالخيل الى حصانك الجافل وتصرخ به: «تشجّعْ وتقدّم». وتكلّمت عن جولات ومنحدرات وصروح ومدافع وفوهات نار وأسرى دفعت فديتهم وجنود قتلوا، وعن جميع تفاصيل الاشتباكات العنيفة التي خضتها. وهذا دليل واضح على أن تفكيرك قد اشترك في حروب، وتعب أثناء نومك حتى تصبّب العرق من جبينك مثل فقاقيع ماء تحرّك بغتة. وقد بدت على محياك تشنّجات غريبة كالتي نراها على وجوه المقاتلين حين يكتمون أنفاسهم فترة طويلة. فما معنى كل هذه العلامات المقلقة؟ لا بد من تكون، يا سيدي، قد اشتركت في أمور خطيرة، عليّ أن أعرفها وإلّا كان تكتّمك برهاناً قاطعاً على انك لم تعد تحبّني.

(يدخل أحد الخدم).

هاتسبر : أعلمْني ان كان جليام قد ذهب مع الجماعة؟

الخادم : أجل، يا مولاي، منذ ساعة من الزمن.

هاتسبر : هل أخذ بتْلر جواده من مقرّ رجل الأمن؟

الخادم : أخذ حصاناً منذ لحظة، يا مولاي.

هاتسبر : أي حصان؟ البنّي اللون، أليس كذلك؟

الخادم : نعم، يا مولاي.

هاتسبر : هذا الجواد هو شبيه بعرشي. أجل، وسأكون على متنه بعد برهة. ما أحلى الأمل. قل لبتلر أن يأخذه الى الحديقة.

(يخرج الخادم).

السيدة برسي: اسمع، يا مولاي.

هاتسبر : ماذا تقولين، يا سيدتي؟

السيدة برسي: ماذا يبعدك هكذا عني؟

هاتسبر : جوادي، جوادي الخبيث.

السيدة برسي: تبًّا لك، ما أشد هوسك. أراك كثير الاضطراب، ولا بد لي من أن أعرف ماذا يشغل بالك، يا عزيزي هاري. أجل أريد أن أعرف. اذ اني أخشى أن يتحرك أخي مورتيمور لتأمين حقوقه، وأن يرسل في طلبك لكي تدعم جهوده. لكن، اذا مضيت...

هاتسبر : حتى الآن أنوي السير على الأقدام. وهذا يتعبني، يا حبيبتي.

السيدة برسي: هيا، هيا، يا ببغاء، أجبني رأساً على السؤال الذي أوجهه اليك. بذمّتي، سأكسر إصبعك الصغير، يا هاري، اذا لم تشأ أن توضح لي الحقيقة بكاملها.

هاتسبر : كفى، كفى، يا محتالة. أنت تريدين أن أبقى على حبّك. وأنا لم أعد أحبك لأني لا أريد أن أهتم بك، يا كايْت. لقد فات الوقت الذي كنتِ فيه تتلهّين بي كالدمية وتزمّين شفتيك حنقاً عندما لا أسايرك. انا الآن بحاجة الى من يساعدني بنقوده، لأن المال المبذول هو الذي أحتاج اليه في هذه الأيام... تبًّا لك، يا حصاني، أين أنت؟... ماذا قلتِ، يا كايْت. ماذا تريدين مني؟

السيدة برسي: هل حقاً لم تعد تحبّني؟ ألا تحبّني الآن؟ ليكن لك ما تشاء. وبما أنك لا تحبني، أنا لا أريد أن أحب نفسي. ألا تحبّني فعلاً؟ قل لي إن كان تصريحك هذا جدًّا أو مزاحاً؟

هاتسبر : هل تريدين أن تشاهدي كيف أمتطي صهوة جوادي؟ عندما أجلس على سرجه سأقسم لك اني أحبّك الى الأبد. لكن اسمعيني جيداً، يا كايْت. من الآن وصاعداً لا أريد أن تسأليني الى أين أنا ذاهب، ولا أن تناقشيني في هذا الموضوع بتاتاً. أنا أذهب حيث يجب عليّ أن أكون. ختاماً، يتحتم عليّ أن أغادرك منذ هذا المساء، يا كايْت اللطيفة. أنا أعرف جيداً انك حريصة، لكن حريصة فقط كما يسع زوجة هاري برسي أن تكون. أنت قوية ونشيطة، لكنك تظلّين امرأة. ومن ناحية أسراري ليس من يكتمها أفضل منك. وأنا واثق بأنك لن تبوحي بما لا تعلمين. إلى هذا الحدّ البعيد تبلغ ثقتي العمياء بك، من هذا القبيل، يا كايت الحلوة.

السيدة برسي: كيف الى هذا الحدّ؟

هاتسبر : لا أكثر، مطلقاً، ولو قيد أنمل. لكن، أصغي اليّ،

يا كايْت. حيث أذهب ستذهبين أنت أيضاً. وأنا اليوم
ذاهب، وستلحقين بي غداً. هل أنت مسرورة هكذا،
يا حبيبتي كايْت؟

السيدة برسي: بما أن لا بد من حصول ذلك.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في حانة هور بضاحية إيست شيب

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : أرجوك، يا ادوارد أن تخرج من هذه الغرفة القذرة،
وان تساعدني كي أضحك قليلاً.

بوينز : أين كنت، يا هال؟

الأمير هنري : مع ثلاثة أو أربعة سخفاء بين ستين أو ثمانين برميلاً.
وقد عزفت على أضخم أوتار الوضاعة. اعلم، يا
صديقي، اني زميل ثلاثيّ من الفتيان المدمنين على
أقبية الخمرة. وأستطيع أن أدعوهم بأسمائهم بدون
ألقاب، وهم طوم وديك وفرنسيس الذين يؤكدون لي
منذ الآن، وإن كنت لا أزال ولي العهد أمير وايْلس،
بأني حتماً سأكون ملك الظرفاء. واني لست غرًّا
نظير فالستاف، بل أشبه أهالي كورنثيا، أي اني فتى
طيب القلب حسن السلوك. وهكذا يجلّني الجميع
منذ الآن. وعندما أصبح ملك انكلترا، سأكون سيّد
جميع حانات إيست شيب. اما تعبيرهم عن شرب
الخمرة جرعةً واحدة بدون مزجها بالماء، فهو

« الصباغ الأحمر ». وعندما يتنفس الشارب أثناء تجرّعه الخمرة، يهتف الحاضرون « هم » ويصرّون على تجرّع الكأس دفعة واحدة. بالاختصار، أحرزتُ بعضٍ التقدّم في هذا المجال خلال ربع ساعة فقط وبتّ قادراً في الشرب على مجاراة أمهر سكّير صادفته في حياتي. أصرّح لك، يا ادوارد، بأن فخراً عظيماً قد فاتك لأنك لم تكن بصحبتي أثناء هذا التمرين الهامّ. لكن، يا ادوارد الظريف، بغية زيادة تلطيف اسمك المحبب، أعطيك هذا القرن من السكر الذي قدّمه لي خادم فتى لم يردّد في حياته عبارة اكثر من هذه : اعطني ثمانية شلنات ونصف لأرحب بك أجمل ترحيب. ويضيف هاتفاً : بعد لحظة، يا سيدي، بعد لحظة فقط. هيّا، صبّ كأساً من الخمرة الحلوة وأجلبها الى هنا. وفي هذه الأثناء، لتمضية الوقت ريثما يصل فالستاف، أرجوك أن تظلّ الى جانبي. وسأسأل هذا الغلام المغرور، لماذا أعطاني هذا القرن من السكر. وأنت ستنادي فرنسيس بشكل يجعل استدعائي إياه يستمرّ جوابه هاتفاً : « بعد لحظة ». تقدّم الى هنا لأعلّمك الطريقة الواجب اتباعها.

بوينز (ينادي) : فرنسيس.
الأمير هنري : أنت هائل.
بوينز (ينادي) : فرنسيس.

(يخرج)

(يدخل فرنسيس).

فرنسيس : لحظة، لحظة يا سيدي... أنظر الى تلك الجهة، يا رالف.

الأمير هنري : تعال، الى هنا، يا فرنسيس.

فرنسيس : مولاي.

الأمير هنري : كم من الوقت عليك أن تخدم هنا بعد الآن، يا فرنسيس؟

فرنسيس : خمسة أعوام على ما أظن، وربما أكثر.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : خمسة أعوام، لعمري، هذا ارتباط طويل الأمد للخدمة في هذه الحانة. هل تجرؤ على فسخ الاتفاق، يا فرنسيس، وعلى الهرب فوراً؟!

فرنسيس : هذا صعب التحقيق، يا مولاي.. لكني أقسم لك، وأنا أضع يدي على جميع الكتب المقدسة في انكلترا، اني أجرؤ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس.

فرنسيس : لحظة، لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : ما هو عمرك يا فرنسيس؟

فرنسيس : ربما... في عيد القديس ميخائيل القادم أبلغ...

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.

فرنسيس : قلت لك، يا سيدي، بعد لحظة واحدة فقط... أرجوك أن تنتظرني قليلاً يا مولاي.

الأمير هنري : لا، لا. إسمع، يا فرنسيس. إن ثمن قرن السكر هذا الذي أعطيتني اياه هو فلس واحد، أليس كذلك؟

فرنسيس : كم تمنيت لو كان فيه مرتين ما يحويه.

الأمير هنري : أريد أن أدفع لك مقابله ألف ليرة. أطلبها مني متى شئت، وستنالها.

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، أين أنت؟

فرنسيس : لحظة واحدة، وآتي اليك.

الأمير هنري : بعد لحظة، يا فرنسيس، لا، لا، يا فرنسيس، بل غداً يا فرنسيس، أو يوم الخميس، يا فرنسيس، أو بالحري عندما تريد، يا فرنسيس...

فرنسيس : مولاي.

الأمير هنري : هل توافق على سرقة إنسان يرتدي سترةً من الجلد وأزرارها من بلّور، وفي اصبعه خاتم من العقيق، وفي رجليه جوارب وحذاء أسود، وكلامه معسول، ولهجته انسانية؟

فرنسيس : ماذا تقصد أن تقول، يا مولاي؟

الأمير هنري : أرى ان مشروبك هو من الخمرة الرخيصة. حذارِ أن توسّخ رداءك الأبيض، يا فرنسيس. ففي بلاد البربر، لن يكون سعره أغلى من هنا.

فرنسيس : ماذا تقول، يا مولاي؟

بوينز (من الداخل) : يا فرنسيس، يا فرنسيس.

الأمير هنري : إذهب، يا مغفّل. ألا تسمعه يناديك بإلحاح.

(في هذه اللحظة ينادي الأمير وبوينز فرنسيس في آن واحد.
فيقف الغلام مشدوهاً لا يدري أين يذهب).
(يدخل صاحب الحانة).

صاحب الحانة : ما هذا؟ أراك تظلّ جامداً عندما تسمعني اناديك هكذا بإستمرار. هيّا إلى العمل هناك. (يخرج فرنسيس)

مولاي، ان سرْ جون وبضعة أشخاص غيره هم بالباب، فهل تريد أن أدخلهم؟

الأمير هنري : دعهم ينتظرون برهة، ثم افتح لهم الباب (يخرج صاحب الحانة). يا بوينز.

بوينز (راجعاً) : لحظة، يا سيدي.

الأمير هنري : يا صديقي، ها هو فالستاف وزمرته من اللصوص، ينتظرون بالباب. فهل هذا يسرّنا؟

بوينز : أجل نحن في غاية السرور، كالزيز الذي يقضي أوقاته في الانشاد، يا صاح. لكن، قل لي ما هذا المزاح المزعج الذي شغلك برهة مع الغلام؟ وماذا أفادك؟

الأمير هنري : لقد أبدى هذا المزاح لأجل المزاح فقط. وهذا شأن الانسان منذ عهد آدم الى يومنا هذا، بل الى هذه الساعة حول منتصف الليل.

(يعود فرنسيس حاملاً خمرة).

الأمير هنري : كم هي الساعة الآن، يا فرنسيس؟

فرنسيس : لحظة، يا سيدي، لحظة.

الأمير هنري : هذا الغلام يثرثر أكثر من الببغاء، وإن كان ابن امرأة، وظيفته الصعود والنزول على الأدراج، ومعلوماته تنحصر في مجموع ثمن ما يستهلكه الزبائن من المشروبات. انا لا يسعني ان أحذو حذو برسي في المزاجية ولا هاتسبر الشمالي الذي يقتل ستين أو سبعين اسكتلندياً أثناء تناوله طعام الافطار، ثم يغسل يديه ويقول لزوجته : تباً لهذه الحياة الهادئة التي لا أجد فيها ما يشغلني جدّيًا. فتجيبه : يا عزيزي هاري، كم رجلاً قتلت اليوم؟ فيصيح : اسقوا حصاني البنّي. وبعد مرور ساعة من الزمن يجيب : « حوالى أربعة عشر،

وهذا عدد زهيد، زهيد جداً. أرجوك أن تدخل فالستاف. سأقوم مقام برسي، وهذا الخنزير اللعين سيقوم مقام زوجته السيدة مورتيمور. فقال السكران: أدخل صاحب البطن المنفوخ المحشي ذهباً.

(يدخل فالستاف وكادسهيل وباردولف وبيتو).

بوينز : السلام عليك، يا جاك. أين كنت؟

فالستاف : تبًّا لكل الجبناء. ليذهبوا الى الجحيم، آمين. اعطني كأس خمرة يا غلام. وبدلاً من مواصلة هذه الحياة الرتيبة المملّة، أرى أن الأجدر بين أن أرفو الجوارب وأرقعها ثم أدوسها بقدميّ. حصد الطاعون كل الجبناء. اعطني كأس خمرة، يا غبي. أولم يبقَ من أثر للفضيلة على وجه الأرض؟.

(يشرب).

الأمير هنري : هل رأيت في حياتك الإله فابوس يداعب كتلة من الشحم تحت أشعّة الشمس الحارّة؟ إن رأيت هذا المشهد، أنظرْ اذاً الى هذا الرجل البدين العجيب.

(يشير الى فالستاف).

فالستاف : يا أحمق، تبدو هذه الخمرة كأنها تحوي كلساً. هكذا الرجل الخبيث لا بد من أن ينضح بما في داخله من القبائح، مع ان الجبان هو أبشع من كأس الخمرة التي تحوي الكلس، أيها الغشّاش. أكمل طريقك، يا جاك العجوز، ومُتْ إن شئت. واذا لم تنقرض الرجولة

الحقيقية عن وجه الأرض، أكون أنا كالسمك المجفّف المدخّن. ليس في انكلترا إلّا ثلاثة رجال نجوا من حبل المشنقة أحدهم بدين مسنّ. كان الله في عوننا، وسط هذا العالم السافل. كم أودّ أن أكون مرنّماً لأنشد لك المزامير أو غيرها من المراثي. مرة أخرى، تباً لكل جبان حقير.

الأمير هنري : ماذا تغمغم، يا كتلة الشحم والدهن؟

فالستاف : يا ابن الملك، اذا لم اطردك من مملكتك بسيف من خشب لا من فولاذ، ولم أطرد رعاياك أمامك نظير قطيع من الأوز البرّي، لن أدع شعرة واحدة تنبت في ذقني، يا أمير وايْلس.

الأمير هنري : ماذا تقول، أيها اللقيط، يا كتلة الشحم البشري، ما الأمر؟

فالستاف : إن لم تكن جباناً، أجب على سؤالي. وأنت أيضاً، يا بوينز.

بوينز : يا كيس التبن، اذا دعوتني جباناً، سأطعنك بخنجري.

فالستاف : انا تدعوني جباناً؟ سألعنك قبل أن تعتبرني هكذا. غير اني أمنح ألف ليرة لكي أتمكن من الركض بمثل سرعتك الفائقة في الهرب، يا صاحب الأكتاف العريضة. أما أنت فالأمر لا يهمك كثيراً وما عليك إلا أن تولينا ظهرك. هل تعتبر عملك هذا تكاتفاً مع أصدقائك؟ تبًّا لهذا التضامن المبتور. كلمني عمن يجسر على مجابهتي. هات كأساً من الخمرة... كي أتغابى عندما أشرب في هذا النهار.

الأمير هنري : أيها الشقي، أنت تكاد تمسح شفتيك بعد أول جرعة شراب.
فالستاف : هذا لا يهمّ. مرة أخرى أقول : تبًّا لكل الجبناء.

(يشرب).

الأمير هنري : ما الخبر؟
فالستاف : أتسألني ما الخبر؟ ها نحن الآن أربعة، قبض كلٌّ منا الف ليرة، هذا الصباح
الأمير هنري : أين هي هذه الليرات، يا جاك، أين هي؟
فالستاف : أين هي؟ لقد إنتزعت منا، اذ كنّا أربعة مساكين مقابل مئة مهاجم.
الأمير هنري : كيف تقول مئة، يا عزيزي؟
فالستاف : أكون غبيًّا، ان لم أجابه بسيفي عشرة منهم مدة ساعتين. لقد نجوت أنا بأعجوبة، إذ تلقيت ثماني جزمات على سروالي الأرجواني، وأربعاً على جنبي، وثُقب ترسي من طرف الى آخر، وتثلّم سيفي وأصبح في يدي كالمنشار. وها هو البرهان القاطع، على ما انتابني من الغضب هكذا منذ أن أصبحت رجلاً. وكل ما فعلته لم يأتِ بأية فائدة. اكرّر قولي تبًّا لكل جبان. دعهم يتبجّحون. وإذا أصرّوا على تجاهل الحقيقة بشكل من الأشكال يظلّون أشراراً، وأبناء الظلام الحالك السواد يُدعون.
الأمير هنري : تكلموا، يا سادتي، وأخبروني عن كل ما جرى.
كادسهيل : وقفنا نحن الأربعة تقريباً في...
فالستاف : كانوا ستة على الأقلّ، يا مولاي.
كادسهيل : وقد تغلّبنا عليهم.

بيتو : لا، لا، هم تغلبوا علينا.
فالستاف : يا دجّال، بل جميعهم كانوا المغلوبين، بدون استثناء. وإلّا كنت أنا أجبن الجبناء.
كادسهيل : وعندما أردنا أن نقتسم الغنيمة، انقضّ علينا ستة أو سبعة غيرهم.
الأمير هنري : ماذا تقول؟ هل تشاجرتم واياهم كلهم؟
فالستاف : كلهم؟ لست أدري ما تقصد بكلمة كلهم؟ اذا لم اقاتل خمسين، أكون كباقة الفجل. وان لم يكونوا اثنين وخمسين أو ثلاثة وخمسين، مقابل المسكين جاك العجوز، لا أكون مخلوقاً أمشي على رجلَيْن.
الأمير هنري : أسأل الله أن لا تكون قد قطعت رأس أحد.
فالستاف : الصلاة لم يعد لها أي مفعول في هذه الأيام، لأني طعنت شخصين بخنجري. أجل، سدّدت أيضاً حسامي الى اثنين من الأغبياء. أتريد أن أقول لك، يا هال، إن كذبت عليك، أبصق في وجهي، وادعني حماراً أحمق. أنت تعرف قصتي القديمة. وها هوذا وضعي الحاضر. وأنا أشهر نصلتي، إنقضّ عليّ أربعة من هؤلاء الأوغاد.
الأمير هنري : كيف أصبحوا أربعة، وقد ذكرت منذ لحظة انهما كانا اثنين فقط؟
فالستاف : لقد قلت أربعة، أجل أربعة.
بوينز : نعم، نعم، قال أربعة.
فالستاف : وقد هاجمنا الأربعة مواجهةً، واجتمع الأربعة لمقاتلتي أنا، في آن واحد. وبدون أن يرفّ لي جفن صددت سيوفهم السبعة بترسي هكذا.
الأمير هنري : سبعة؟ ولكن منذ لحظة أكّدت أنهم كانوا أربعة.

فالستاف : أجل، أجل.
بوينز : أجل أربعة، منهم...
فالستاف : بل سبعة، تلقيتهم بهذه القبضة، وإلّا، أكون دجالاً منافقاً.
الأمير هنري (لبوينز) : أرجوك أن تتركه يدّعي ما يشاء. سنناقش الموضوع فيما بعد.
فالستاف : هل تسمعني، يا هال؟
الأمير هنري : إني أسمعك جيداً، يا جاك.
فالستاف : انتبه اذاً، لأن القضية تستحقّ الاهتمام. فالتسعة الذين كلمتك عنهم...
الأمير هنري : ها قد زاد عددهم اثنين.
فالستاف : بعد ان استلّوا سيوفهم..
بوينز : فقدوا سراويلهم.
فالستاف : وبادروا الى الهرب. فلحقت بهم عن كثب وهاجمتهم عن قرب، وبلمح البصر صفّيت حسابي مع سبعة من الأحد عشر مهاجماً.
الأمير هنري : ما هذه المبالغة الهائلة؟ فمن مهاجمَيْن اثنين، كيف أصبحوا أحد عشر مقاتلاً؟
فالستاف : أجل، كما لو كان الشيطان قد تدخّل في الأمر. فثلاثة منهم أوغاد وثلاثة أنذال، وكلهم بملابس خضراء أقبلوا عليّ من خلف ظهري، وهاجموني في حلك الليل الدامس، يا هال. بحيث إن رفعت يدك لا تبصرها من شدة الظلام.
الأمير هنري : هذه الأكاذيب شبيهة بمن يستنبطها، فهي ضخمة كالجبال، ووقحة كالعاهرات، وملموسة كيدك المرتجفة. تباً لك، يا صاحب الدماغ المتحجّر والرأس

المحشو نخالة، يا ابن الحرام الدنيء، يا كتلة الدهن المترهّل.

فالستاف : اتنعتني بكل هذه الأوصاف؟ هل جننت كي لا تصدّق الحقيقة الناصعة؟

الأمير هنري : أخبرني كيف عرفت انهم يرتدون ملابس خضراء، وأنت تؤكد أن الظلام كان فاحم السواد الى درجة أنك لا ترى يدك اذا رفعتها في الهواء. هيا قدّم لي أي اثبات علىٍ صحة كلامك.

بوينز : هيا قدم برهانا، يا جاك، أي برهان.

فالستاف : أتريدني أن أقدّم البرهان مرغماً؟ لا، لا. حتى عندما أُسام كل عذابات الدنيا، لن أناقض ما قد أعلنته. أتودّ حقاً أن أقدّم لك برهاناً وأنا مرغم. لا، لا. بينما البراهين عديدة كثمار التوت على أغصان الشجر. أنا غير مستعد أن أقدّم أي برهان بالغصب.

الأمير هنري : وأنا لا أريد أن أكون شريكك في هذا الكذب المفضوح أكثر مما فعلت لأن هذا الجبان الوقح، هذا المتسلل كاللص الى سرير مدّعي الصدق، هذا المنافق المحتال، هذا الجبل من الشحم واللحم...

فالستاف : قف عند حدّك، يا من تموت من الجوع، يا صاحب الجلد الأجرب، يا لسان العجل المجفّف، يا رأس الثور، يا كومة النفايات... ليت لساني يسعفني لأعدّد لك كل قبائحك التي لا تحصى.

الأمير هنري : هيا استرجع أنفاسك، ثم كرّر أقوالك السخيفة. وعندما تتعب من تعداد أوصافك البذيئة، دعني أصارحك بكلمة تستحقّها.

بوينز : اسمع، يا جاك.

الأمير هنري : كلانا رأينا، حين وقعنا نحن الأربعة على أربعة رجال، كيف سلبتموهم واستوليتم على ما معهم... اسمعوا الآن هذه القصة الطريفة التي ستخجلكم... اذا كلانا وقعنا عليكم أنتم الأربعة، وبكلمة وجيزة جعلناكم تتخلّون عما جمعتم من غنائم واستأثرنا بها بشكل يمكّننا من أن نريكم اياها ها هنا. أما أنت، يا فالستاف، فقد نقلت ما يخصك بخفة وسرعة ومهارة منقطعة النظير. وبينما كنت تركض، صرخت : العفو. كأنك عجل يجأر خائفاً وهو يقاد الى المسلخ للذبح. ما أتعسك من ضارب بالسيف ثلّمته قلّة براعتك وادّعيت انه أصبح هكذا نتيجة مقارعتك أعداءك في ساحة القتال. ما أمهرك بالتهرّب من مسؤولياتك، فأي عذر تقدّم الآن وأنت غارق في مأزق عويص من الجهل والفوضى؟

بوينز : هيا، نحن كلّنا آذان صاغية لسماعك، يا جاك. فأي عذر لديك بعد الآن.

فالستاف : أنا أعرفك حق المعرفة نظير أهلك الذين ربّوك. أصغوا اليّ، يا سادتي. هل كان عليّ أن أقتل الوريث المرتقب وهل كان عليّ أن أتآمر على الأمير الشرعي؟ أنت تعلم اني باسل كالجبار هرقل. ولكن لاحظ ردّة فعل الغريزة : ملك الوحوش لا يهاجم أبداً أميراً أصيلاً. أنا من طبعي أن أجبن، ولن تخامرني فكرة الشجاعة بالنسبة اليّ واليك طوال حياتي. طبعاً بالنسبة اليّ أن أتشبّه بملك الوحوش الشجاع وبالنسبة اليك كأمير اصيل. غير اني مسرور، يا فتيان، لأنكم تحتفظون ببعض المال. فيا مضيفتي العزيزة وأنت تنتظريني عند

الباب، اسهري الليلة وصلّي غداً. أنتم لصوص شبان خبرتكم قليلة، لكنكم كالأولاد قلوبكم طيبة. ويسعكم أن تتمتعوا بجميع خصال الأصدقاء المخلصين. أولا يحقّ لنا اذاً أن نتسلّى بمشاهدة مهزلة مرتجلة؟

الأمير هنري : انا موافق، وهربك سيكون موضوع هذه المهزلة الغريبة.

فالستاف : لا تتكلّم هكذا، يا هال، اذا كنت فعلاً تحبني.

(تدخل المضيفة).

المضيفة : يا الهي، هذا مولاي الأمير.

الأمير هنري : اذاً، يا سيدتي المضيفة، ماذا تريدين أن تقولي لي؟

المضيفة : أرجوك أن تعلم، يا مولاي، ان بالباب احد نبلاء البلاط يودّ أن يتحدّث اليك، ويقول انه قادم من قبل والدك.

الأمير هنري : اعطي هذا النبيل قطعة نقود من فئة كورون، وارسله الى والدتي...

فالستاف : الى أي نوع من الأشخاص ينتمي ؟

المضيفة : هو رجل مسنّ.

فالستاف : وماذا يفعل سيادته خارج سريره عند منتصف الليل؟ هل أردّ عليه بالجواب اللازم؟

الأمير هنري : أجل، أرجوك أن تفعل، يا جاك.

فالستاف : اذاً سأصرفه.

(يخرج).

الأمير هنري : بحق سيدتنا، يا معلمي، أُقرّ وأعترف بأنك قاتلت بشجاعة مشهودة، وأنت كذلك، يا بيتو، وأنت أيضاً، يا باردولف. ومع أنكم شجعان، قد هربتم بدافع

الغريزة، لأنكم لا تودّون أن تمسّوا الأمير الشرعي بسوء. لذا أقول تبًّا لكم.

باردولف : بذمّتي، أنا ركضت عندما شاهدت الآخرين يركضون.

الأمير هنري : قل لي الآن جدّيًّا كيف أصابت الثلوم سيف فالستاف؟

بيتو : لقد ثلّمها عمداً بخنجره، وأكّد لي انه سيبذل كل ما بوسعه، ويقسم بشرف انكلترا كي يقنعكم بأن ذلك حصل أثناء اشتراكه في القتال. ثم أوصانا بأن نفعل مثله.

باردولف : وطلب منا أيضاً أن نفرك أنوفنا ببعض الشوك لتخديشها وتلويثها بالدم، وأن نقسم ان هذا الدم سال في سياق المعركة بشكل يشرّف الرجال. وقد تصرّفت كما لم أتصرّف منذ سبعة أعوام، وخجلت من هذه الخدعات الشيطانية.

الأمير هنري : أيها الشقي، منذ ثمانية عشر عاماً، تناولت بالخفية كأساً من الخمرة وقد فوجئت وأنت تشربها. ومنذ ذلك الحين لم ينقطع وجهك عن الاحمرار غير المقصود. يوم ذاك كنت مسلّحاً بالحديد والنار، ومع ذلك ولّيت هارباً. فأية غريزة دفعتك الى الفرار ؟

باردولف (يشير الى وجهه الأحمر) : يا مولاي، هل تصدّق ان هذه الظواهر ناجمة عن الانفجارات؟

الأمير هنري : نعم.

باردولف : وعلام يدل ذلك، يا ترى؟

الأمير هنري : على ايمان حارّ وكيس يغصّ بالنقود.

باردولف : وعلى احتقان الكبد، يا مولاي، حسب رأي العارفين.

الأمير هنري : كلا، بل في نظر من يعرفك، ومن يتوقّع لك اقتراب حبل المشنقة من عنقك.

(يدخل فالستاف)

الأمير هنري (يواصل كلامه) : ها قد أتى جاك الهزيل الشبيه بالهيكل العظمي. فيا أيها المخلوق اللطيف السخيف، منذ كم من الوقت، يا جاك، نظرت الى ركبتك؟

فالستاف : ركبتي أنا؟ عندما كنت في مثل عمرك، يا هال. وكنت أنا رشيق القد رفيعاً كمخلب الهرّ، وكنت أنت تتسلّل من خلال خاتم يوضع عادةً في الابهام. تبًّا للآهات والأحزان، كم تنفخ الانسان وتجعله ككرة الثلج المتدحرجة المتضخّمة. هناك شائعات بذيئة تنتشر عن سرْ جون برسي الذي جاء من قِبَل والدك. لذا يجب عليك أن تذهب الى القصر غداً صباحاً. لأن هذا الخالي من الدماغ برسي، وهذا القادم من مقاطعة وايْلس الذي ضرب ابليس بالسياط، وخدع لوسيفوروس وأجبر زمرة الشياطين على أن يقسموا له أغلظ الأيمان... لست أدري كيف تدعو ذلك الوحش...

بوينز : تقصد كلانداور.

فالستاف : أوين، أجل أوين بالذات، وزوج شقيقته مورتيمور، والعجوز نورثمبرلند، وهذا الاسكتلندي، أعني أنشط اسكتلندي، يُدعى دوكلاس ويسرع على جواده الى أعلى الهضبة كلمح البصر.

الأمير هنري : ويهاجم على جواده وهو ينهب الأرض نهباً، ويقتل بغدّارته عصفوراً دوريًّا وهو طائر في الجو.

فالستاف : حقاً أصبت الهدف في صميمه.
الأمير هنري : وهو لم يصب يوماً أي عصفور.
فالستاف : أجل، هذا الوغد بارع، لكنه لا يستطيع الهرب.
الأمير هنري : ولماذا، يا غبي، تمتدحه على سرعته في الجري هكذا؟
فالستاف : انه سريع فقط على متن حصانه، يا مغفل. لكنه على قدميه لا يقوى على التحرك قيد خطوة واحدة.
الأمير هنري : انه يتصرف على هذا النحو بالغريزة، يا جاك.
فالستاف : انا لا أخالف رأيك انه يتصرف حسب غريزته. وهو يشبه هكذا شخصاً يدعى مرداك، والفاً من الاسكتلنديين. لقد هرب ورْسستر هذه الليلة. وهذا النبأ قد شيّب لحية أبيك، لذلك يمكنك الآن أن تشتري الأراضي العديدة بأسعار زهيدة كأنك تشتري سمكاً رخيص الصنف.
الأمير هنري : على الأرجح، اذا كان شهر حزيران حاراً، واذا دامت هذه المزاحمة المدنيّة، يسعنا أن نشتري بكارات العذارى كأننا نبتاع كميّة مسامير غليظة بالمئة قطعة.
فالستاف : بذمّتي، أنت تقول الحقيقة، يا فتى. ولا يُستبعد أن تعقد صفقات رابحة في هذا الباب. لكن، أخبرني، يا هال، أولست خائفاً من الإقدام على ذلك؟ وبصفتك كوريث مرتقب، هل يسع العالم أن يتحفك بثلاثة أخصام كهذا الشيطان دوكلاس وهذا المهرّج برسي وهذا الوحش الضاري كلانداور؟ في الحقيقة، ألست خائفاً؟ أولا ترتجف هلعاً أمام هذا الواقع الرهيب؟
الأمير هنري : كلاّ ثم كلاّ. أقسم لك اني بحاجة الى مثل غريزتك المستهترة كي لا أبالي بأي حدث.
فالستاف : لكن التهديد سينهال عليك غداً عندما تَمْثُل أمام والدك.

انا متعجّب ليس فقط من الأمكنة التي ترتادها بل من المجتمع المحيط بك. فبعكس نبتة البابونج التي تجود كلما أمعن الناس في دوسها، هكذا نلاحظ ان الشباب كلما ذهب هدراً إزداد هزالاً وخارت عزيمته. ولكي أوقن تماماً بأنك ولدي، سأستند الى تأكيدات أمك والى نظرتي الشخصية بنوع خاصّ. لكن بصورة أكيدة، أتّكل على غمزة عينيك وعلى انخفاض شفتك السفلى. فاذا كنت حقًّا ابني، ازداد عتبي عليك. لماذا، وأنت ولدي، تتصرف بشكل يدع الشامتين يدلّون عليك بالأصبع؟ هل يجوز أن أشاهد ابن السماء المشرق المحيا يهرب من المدرسة لكي يذهب الى البرية ويأكل الفواكه الرديئة هناك؟ هذا ليس سؤالاً يطرح على أمثالك. وهل يعقل أن نرى ابن انكلترا يمسي سارقاً يسلب الناس اكياس نقودهم. هذه هي المعضلة المعيبة. هناك أمور، يا هاري، طالما سمعت شتى الانتقادات عنها وأضحى عدد كبير من أهالي بلادنا يعرفونها باسم « الزفت الأسود ». وهذا الزفت بحسب تقارير الكتّاب القدماء، قصصه قاتمة للغاية كلونه الأسود. هكذا هو المجتمع الذي تعاشره. فالآن، يا هاري، تجدني أكلّمك والدمع يجول في عينيّ، وأنا فريسة اللوعة والأسى، لأني غارق في لجج اليأس لا في بحر الابتهاج. تؤلمني الجراح العميقة لا الكلمات الفارغة التي لا يُعوَّل عليها... مع ذلك هناك رجل فاضل لاحظت وجوده في صحبتك بدون أن أعرف اسمه.

الأمير هنري : أي نوع من الأشخاص هو؟ أرجوك أن توضح لي يا صاحب الجلالة.

فالستاف : هو رجل أنيق الهندام، بدين مرح زاهي النظرة نبيل التصرف، متقدم في السنّ تخطّى الخمسين من العمر على ما أظن أو هو في حدود الستين. تذكرت الآن ان اسمه فالستاف. فإن بدا عليه انه مستهتر، فمظهره هذا خدّاع. لأني، يا هاري، أقرأ عنوان الفضيلة في عينه. واذا كانت الشجرة تعرف من ثمرتها، والثمرة من شجرتها، فاني أعلن بكل ثقة ان هذا المدعو فالستاف ينطوي على العديد من المزايا والخصال الحميدة. عليك اذاً أن تتشبّث بي وتطردّ من حولك كل انسان سواي. والآن قل لي، أيها الولد الخبيث، أين كنت متوارياً طوال الشهر الحالي؟

الأمير هنري : هل هذا حديث ملوك؟ ضع ذاتك في مكاني، ودعني أمثّل دور والدي.

فالستاف : هل تنوي خلعي عن العرش؟ أؤكد لك انك لا تملك سوى نصف هيبتي ووقاري، قولاً وفعلاً. وإلا قبلتُ أن أُشنَق من رجليّ كأرنب بيتيّ صغير أو أرنب برّي كبير عند بائع طرائد الصيد.

الأمير هنري (يأخذ مكان فالستاف) : ها أنا ذا قد جلست في مكاني.

فالستاف : وها أنا قد وقفت أمامك، فاحكم عليّ أيها القاضي العادل.

الأمير هنري : من أين أنت قادم، يا هاري.

فالستاف : من ضاحية إيست شيب، يا مولاي النبيل.

الأمير هنري : لا يغرب عن بالك ان الشكاوى التي أتلقّاها عليك عديدة خطيرة.

فالستاف : صدقني، يا مولاي، انها كلها كاذبة. وأنت تعرف مدى استقامتي حيال أمير شابّ نظيرك.

الملك هنري: هل تُقْسم على ذلك، أيها الولد العاقّ؟ من الآن وصاعداً أحرّم عليك أن ترفع عينيك أمامي. لأنك خسرت كل عطفي ومودّتي بسبب الشيطان الذي يسكن في قلبك أيها البدين المسنّ، ما دمت شبيه برميل بشري. لماذا تحوي كل هذا المخزون من المزاجات الغريبة، ومن البهيمة المكبوتة في داخلك، ومن الرياء المتغلغل الى أعماق صدرك الموغر حقداً، وهذا الكرش المنفوخ في بطنك، وهذا الدنّ المملوء خمرة، وهذه الرذائل والمهازل والأباطيل الباهتة التي تطغى على تفكيرك المضعضع؟ ما فائدة تذوّق المشروب وابتلاعه جرعات كبيرة متتابعة؟ أجل ما فائدة تكديس كل هذه المآكل الدسمة وازدرادها بجشع لا يدرك الشبع؟ هل تعتبر براعة ومهارة ما تغدقه من التلاعب والخداع والابتذال، أيها الوغد اللئيم. قل لي بربّك، ما قيمة كل هذه الاستهتارات الدنيئة؟

فالستاف : ألتمس من سموّك أن تأذن لي بمرافقتك. فبماذا تريد أن تحدّثني يا صاحب السيادة؟

الأمير هنري: في موضوع هذا الغبي الشرير مفسد الشبيبة فالستاف، أيها الشيطان العجوز الشائب.

فالستاف : إن قلت إني أعرف سيئاتي أكثر مما أعرف حسناتي أكون صرّحت بأكثر مما أدري. أمّا ان أكون متقدّماً في السن، وهذا لا شك فيه، فان شعري الأبيض أصدق برهان على صحة كلامي. لكن أن أكون قوّاداً، مع شدة ما أحفظه من احترام لمقامك الرفيع، فأنا أنفي هذا الادّعاء نفياً قاطعاً جازماً. وإن كان شرب الخمرة

وأكل السكاكر من الجرائم، فاني استنزل رحمة الله على المذنبين. وإن كانت الشيخوخة والمرح من الخطايا فاني أعرف عدداً من الضيوف المسنّين الذين يستحقّون اللعنة، وإن كان الانسان البدين مكروهاً، وجب علينا أن نذمّ عجول فرعون الهزيلة. لا، لا، يا مولاي الكريم، اطرد عنك بيتو وباردولف وبوينز، ولكن لا تبعدني عنك أنا خادمك المتواضع جاك فالستاف. لأني الشخص الجريء الوفي الذي يكنّ لك كل الولاء الخالص، يا مولاي الحبيب هالي. وإبعادي عنك، أنا جاك الظريف، يعني إبعاد كل الناس الصالحين عن محيطك.

الأمير هنري : أنا أودّ إبعادك، ولكني أصرّ على بقائك بقربي.

(يُطرق الباب. تخرج المضيفة بصحبة فرنسيس وباردولف).

(يدخل باردولف ثانية وهو يركض).

باردولف : مولاي، مولاي، رجل الأمن واقف بالباب، ومعه ثلّة من الحرس الرهيب.

فالستاف : اليك عني، أيها الغبي.

(تدخل المضيفة ثانية باستعجال).

المضيفة : يا الهي، انتبه، يا مولاي.

فالستاف : حذار، فإبليس يركض مسرعاً على صهوة جواده فوق قوس آلة الكمان الموسيقية. فما الخبر؟

المضيفة : رجل الأمن مع حرسه بكامله ينتظرون عند الباب. وقد جاؤوا لتفتيش المنزل. فهل عليّ أن أدعهم يدخلون.

(يشير الأمير بيده بالقبول).

فالستاف : هل سمعت، يا هال؟ عليك أن لا ترضى بقبض قطعة عملةٍ مزيّفة كأنها ليرة ذهباً. وإلاّ كنت أكبر المغفّلين بدون أن تدري.

الأمير هنري : أنت أكبر الجبناء بالغريزة.

فالستاف : انا أنكر أهمّ بوادر صداقتك اذا رفضت استقبال رجل الأمن كما يجب. وإلاّ، دعه يدخل حالاً. وان لم أكن فطناً حاضر الذهن كغيري فتبًّا لتربيتي الفاشلة. واذا كان الأمر كذلك فأنا أتمنّى أن أعلَّق بحبل المشنقة سريعاً نظير سواي من المغرورين السذّج.

الأمير هنري : اذهب واختبئ خلف الجدرانية، وليصعد الآخرون الى الطابق العلوي. آه، يا سادتي، كل الأمور تهون التضحية بها لصيانة الشهامة والضمير الحيّ.

فالستاف : أنا كنت متشبّثاً بكليهما. لكن أيامهما دالت، ولذلك تراني أتوارى.

(الجميع يتمهّلون ما عدا الأمير وبوينز).

الأمير هنري : أَدخِلْ رجل الأمن.

(يدخل رجل الأمن وسائق العربة).

الأمير هنري (يواصل كلامه) : ماذا تريد مني، يا رجل الأمن؟

رجل الأمن : أولاً، أعذرني، يا مولاي، لأن السلطة العامة تلاحق بعض المطلوبين الفارين من وجه العدالة حتى داخل هذا المكان.

الأمير هنري : من تعني من الأشخاص؟

رجل الأمن : أحدهم معروف جداً، يا مولاي الكريم، وهو رجل ضخم الجسم.

السائق : أجل ضخم كأنه محشوّ دهناً.

الأمير هنري : أؤكد لك ان هذا الشخص ليس هنا، لأني أنا بذاتي أصدرت له أمر مهمّة منذ برهة. لكن، يا رجل الأمن، ثق بكلامي اني سأرسله اليك غداً قبل موعد العشاء ليجيب على اسئلتك أو أسئلة مسؤول غيرك عن كل ما يمكن الاستفسار عنه بخصوص مهمّته. وبناءً على ذلك، أرجوك أن تغادر هذا المنزل.

رجل الأمن : أمرك مطاع، يا مولاي. أرجوك أن تأخذ علماً بأن وجيهين قد فقدا في عملية سطو وسلبٍ مبلغ ثلاثمئة مارك.

الملك هنري: هذا غير مستبعد. وإن كان فعلاً قد نهب هذين الرجلين، فلا بد له من أن يؤدي حساباً عن جريرته المشينة. على كل حال، الوداع.

رجل الأمن : ليلتك سعيدة، يا مولاي النبيل.

الأمير هنري : أو بالحري، نهارك سعيد. أليس كذلك؟

رجل الأمن : فعلاً، يا مولاي. أعتقد ان الساعة الآن تجاوزت الثانية صباحاً.

(يخرج رجل الأمن وسائق العربة).

الأمير هنري : هذا الوغد اللئيم شهيرٌ كشخصية فريدة. هيا نادهِ ليأتي الى هنا.

بوينز (يرفع الجدرانية التي يختبئ وراءها فالستاف) : يا فالستاف... هو غائص في بحر النوم خلف هذه الجدرانية، ويشخر كما يصهل الحصان.

الأمير هنري : اسمع كيف يتنفّس بصعوبة نظراً الى بدانته. فتّش جيوبه (بوينز يفتش جيوب فالستاف ويسحب منها أوراقاً). ماذا وجدت؟

بوينز : ليس فيها سوى أوراق، يا مولاي.

الأمير هنري : انظر ما هي؟ إقرأها.

بوينز (وهو يتفحّص إحدى الأوراق ويقرأ) :

الصنف	بسعر بنس	شلن
خبز محمّص	٢	٢
نقانق	٤	—
كالون خمرة عدد ٢	٨	٥
سمك أنْشوَا وخمرة بعد العشاء	٦	٢
خبز عادي	١/٢	—

الأمير هنري : يا للفظاعة. لم يأكل غير ما قيمته نصف بنس من الخبز بالنسبة الى هذه الكمية الكبيرة من الخمرة. إطوِ باقي الأوراق لنقرأها فيما بعد بتأنٍّ، ولنتركه يرقد حتى الصباح. لأني أنوي الذهاب الى القصر قبل الظهر. سنذهب كلنا الى الحرب، وستُكلَّف أنت بمهمة مشرّفة. أما هذا الغبي البدين فأخصّه بعملٍ شاقّ في فرقة المشاة. وأنا على يقين بأن السير مسافة خمسة آلاف يرْد سيرهقه وربما سبّب له الموت. وسيسترد ماله مع الربى. فما عليك إلاّ أن توافيني باكراً قبل ظهر الغد. والآن ليلتك سعيدة، يا بوينز.

بوينز : ليلتك سعيدة، يا مولاي الكريم.

(يخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في بنْكور عند رئيس الشمامسة

(يدخل هاتسبر وورسستر ومورتيمور وكلانْداوْر)

مورتيمور : الوعود برّاقة، والأشخاص أمناء، وفاتحة عملنا توحي بأطيب الآمال والنتائج.

هاتسبر : أنت واللورد مورتيمور، يا ابن العم كلانداور، تفضّلوا بالجلوس. وأنت يا عمي ورسستر... تبّا لي. لقد نسيت الخريطة.

كلانداور : لا، لا، ها هي. إجلس، يا ابن عمي برسي، واجلس أنت أيضاً، يا ابن عمي هاتسبر. إذْ ان لنكاستر كلما دعاك بهذا الاسم يشحب لونه ويسحب الآهات من أعماق صدره، وهو يتمنى ان يراك قد صعدت الى السماء.

هاتسبر : كما نتمنى نحن أن نراك في الجحيم، كلما سمعنا إسم أُوين كلانداور.

كلانداور : لا يسعني ان ألومه. اذ حين وُلدتُ إمتلأ أديم السماء بأشكال ملتهبة وفوانيس مشعشعة. وعندما درجتُ في المشي اهتزّت الكرة الأرضية من أساساتها كما يرتجف الجبان الرعديد.

هاتسبر : لقد ظهرت بوادر عديدة مماثلة في ذلك الزمان. وحين وضعت هرّة والدتك صغارها، ربما لم تكن أنت قد أصبحت في عداد مواليد هذه الدنيا.

كلانداور : قلت ان الأرض زلزلت عندما جئت انا الى هذا العالم العجيب.

هاتسبر : اذاً اهتزّت الأرض عندما رأت السماء تشتعل، وليس لأنك افزعتها بمجيئك. فالطبيعة المريضة كثيراً ما تنتفض وتنفجر بصورة غامضة لا تفسير لها. وغالباً ما ينتاب الأرض نوع من المخاض العسير وتهبّ عليها الرياح الهوجاء السجينة في باطنها، فتبحث عن مخرج وتجعل الأرض ترتعش وتهزّ قباب الأجراس والأبراج العالية التي يكسوها الطحلب الأخضر... ومنذ مولدك أصاب جدتنا الأرض بعض الانزعاج، فارتجّت هلعاً.

كلانداور : يا ابن عمي، لن أتحمّل ذكر هذه التناقضات على ألْسنة العديد من الناس. إسمح لي بأن أقول لك مرة أخرى أن أديم السماء عند مولدي كان حافلاً بأشكال ملتهبة، وان الماعز هرب الى الجبال، وان قطعان الغنم ملأت السهول بثغائها الغريب وهي واجمة. وقد جعلتني هذه العلامات إنساناً فريداً، إذْ أشارت كل تفاصيل حياتي الى اني رجل غير عادي. وفي حظيرتنا المحاطة بالبحر الهادر على سواحل انكلترا واسكتلندا ومقاطعة وايْلس، أين هو المخلوق الجريء الذي يمكنه

أن يدعوني تلميذه، أو يلقّنني درساً في الشهامة والمروءة؟ مع ذلك إبحث عن ابن امرأة يستطيع أن يتبعني على دروب العلم المتعرّجة ويمشي الى جانبي فوق قمم تجارب الحياة.

هاتسبر : أعتقد أن لا أحد يجيد أحسن منك اللغة الوايْلسيّة... أريد أن أتناول طعام غدائي.

مورتيمور : أختم حديثك معه، يا ابن عمي برسي... وإلا دفعته الى حافة الجنون.

كلانداور : أنا أستطيع أن أستحضر الأرواح من قعر الهاوية.

هاتسبر : وأنا أيضاً استطيع أن أفعل ذلك كما يمكن أن يصنعه أي إنسان. ولكن، هل ترضى بالعودة الى مقرها بعد استحضارها؟

كلانداور : أجل، ويمكنني أن أعلّمك، يا ابن العمّ، كيف تتحكّم أنت أيضاً بالأبالسة.

هاتسبر : وأنا أستطيع أن أعلمك، يا ابن عمي الصغير، كيف تسيطر على الشيطان، وأنت تقول الحقيقة المجرّدة. أجل، بقولك الحقيقة تخذي ابليس. وإن استطعت الاتيان على ذكره، أجلبْه الى هنا، وأنا أقسم باني سأقوى على طرده بمجرد السيطرة عليه. أردّد لك وصيتي بأن تقول الحق طوال حياتك وبذلك تخذي ابليس وتتغلّب عليه.

مورتيمور : هيا، هيا كفّ عن هذه الثرثرة التي لا يرجى منها أي خير.

كلانداور : هنري بولينْبروك جابه سلطتي ثلاث مرات. نعم، ثلاث مرات من ضفاف نهر « وي » ومن رمال سافيرن،

فطردته عارياً بدون رحمة ولا شفقة أثناء هبوب العاصفة.

هاتسبر : هل طردته عارياً أثناء الأنواء القاسية؟ قل لي، بربك، كيف توصّل الى اخفاء ما أصابه من الحمّى؟

كلانداور : ها هيذا الخريطة. فلنتقاسم أملاكنا حسب اتفاقنا الثلاثي.

(يحدّق الجميع الى خريطة نشرها كلانداور).

مورتيمور : رئيس الشمامسة شطرها الى ثلاثة أقسام متساوية. فجاءت حصتي انلكترا ابتداء من ترانْت وسافيرن حتى هنا، في الشمال وفي الشرق. وفي الغرب من مقاطعة وايْلس الى ما بعد سافيرن، وكل الأراضي الخصبة المنبسطة ضمن نطاق هذه الحدود أضحت حصة أُوين كلانداور. اما حصتك أنت، يا ابن عمي العزيز، فهي الشمال برمّته اعتباراً من ترانْت. وبعد ان وُضعت نصوص اتفاقيّتنا الثلاثية، لم يبقَ سوى ان نصدّقها نحن. وهذا ما يمكن أن يتمّ هذا المساء بالذات. وغداً، يا ابن عمي برسي، نذهب انا وأنت ولورد ورسستر لنقابل اباك وأركان الجيش الاسكتلندي حسب اتفاقنا في شروز بري. لأن والدي كلانداور غير مستعد بعد، ولن نحتاج الى أية مساعدة قبل أربعة عشر يوماً. (لكلانداور) في هذه الأثناء، يمكنك أن تجمع معاونيك وأصدقاءك ووجهاء جواريك.

كلانداور : بعد وقت وجيز سأتقرّب اليك، يا مولاي. وستأتي سيّداتك الى هنا تحت حراستي. فلا بد لك من أن تنسحب في أقرب وقت بدون استئذانهن بالانصراف

إذ سينهال عليك الطوفان عندما ستفترق عنك نساؤك.

هاتسبر (ويده على الخريطة) : يخيّل اليّ ان حصتي في شمال بورْتن لا تعادل حصتك هنا. أنظر كيف ينساب النهر نحو أراضيّ متعرّجاً ويحذف قسماً ممتازاً من أملاكي بهيئة نصف بدر، وهذا في الواقع جزء كبير منها لا يستهان به. سأعترض مجرى النهر في هذا المكان، ليتدفّق نهر ترانْت الغزير الى هذه البقعة بشكل قناة جديدة متساوية ومباشرة بدون أن تتعرّج أكثر من سواها في مثل هذه الثلمة لاقتناص قسم خصب من أراضيّ.

كلاانداور : لن تتعرّج أبداً، بل ستتعرّج اذا لزم الأمر، كما ترون مناسباً.

مورتيمور : أجل، ولكن لاحظوا ان النهر يواصل مجراه ويعود الى أراضيّ بصورة عكسيّة ليعوّض عليكم خسارتكم. وهكذا يمنحكم مقداراً من الأرض يعادل ما يحرمكم اياه من جهة أخرى.

ورسستر : نعم. ولكننا نستطيع بأقلّ خسارة ممكنة أن نربح هذا الرأس من الشاطئ الشمالي إذا جعلنا النهر يجري رأساً بصورة متوازية.

هاتسبر : انا أريد أن يتحوّر هكذا. وهذا لا يكلّفنا كثيراً.

كلاانداور : أمّا أنا فلا أرضى بإجراء التغييرات المذكورة.

هاتسبر : ألا تريدها؟

كلاانداور : كلا، ولن تقوم بها أنت أبداً.

هاتسبر : ومن الذي يمنعني؟

كلاانداور : انا بذاتي.

هاتسبر : اذاً تصرّف على هواك، وتكلّم لغة وايْلس التي لا أفهمها.

كلانداور : انا أعرف اللغة الانكليزية جيداً، يا مولاي، كما تتقنها أنت. لأني ربيت في انكلترا وفي بلاطها بالذات. ومنذ حداثتي ألّفت لأجل العزف على القيتار عدداً من الأغاني الانكليزية الرائعة. وقد أضفت الى هذه اللغة تنميقات لم تتوصّل الى تطبيقها أنت شخصياً.

هاتسبر : أهنّئك من كل قلبي. أنا أفضّل أن أكون هرًّا وأصرخ مياو على أن أكون مؤلف اناشيد. كما أفضّل أن استمع الى خنّة جرس من نحاس مكسور أوْ أي دولاب يحدث صريراً عندما يدور حول محوره. لأن هذه الأصوات لا تثير أعصابي نظير هذه الأشعار السخيفة التي تشبه عويل مهووس مطارَد.

كلانداور : على كل حال سنغيّر لك مجرى نهر ترانْت.

هاتسبر : هذا لا يهمني، إذْ اني مستعد أن أتنازل لأحد الأصدقاء المخلصين عن ثلاثة أضعاف ما أخسره من الأرض حسب مشروعك. لكنني سأساوم طبعاً عند المفاوضة على جزء من عشرة أجزاء الشعرة الواحدة، اذا اقتضى الأمر. ها هي الاتفاقيات جاهزة، فهيّا الى ابرامها.

كلانداور : ضوء القمر جميل، ويسعك أن تذهب ليلاً. سأستعجل في استقدام الكاتب، وسأُعلم نساءك برحيلك. غير أني أخشى أن يجنّ جنون ابنتي لما سيصدر عنهن من الهذيان في موضوع مورتيمور.

(يخرج).

مورتيمور : تبًّا لك، يا ابن عمي برسي، لأنك تعاند أبي الى هذا الحدّ.

هاتسبر : لا حيلة لي بالامتناع عن ذلك. لأنه يخرجني أحياناً

عن صبري حين يحدّثني عن الخلد والنملة وعن صاحب الرؤى ميرْلان، وعن تنبّؤاته، وعن التنّين وعن السمك الخالي من الزعانف، وعن النسر المقصّف البراثن، والغراب الذي يموء، ولست أدري عن أية غرائب أخرى لا أتحمل سماع ذكرها أمامي. أودّ أن أعلمك بإنه تشبّث بي الليلة الماضية طوال تسع ساعات على الأقل ليعدّد لي أسماء شتى الأبالسة الذين يخدمونه. فصرخت في وجهه : « دعني منك، يمكنك أن تواصل حديثك إن شئت ». ولكني لم أفهم ولا كلمة ممّا سرده لي. حقًّا هو مملّ مثل حصان مرهق بطيء، وامرأة ثرثارة مزعجة، وبيت يعجّ بالدخان الكثيف. لذا أفضّل أن أعيش على أكْل الجبنة والزيتون في طاحون هواء بعيداً جداً، ولا أتغذّى بالأطعمة الدسمة وأسمعه ينقّ كالضفادع في أي بيت تضيق به النفس.

موررتيمور : لا أنكر انه وجيه كريم الأخلاق عالي الثقافة واسع الاطلاع يُلمّ بكل غريب من الأسرار. هو شجاع سخيّ عطوف وفياض العطاء كمناجم الهند. هل تريد المزيد، يا ابن عمي؟ خصاله حميدة ووفاؤه غير محدود لا سيما حيالك أنت. واذا حاولت أن تشاكسه، ربما أدهشك منه بعض العنف والبطش. لكن، لكي تثير استياءه لا بد لك من أن تتحدّاه وتجابهه كما أفعل انا أحياناً، ولكن بدون أن تتوصّل الى اخراجه تماماً عن رصانته وهدوئه. على كل حال، أستحلفك وأوصيك بأن لا تعيد الكرّة لمضايقته.

ورسستر : في الحقيقة، أنت تتعدّى الحدود في عنادك. فمنذ

وصولك الى هنا لم تكفّ عن دفعه الى حافّة الغضب. عليك أن تجتهد، يا مولاي، لتصلح نقيصتك هذه. لأنه مع كل ما يبديه من كبر النفس والبسالة والنبل، وهذا هو المثال الأعلى الذي يجب عليك أن تقتدي به، لا يُستغرب أبداً في خاتمة المطاف أن يستشيط غيظاً فيخرج عن تحفّظه بداعي ما تستفزّه به غالباً من الهزء والازدراء. وأقلّ هذه الآفات عندما تسيطر على أي رجل حكيم بصير أن تستبدّ به طبيعته الانسانية الضعيفة حيال المصاعب والشدائد، وتوقظ فيه غريزة الدفاع عن نفسه ودرء الخطر عن أمنه وطمأنينته.

هاتسبر : ها أناذا عدت الى المدرسة لتعلّمني حسن السلوك والتدبير. بما ان نساءك قد رجعن، عليّ أن أستأذنهن بالانصراف.

(يعود كلانداور بصحبة السيد مورتيمور والسيدة برسي).

مورتيمور : هناك أمر يضايقني جداً، هو أن زوجتي لا تعرف الانكليزية، وأنا لا أعرف لغة وايْلس.

كلانداور : ابنتي تبكي لأنها لا تريد الابتعاد عنك، وتصرّ على أن تتجنّد هي أيضاً لتذهب وتحارب وتظل دوماً بمعيّتك.

مورتيمور : أبتِ العزيز، قلْ له إني أنا وعمّي برسي نريد أن نذهب اليه برفقتك.

(كلانداور يكلّم ابنته بلغة وايْلس وتجيبه باللغة نفسها).

كلانداور : هي مصرّة على فكرتها وتتشبّث بها بغباء وعناد بدون أن تريد الاصغاء الى صوت التعقّل.

(السيدة مورتيمور تخاطب مورتيمور بلغة وايْلس).

مورتيمور : انا ادرك مرامك وأفهم جيداً اللغة الوايلسيّة التي تتحدثين بها. ولولا الحياء لأجبتك بألفاظها. (تعانقه السيدة مورتيمور وهي تخاطبه). أنا أفهم معنى قبلاتك، كما أنتِ تفهمين معنى قبلاتي. وهذا لعمري، تخاطب مشكور. لكني لن أرتاح، يا حبيبتي، اذا لم أُتقن لهجتكِ. لأن هذه اللغة الوايْلسية رخيمة للغاية لا سيما على لسانك، ونبرتها شجية ساحرة، كأنها أنغام عود بارعة ترافقها وتزيدها نعومة وحلاوة، وهي تخرج من فم ملكة رائعة تحت أغصان شجرة ظليلة.

كلانداور : ان أمعنت في حديثك الجذّاب ستدفعها الى حافّة الهوس.

(تواصل السيدة مورتيمور كلامها).

مورتيمور : ما أشدّ جهلي في هذا المجال.

كلانداور : لقد طلبتْ منك أن تستلقي على بساط سندسي للاسترخاء، وأن تضع رأسك على ركبتيها. عندئذ ستنشد كل ما يعجبك من الأغاني، فتكتحل عيناك بهدوء الرقاد، وأنت تتأرجح بين صفاء السهر وهناء الغفوة، حين تلوح تباشير الفجر المتلألئ معلنةً في الأفق قرب طلوع النهار واطلالة ربّة النور آتية من المشرق تتهادى في هالةٍ ذهبية من السحر والضياء.

مورتيمور : أنا أرغب في التمتّع بهذا المنظر البهيّ من كل جوارحي. ولذا سأجلس وأستمع اليها بانتباه كلّي، ريثما تتمّ كتابة نصوص العقد.

كلانداور : أجل، إجلس. فالموسيقيون سيعزفون ألحاناً تطرب كل

من يسمعها بارتياح ولو عن بعد ميل، وقد أوشكوا أن يصلوا الينا. فبالله عليك، إجلس واستمع.

هاتسبر (للسيدة برسي) : تعالي، يا كايْت؛ كم تبدين رائعة وأنتِ متمدّدة. هيا عجّلي، عجّلي كي أُلْقي برأسي على حضنك.

السيدة برسي: هيا يا زرزور.

(يتمتم كلانداور ببضع كلمات باللغة الوايلسيّة. ثم تصدح الموسيقى حالاً).

هاتسبر : الآن أيقنت ان الشيطان يتقن لغة وايلس. ولا أستغرب ان يبرع فيها لأنه علاوة على ذلك موسيقي ماهر.

السيدة برسي: ألاحظ ان الموسيقى متغلغلة في أعماق روحك. لأنك منصرف بكليّتك الى الطرب والاستمتاع. إلزم الهدوء، أيها المحتال، واستمع اليّ وأنا أنشد لك باللغة الوايلسية.

هاتسبر : أحبُّ عليّ أن أصغي اليك، يا سيدتي الجميلة، وأنت تغني باللغة الاسكتلندية.

السيدة برسي: هل تريد أن تصمّ أذنيك؟

هاتسبر : كلا، بالعكس.

السيدة برسي: اذاً إلزم الصمت والهدوء.

هاتسبر : هذا ما لا أريد أن أتقيّد به، لأنه من شِيَم النساء.

السيدة برسي: والآن، رافقتك السلامة.

هاتسبر : الى سرير السيدة الوايلسية اذاً.

السيدة برسي: ماذا تقول؟

هاتسبر : مهلاً اصغي اليها وهي تنشد.

(تنشد السيدة مورتيمور أغنية وايلسيّة).

هاتسبر (يواصل كلامه) : هيا يا كايْت، أريد أن أسمع أغنية منك أيضاً.

السيدة برسي: منّي أنا؟ كلاّ ثم كلا. أعفِني منها، بحق السماء.

هاتسبر : بربّك، هل يمكنك أن ترفضي؟ لعمري أنت تتصرّفين هكذا كأنك زوجة بائع حلوى في سوق الرخص. صدقيني ان هذا التشبيه صادق وأكيد كوجودي في هذه الدنيا. سامحني الله، بل هو أكيد مثل وضح النهار. ما لي ألقي محاضرة بليغة كهذه، كما لو لم أذهب للتنزّه الى أبعد من منطقة فينْسْبري. إحلفي لي، يا كايت، كسيدة أصيلة انك تحبّين محاضراتي الجدّيّة التي تملأ الدماغ حكمة وأفكاراً سديدة، وتبدو كأنها قرص حلوى فاخرة مزدانة بورود من السكّر تزهو بالألوان الجذّابة. هيّا، بربّك، أنشدي.

السيدة برسي: لا، لا أريد أن أغنّي.

هاتسبر : مع ان ذلك أفضل سبيل الى الاسترضاء والاستمالة. فاذا كان تجهيز العقد على وشك أن يتمّ، سأغادر قبل مرور ساعتين من الزمان. على كل حال، يمكنك أن تأتي متى شئت.

(يخرج).

كلانداور : تعال، تعال، يا لورد مورتيمور. أراك بطيئاً بعكس لورد برسي الذي يُعجّل دوماً في ذهابه. الآن تمّت كتابة اتفاقيتك، ولم يبقَ علينا سوى ختمها بالشمع الأحمر. ثم يمكنك أن تمتطي حالاً جوادك السريع وترحل.

مورتيمور : بكل ممنونية.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في قصر الملك بلندن

(يدخل الملك هنري والأمير هنري وبعض اللوردات).

الملك هنري: أرجوكم، أيها اللوردات، ان تتركونا أنا وأمير وايْلُس وحدنا للتداول بأمر خاصّ. لكن لا تبتعدوا لأننا سنحتاج اليكم عمّا قريب. (يخرج اللوردات). لست أدري اذا كان الله بسبب بعض أخطاء ارتكبتها سيعاقبني ويبليني بعلّة مزمنة. لكن من جراء تقلُّب مزاجك ستقنعني بأنك ستتحوّل الى نار محرقة أو ضربة من السماء لمقاصصتي على عصياني. وإلّا، قلْ لي كيف يوفّق المجتمع الفاسد بين الميول المتهتكة الدنيئة والمشاغل السافلة المنحطة والملذات المستهترة من جهة، وبين سموّ الأصل وترفّع المستوى الذي يجب على قلب الأمير أن يبلغه من جهة أخرى.

الأمير هنري: اذا سمحت لي، يا صاحب الجلالة، سأبرّر سلوكي بسبب ارتكابي هذه الذنوب وغيرها من الزلّات المنسوبة اليّ. أولاً، دعني استرحمك وألتمس حلمك ورحابة صدرك. وعندما أفنّد كل قصصي التي بلغت مسامعك، يمكنك أن تصغي الى دفاعي عن نفسي حيال ما أطلقه بحقّي مستنبطو الروايات والأنباء المغرضة بدون أن يعذروا فورة شبابي، علّني أجد الى عفوك والى توبتي أقرب السبل الأمينة.

الملك هنري: سامحك الله. مع ذلك، دعني، يا هاري، استغرب

نزعاتك التي أخذت منحًى يخالف ما سلكه عظماء أجدادك. فلقد فقدت مقعدك في المجلس بصورة شاذّة فشغله أخوك الأصغر. وهكذا نفرتْ منك قلوب جميع امراء البلاط والأقرباء. وانهارت كافة الآمال المعلّقة على مستقبلك الزاهر. ولم يبقَ شخص واحد لا يتوقع انهيارك قريباً. فلو كنت أنا ضحّيت نفسي على مذبح شهواتي وأهوائي، واستهنت بكرامتي أمام رجال الدولة وتدنّيت وتذللت نظيرك حيال مجتمع بذيء حقير، لكان الرأي العام الذي دعمني لاعتلاء العرش أهملني وظلّ مخلصاً لسيّد الموقف آنذاك، ولكان أقصاني الى أبعد منفى موحش كإنسان مغمور لا حول ولا قوة له. وبما إن ظهوري بين الناس كان نادراً لم أستطع التحرك بحرية كي لا أثير الدهشة مثل نجم مذنّب. فراح البعض يشير اليّ بالأصبع ويردّد مبتهجاً : ها هوذا. والبعض الآخر يصيح : أين هو بولينبروك، ومن هو؟ وهكذا تجنّبت كل الحفلات والتشريفات وبقيت معتصماً بحبل التواضع حتى انتزعت ولاء جميع القلوب وهتافات كافة الأفواه بحياتي، حتى أثناء حضور الملك المتوّج الذي سبقني في الجلوس على العرش. وهكذا حافظت على زهوّ هيبتي وبهاء تاجي عندما خلفته. فكان حضوري في كل مكان محترماً كملك حكيم عادل، محفوفاً بالتقدير والاجلال. وكان وجودي فيما بينهم كأنه عيد يحاط بالاكرام والمراسم البهيجة. اما الملك الطائش فكان يتنقّل بينهم كالمهرّج الغريب الأطوار، وكأنه لهيب هشيم، لم يلبث ان خبا وهجه لأنه لم يحافظ على وقار مقامه الرفيع

بين أعوانه المشعوذين المهووسين. فلوّث اسمه الكبير بصغاراتهم التافهة، ورغم سموّ منصبه المجيد كان يشجعّ ضحكات الغلمان الهازئين ومزاحهم السمج، ولا يعارض تطاول أفكار من يلوذ بحماه من المستهترين بالقيم الخيّرة : فكان أليف أهل الشارع ورفيق عامة الشعب. ولما كان كل يوم يُشبع نهم الناس الى رؤيته بات الجميع يأنفون مذاق هذا العسل المبتذل، ويشيحون بأنظارهم عن حضوره المتكرّر، كما يعاف لذيذ الحلوى من يتهافت باستمرار على ازدرادها بنهمٍ مفرط. وهكذا عندما يتجلّى بأبّهته في المناسبات كان يبدو كأنه عصفور عادي في مجموعات الطيور العائدة بأعداد كبيرة أثناء شهر حزيران، نسمع أصواتها ولا نأبه لرفع أنظارنا اليها كي نعجب بها. وإن اتجهت اليها العيون فكأنها تنظر الى مشهد يومي لا يستلفت الانتباه. لأن العيون قد سئمت رؤياه ولم يعد إشعاع تاجه يبهر ويشد اليه ألحاظ المعجبين، وقد أِلفت منظره كل يوم. فكان الناس يتطلعون اليه بعيون ناعسة مثقلة الأجفان لا رهجة تجتذبها لتظلّ شاخصة مشدودة الى جلال عظمته المتجدّدة. وكان حضوره المتواصل بين رعاياه يجعلهم يعتبرون وجوده أمراً عادياً لا يلبث المرء أن يملّه لكثرة تكراره. هكذا أنت أيضاً فقدت بريق مكانتك العالية وأضحى معظم عارفيك يعتبرون شخصك المميّز كإنسان عادي تعبت من مشاهدته العيون بدلاً من أن تكون منجذبة اليك حين تسمح الظروف الاستثنائية بلقائك، رغم ما أُضفي عليك بمهابتي واعتباري

بصفتك ابني ووريثي من هالة فريدة وهّاجة، أفقدتها روعتها بمباذلك المستهجنة.

الأمير هنري : أعدك، يا مولاي الكريم، أن أكون في المستقبل بمستوى مكانتي المرموقة.

الملك هنري: ان وضعك الحالي، لعمري يشابه ما كان عليه سلفي رتشرد حين ذهبت الى فرنسا ونزلت من السفينة في مرفأ رافنْسْبرْك. وما كنت انا عليه آنذاك هو تماماً حال برسي في هذه الأيام. أقسم بصولجاني، ان له في الوقت الحاضر من السلطة والاحترام أكثر ممّا لك الآن، لأنك تتصرّف كأنك خيال وليّ العهد، تتجاهل ما لك من حقوق لا بدّ من أن تتمتع بها في رحاب المملكة. فهو يلبّي نداء واجبه بينما أنت لا تقوم بما تقتضيه مسؤولياتك، رغم الأخذ بعين الاعتبار ما بينكما من فارق العمر يساعده على تحميس عدد كبير من اللوردات والأساقفة المحترمين لتأدية مهمّاتهم الشاقة. وما جنى من غار الأمجاد على حساب الشهير دوكلاس الذي، بفضل اندفاعه الجريء وتفوّقه العسكري، ارتقى الى أعلى رتب الجندية واكتسب لقب القائد الأعلى عن جدارة في جميع أنحاء هذه البقعة من العالم. ثلاث مرات تغلّب هاتسبر الشبيه بإله الحرب مارس، وهو المقاتل الجبار الذي لا يُقهر، على دوكلاس الكبير في عدة مجابهات، وأسرَه ثم أطلق سراحه وصادقه. وها هو الآن يرفع صوته متحدّياً ويهزّ دعائم السلام والأمن الذي يستند اليها عرشنا الوطيد. فما قولك بكل ذلك؟ ان برسي ونورمبرلند

وسيادة رئيس اساقفة يورك ودوكلاس ومورتيمور تحالفوا كلهم علينا وهم يحاربوننا... لكن، لماذا أصارحك بكل هذه الأمور؟ لماذا أحدثك عن أخصامي، يا هاري؟ وأنت أقرب الناس اليّ، تبدو كأنك من ألدّ أعدائي؟ ربما اجتذبوك، وبسبب أهوائك المنحرفة ومزاجك الغريب الأطوار، شجّعوك على إشهار السلاح في وجهي ومقاتلتي لحساب برسي الذي تزحف انت على أعتابه وتتملّق أطماعه لتظهر له مدى ضعفك وانحطاط أخلاقك.

الأمير هنري : لا تصدّقه، لأن ما تذكره لن يتمّ أبداً. سامح الله من تكتّلوا عليّ لاظهاري بهذه الأوصاف غير اللائقة في نظر جلالتك. انا مستعد لتبديد كل هذه الشكوك وتحطيمها على رأس برسي النّمام. وفي خاتمة المطاف عندما تتألّق أمجاد عمري، سأفتخر بأن أبرهن لك اني شبلك، يا أيها الأسد الشموخ. عندئذٍ سأرتدي حلّتي الفاخرة وأخفي معالم مجوني وراء قناع من المجد الذي أمحو به، بعد أن اكتسبه، كل ما تلومني عليه من التهاون والاستهتار. وسيكون ذلك اليوم أول عهد تبرز فيه من خلف الغيوم شمسي المتألّقة. فأصون كرامتي انا الابن الذي يتباهى بي والدي وأخسف شهرة الفارس المغامر هاتسبر حين ألتقي به قريباً ان شاء الله. فمهما تكدّست المآثر حول شخصه وتراكمت المعايب على رأسي، سيأتي زمن أجبر فيه هذا البطل الشمالي على استبدال أمجاده بحقاراتي غير المرغوبة. مولاي الفاضل، أودّ أن تعلم ان برسي ليس سوى أجير مُكلّف بتجميع كمّيات من الحسنات

لصالحي، وسأضطرّه الى تأدية حساب عسير لشخصيتي البارزة، فيعوّض لي أقلّ بارقة مجد تضعف وهج مديحه، وإن دعاني الأمر الى انتزاع ذلك من بين ضلوعه. هذا ما أعدك به هنا الآن، ويشهد الله على صدق نيّتي. فان شئت، يا مولاي، دعني ألتمس من جلالتك أن تسكب بلسم حلمك على جراح سلوكي غير اللائق. وإلّا، أضحت نهاية حياتي قريبة وانقطع كل ما بيننا من صلات مقدسة. فأنا أفضّل أن أموت مئة الف مرة قبل أن أنقض عهدي الحاسم هذا لك، يا مولاي وعلة وجودي على هذه الأرض وليّ نعمتي الى الأبد.

الملك هنري: هذا منك حكم بالإعدام على مئة الف متمرّد، لأني أعيد اليك فوراً كل مهامّك مع ثقتي الكاملة بمقدرتك واخلاصك.

(يدخل بلونْت).

الملك هنري (يواصل كلامه) : ما وراءك من أخبار، يا بلونْت؟ أراك كثير الاستعجال.

بلونت : جئت أعلمك الآن ان لورد مورتيمور أرسل من اسكتلندا يقول : ان دوكلاس والمتمردين الانكليز إلتحموا بتاريخ الحادي عشر من هذا الشهر في شروزْبري. فاذا وفى الجميع بما وعدوا، يكونون قد هدّدوا دولتنا بشكل لم يسبق له مثيل.

الملك هنري: ذهب كونْت ويستمورلند بصحبة ولده لورد جون لنْكاستر. وقد مرّت على هذا الحدث خمسة أيام. اذًا، يا هاري، ستمضي صباح الأربعاء القادم، وضحى

الخميس سنجدّ نحن أيضاً في السير، وسنلتقي عند « بريدج نورث ». وأنت، يا هاري، ستتّجه عن طريق كلوسسْتر شايْر. واذا حسبنا ما بقي علينا أن نفعله، نحتاج الى اثني عشر يوماً لتتلاقى جميع قواتنا في « بريدج نورث ». أمامنا اذاً أعمال كثيرة لا بد من إنجازها. فالى الأمام. وكلّما تأخّرنا، إغتنم عدوّنا الفرصة لرصّ صفوفه.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في حانة هور بإيست شيب

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : ألم يقلّ نشاطي، يا باردولف، منذ تلك العملية الأخيرة؟ أولم تتناقص ردة فعلي؟ أولم أتخاذل بسبب تقهقر صحتي؟ انظر كيف تراخى جلدي وبدا عليّ عجز الشيخوخة، كأني امرأة طاعنة في السنّ هرمة، وقد ذبلتُ كتفّاحة نخرها السوس. هيّا، أريد أن أندم سريعاً بينما لا يزال فيّ رمق من الحياة، إذ أشعر بأني لن ألْبث أن أفقد كل قواي. ولن يسعني عندئذ أن أتوب. ان كنت لم أنسَ منظر المعبد من الداخل، أكون كحبة البهار الجافة، أو كالحصان الغريق. أؤكد لك ان العشرة السيّئة هي أساس انحداري وهلاكي.

باردولف : يا سرْ جون، أنت تهدّ كيانك بيدك الى حدّ أنك لا تدع مجالاً لنفسك كي تعيش مدة طويلة.

فالستاف : أجل، هذه هي مشكلتي. هيّا، أنشدني أغنية حماسية تفرحني. كنت أتحلّى بالفضائل التي يحتاج اليها ازدهار حال كل وجيه. أجل، كنت رجلاً صالحاً مرموقاً. أسبّ قليلاً، لا ألْعب بالزهر أكثر من سبع مرات في الأسبوع طبعاً، ولا ارتاد الأماكن الخلاعية أكثر من مرة كل ربع ساعة. وقد استدنت أموالاً، وسدّدت ديوني ثلاث أو أربع مرات. أحب الحياة الممتعة حسب إمكاناتي. لكنني الآن أعيش وسط الفوضى وخارج نطاق جميع الامكانات المعقولة.

باردولف : هل تلاحظ، يا سرْ جون، انك بدين أكثر من اللازم، بل أكثر من كل ما يقبل به المنطق السليم، يا سرْ جون.

فالستاف : ان حسّنت أنت ملامح محياك، حسّنتُ أنا أسلوب حياتي. أنت قائدنا البحري، وبيدك دفّة مركبنا. لكننا نودّ أيضاً أن تكون فارساً يرفع عالياً نبراس أخلاقنا الحميدة.

باردولف : هيا، يا سر جون، لا تخشَ أن يجلب وجهي عليك النحس.

فالستاف : لا، لا، أقسم لك اني أكيّف تصرفاتي بشكل يجعل الناس يسيرون قدماً في السبيل السويّ. هذه لحظتي المشجّعة وفرصتي السانحة. بينما انا لا أنظر الى محياك بدون أن أفكر بنار جهنم، وبالغنيّ الذي كان يعيش متنعّماً وأضحى اليوم يتقلّى على جمر أعماله المشينة.

لو انصرفت أنت قليلاً الى التشبّث بأذيال الفضيلة، أؤكد لك انك كنت خلاف ما أنت عليه الآن، ولكنت بهذه الوسيلة أصبحت من ملائكة الله العليّ العظيم. لكنك تماديت في ضلالك وغرقت في بحر الضياع. أقسم لك انك لولا وجهك المشرق الصبوح لطغى على ملامحك سواد الليل الفاحم. وعندما كنت تركض في أعالي مرتفعات كادسهيل تحت جنح الظلام لتُمسك بحصاني، ولو لم أعتبرك كالمشعل المضيء الهادي أو ككرة من نار تتحدّى المياه، لما كان هناك من مال وافر تغرف منه ما تشاء. أنت عيد دائم وشعلة أفراح متواصلة لذا وفّرت عليّ ما قيمته الف مارك من المشاعل، عندما رافقتني أثناء انتقالي من حانة الى أخرى. غير ان ثمن الخمرة التي شربتها عنّي كان أمّن لي قيمة أنوار ساطعة لدى أغلى بائع شموع في أوروبا كلّها. منذ اثنتين وثلاثين سنة أنا أغذّي شعلتك، يا أيها المتلوّن كالحرباء. جزاني الله عنك خيراً.

باردولف : أيها التنّين الغادر، كم أودّ أن يكون وجهي محجوباً عنك.

فالستاف : رحمتك اللّهمّ. وإلاّ كنت طعمة حريق غيرتك الملتهبة غيظاً.

(تدخل المضيفة).

فالستاف : اذاً، يا عزيزتي السيدة باتْلي، هل أجريت تحقيقاً وعرفت من سطا على جيوبي وسلب مني نقودي؟

المضيفة : ماذا تقول، يا سرْ جون؟ ومن تظنني؟ هل تعتقد أني

آوي لصوصاً في بيتي؟ لقد تحرّينا أنا وزوجي وفتّشنا واستجوبنا كل رجل وكل غلام وكل خادم. وأؤكد لك ان عِشْر شعرة لم يفقد عندنا.

فالستاف : أنت تكذبين، أيتها المضيفة المنحوسة. فان باردولف حلق ليحيته وفقد أكثر من شعرة في دارك. وأنا أقسم بأن مالاً سُرق من جيبي أثناء وجودي في ضيافتك. هيا، هيا، أي نوع من النساء أنت؟ هيّا عوّضي عليّ ما فقدته في دارك.

المضيفة : لكنني مستعدة لإثبات عكس ما تدّعي. يشهد الله، ان لا أحد تجرّأ قبلك على اتهامي بمثل هذا في بيتي.

فالستاف : لا تبالغي. أنا أعرفك حقّ المعرفة.

المضيفة : لا، لا، يا سرْ جون، أنت لا تعرفني مطلقاً، بل أنا أعرفك حق المعرفة، يا سرْ جون. لأنك مدين لي ببعض المال، وها أنت تشاجرني لكي تهضم حقي. هل نسيت أني اشتريت لك اثني عشر قميصاً لتستر بها جسمك.

فالستاف : من نسيج « الدَوْلس » الخشن، وزعتُها على صانعات الخبز فصنعن منها مناخل للطحين.

المضيفة : أنا واثقة، كما أني امرأة أصيلة، بأن النسيج كان من الكتّان الهولندي الغالي، ثمن اليرد منه ثمانية شلنات. فضلاً عن انك مدين لي أيضاً، يا سرْ جون، بمبلغ لا بأس به من المال لقاء ما تناولته عندي من أطعمة ومشروبات إضافية، فضلاً عن انك استدنت مني مبلغ أربع وعشرين ليرة نقداً وعدًّا.

فالستاف (يشير الى باردولف) : هو نال نصيبه منه. فليدفعه لك.

المضيفة : يا للأسف، هو فقير الحال، خالي الجيوب صفر اليدين.

فالستاف : ماذا تقولين؟ انظري الى وجهه. من الذي تعتبرينه اذاً غنيًّا؟ لو توصّلت الى سكّ انفه وخدوده نقوداً لأصبحت صاحبة ثروة طائلة. انا لن أدفع لك فلساً واحداً. هل تظنينني غبياً الى هذا الحدّ؟ كيف تريدين أن أرتاح في هذا المنزل وقد نُهبتْ فيه دراهمي من جيوبي؟ ما عدا اني فقدت خاتماً كان لجدّي، وقيمته تبلغ أربعين ماركاً.

المضيفة : يا الهي. لقد سمعت أحداً يقول للأمير، لا أذكر كم مرة، ان هذا الخاتم مصنوع من النحاس.

فالستاف : ماذا تدّعين؟ هل الأمير فتى أبله، أو بائس غبيّ؟ لعمري، لو كان ها هنا، لكنت ضربته بالقضيب كالكلب الأجرب إن نطق بمثل هذا الكلام أمامي.

(يدخل الأمير هنري وبوينز بخطى عسكرية. ويأتي فالستاف ليقابلهما وهو يقوم بحركة كأنه ينفخ في عكازه معتبراً اياه ناياً).

فالستاف : اذاً، يا فتى، ما رأيك؟ هل يهبّ الهواء ويُخرج نغماً؟ هل يتحتّم علينا جميعاً، أن نسير بخطى عسكرية؟

باردولف : أجل، مصطفّين اثنين اثنين، على وقع نيو كَيْت.

المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي.

الأمير هنري : ماذا تقولين، يا سيدة كويكْلي؟ كيف حال زوجك. أنا أحبّه كثيراً لأنه رجل مستقيم.

المضيفة : أرجوك أن تصغي اليّ، يا مولاي الكريم.

فالستاف : أرجوك انا أن تدعها وشأنها، وتستمع اليّ.

الأمير هنري : ماذا تقول، يا جاك؟

فالستاف : في تلك الليلة، نمت أنا هنا وراء هذه الجدرانية،

ولاحظت ان المال سُرق من جيبي. هكذا أصبح هذا المنزل مشبوهاً تسرق فيه النقود من الجيوب ببراعة ومهارة.

الأمير هنري : ماذا فقدت، يا جاك؟

فالستاف : صدِّقني، يا هال، ثلاث أو أربع أوراق نقدية كل واحدة بقيمة أربعين ليرة، وكذلك خاتم جدّي.

الأمير هنري : هذا شيء زهيد لا يساوي أكثر من ثمانية بنسات.

المضيفة : هذا تماماً ما كرّرته، يا مولاي. وأكّدت له ان سيادتك أعلنت ذلك. ولقد لاحظت انه تحدّث عنك بطريقة بذيئة كرجل قذر الفم تجرّأ على التهديد بأنه سيضربك بالقضيب.

الأمير هنري : لا أظن انه تلفّظ بذلك.

المضيفة : أكون بلا شرف ولا أمانة ولا صدق حتى ولا جنس، لو تفوّهت بهذا الكلام.

فالستاف : انا واثق بأنك منافقة أكثر من أي كاذب دجّال، ولست أوفر أمانة من الثعلب المحتال. أما من جهة الجنس، فلا أغالي اذا أكّدت ان البتول مريان تستحق أكثر منك أن تصبح زوجة شرطي. فاسكتي، أيتها الببغاء، ولا تضيفي كلمة واحدة.

المضيفة : هل أنا ببّغاء؟

فالستاف : أجل، ببغاء حمقاء، لا تدركين ما تعيدين.

المضيفة : انا لست ببّغاء غير مدركة. ليتك تفهم أنت ما تتبجّح به. أنا زوجة رجل شريف. وان استثنينا لقبك كفارس، يمكنني القول انك دجّال إن نعتّني ثانية بما فُهْتَ به.

فالستاف : اذا استثنينا انك امرأة، تكونين بهيمة إن قلتِ العكس.

المضيفة : أية بهيمة، يا أحمق، أفصحْ.

الأمير هنري : هي شبيهة بالحنكليس، يا سرْ جون. ولماذا أشبّهها بالحنكليس؟

فالستاف : لأن لا لحم لها بل هي كلها حسك، ولا يعرف الانسان كيف يلتقطها.

المضيفة : أنت رجل ميت الضمير حين تقول هذا، لأنك تعلم والجميع يعلمون كيف يعاملني الجميع باحترام، يا منافق.

الأمير هنري : أنت صادقة، أيتها المضيفة، وهو يتجنّى عليك بوقاحة.

المضيفة : وأنت كذلك، يا مولاي. فقد قال لي منذ مدة انك مدين له بألف ليرة.

الأمير هنري : غريب منك هذا الادّعاء. هل أنا مدين لك بألف ليرة؟

فالستاف : تذكر ألف ليرة فقط، يا هال؟ بل قُلْ مليون ليرة. لأن محبتك تساوي مليوناً وأنت مدين لي بمحبتك.

المضيفة : ثم نعتك بالأبله، يا مولاي، وأكّد لي انه سيضربك بالقضيب.

فالستاف : هل أنا قلت ذلك، يا باردولف؟

باردولف : نعم، يا سرْ جون، أنت قلت ذلك.

فالستاف : هل قلت أنا هذا، يا باردولف؟

باردولف : فعلاً، يا سرْ جون، أنت قلت ذلك.

فالستاف : أجل، وقد إدّعيت أيضاً ان خاتمي من نحاس.

الأمير هنري : نعم، أنا قلت انه من نحاس. فهل تتجرأ الآن على التمسّك بوعيدك؟

فالستاف : أنت تعلم، يا هال، انك كرجل لن تضطرني الى التراجع بكلامي. ولكنك كأمير أخشاك كما أخاف زئير الشبل.

الأمير هنري : ولماذا لا تذكر الأسد؟

فالستاف : الملك وحده يجب أن تخشاه الرعية كالأسد. فهل تظن اني أخافك كما أخاف أباك. إن كان هذا صحيحاً، لا أمانع بأن تقطع زنّاري.

الأمير هنري : في هذه الحالة، ستندلق أمعاؤك من بطنك الضخم طبعاً بسبب قلّة ايمانك وولائك وشهامتك المكدّسة كلها في أحشائك. أنت تتهم امرأة شريفة بأنها سلبت نقودك من جيوبك. يا ابن الحرام، يا غبي قصير النظر وقليل الحياء، لو كان في جيوبك غير لوائح ديونك في الحانات والأمكنة الخلاعية، وقيمة زهيدة ثمن سكاكر لتبلّ بها ريقك، ولو كانت جيوبك عامرة بغير القذارات من هذا النوع، لكنت أنا منافقاً خسيساً لا وزن لكلامي. مع ذلك أنت متشبّث عنيد تريد أن تصدّق كذبك ودجلك. ألّا تخجل من هذا التصرّف الأرعن؟

فالستاف : اسمع، يا هال. انت تعلم ان آدم أخفق في اثبات براءته من أكْل التفاحة في الفردوس. فماذا يستطيع أن يفعل المسكين جاك فالستاف في أيام فشله وخيبته هذه؟ كما ترى، انا صاحب لحم وشحم أكثر من سواي بين البشر، وهكذا أكون أسرع عطباً من غيري... أنت تعترف اذاً بأنك نهبت نقودي من جيوبي.

الأمير هنري : هذا ما استنتجته من تفاصيل التحقيق.

فالستاف : أنا أسامحك، أيتها المضيفة. هيا جهّزي لنا طعام الافطار. أحبّي زوجك وداري زبائنك، ودلّلي ضيوفك.

وستجدينني ليّن العريكة كما تشائين. ألا ترين اني مسامح مسالم... أرجوكِ ان تعجّلي لأني جائع. (تخرج المضيفة). والآن، يا هال، ما هي أنباء البلاط الملكي؟ وما قصة السرقة، يا فتى؟ وكيف ستتمّ تصفيتها؟

الأمير هنري : يا عزيزي الأكول الشره، لا بد لي من أن أسهر عليك كالملاك الحارس. ها هو المال قد تعوّض.

فالستاف : انا لا أحب التعويض على هذه الصورة، لأنه يتعبني كثيراً.

الأمير هنري : انا ووالدي قد تصالحنا، ولم يعد لي أي همّ بعد الآن.

فالستاف : اذاً، سيتسنى لك أن تغرف من خزانته الملكية على هواك بقدر ما تشاء، ولن تتعب في غسل يديك بعدئذٍ.

باردولف : هيا الى العمل، يا مولاي.

الأمير هنري : دبرتُ لك عملاً في صفوف مشاة الجيش، يا جاك.

فالستاف : كنت أفضّل العمل في مجموعة الخيالة. فأين يمكنني أن أجد فتى يحسن السرقة ويقنع بالقليل. هل أصبح أنا سارقاً في الثانية والعشرين من سنّي أو حول هذا العمر؟ وهكذا أراني أمام مفاجأة، لم تكن في الحسبان. هيا، أشكر ربّك، لأن هؤلاء المتمردين ليسوا حاقدين على أصحاب الفضيلة، وأنا أؤيد موقفهم وأشكرهم.

الأمير هنري : يا باردولف.

باردولف : مولاي.

الأمير هنري (يسلّم باردولف أوراقاً) : اذهب وسلّم هذه الرسائل للورد جون لنكاستر، ولأخي جون، وهذه للورد ويستمورلند. هيّا، يا بوينز امتطِ صهوة جوادك. لأننا انا وأنت علينا

أن نقطع على ظهور خيلنا مسافة ثلاثين ميلاً قبل موعد العشاء. الحقْ بي، يا جاك، ووافني غداً الى تامبل هول حول الساعة الثانية بعد الظهر. هناك ستعرف ما هي وظيفتك، وستتلقّى تعليمات ومالاً لتأمين مصروف رجالك. الأرض تحترق، وبرسي بلغ الذروة. فلا بد من أن ينهار أحد الفريقين، إمّا نحن وإمّا هم.

(يخرج الأمير وبوينز وباردولف).

فالستاف : هذا كلام حلو، في عالم رائع. أيتها المضيفة، أين طعام إفطاري، هيّا، كم أودّ أن يكون في هذه الحانة طبل يقرع ليعلن حضوري.

(يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في مخيّم المتمردين قرب شروزْ بري

(يدخل هاتسبر وورسستر ودوكلاس).

هاتسبر : حسناً تكلّمت، أيها الاسكتلندي النبيل. اذا كانت لغة الحقيقة في هذا العصر المتفلسف لا تُعتبر تزلّفاً، فماذا يكون المديح الموجّه الى دوكلاس الذي لم يبلغ شهرته الواسعة أحد سواه في هذا العالم المتحضّر. بربّي، أنا لا أعرف التملّق، وأحتقر الخطب الرنانة في هذا المجال. لكن لا أحد يستأثر في قلبي بمودّة أصدق من التي أحفظها لك. صدّقني وثق بأن كلامي هو الحقيقة المجرّدة، ويمكنك أن تمتحن إخلاصي لك، يا مولاي.

دوكلاس : أنت ملك الشرفاء بين جميع الأقوياء على هذه الأرض، وليس فيهم شخص سواك لا أتحدّاه.

هاتسبر : حاول، وكل ما تفعله مقبول لديّ.

(يدخل رسول وبيده رسالة).

هاتسبر (يواصل كلامه) : ما هذه الرسالة التي تجيئني بها؟ (لدوكلاس) لا يسعني إلّا أن أشكرك.

الرسول : هذه رسالة من والدك.

هاتسبر : رسالة من أبي؟ لماذا لم يأتِ هو بذاته؟

الرسول : لا يستطيع القدوم الى هنا، يا مولاي. لأن المرض أنهك قواه وأقعده.

هاتسبر : أنا لا أفهم كيف يمرض أثناء نشوب هذه المعارك؟ ومن سيقود رجاله المسلّحين؟ وبإمرة من سيُقبلون الينا؟

الرسول : رسالته تشرح لك قراره أفضل مني، يا مولاي.

ورسستر : أرجوك أن تعلمني هل يلازم سريره؟

الرسول : نعم، يا مولاي. هو طريح الفراش منذ أربعة أيام. وعندما غادرته كان أطباؤه غير مرتاحين الى حالته الصحية.

ورسستر : كم كنت أودّ أن أراه معافى، وأن لا يداهمه المرض. فان صحته لم تكن غالية علينا مثل ما هي الآن في وضعنا الحرج.

هاتسبر : ان مرضه في هذا الوقت عينه، وضعفه في هذا المأزق هو ضربة تطعن مشروعنا في الصميم، لأنها أضرّت كثيراً باستعداداتنا. لقد كتب لي أن علّته داخلية... وان أصحابه لا يمكنهم أن يجتمعوا تحت قيادة من ينوب عنه، لأنه لم يجد مناسباً أن يسلّم مهمته الخطيرة والدقيقة الى سلطة سواه. على كل حال استحثّنا على متابعة عملنا بشجاعة ولو بوسائلنا الضعيفة. وسنرى كيف ستساعدنا الظروف على نجاح مساعينا. وقد كتب أيضاً اننا لا نستطيع التراجع الآن لأن الملك

مطّلع على كافة تفاصيل خططنا. فما رأيك.

ورسستر : مرض والدك يصيبنا بالشلل.

هاتسبر : هذا جرح خطير، بل بمثابة بتر عضو أساسي. مع ذلك ليس هذا تماماً ما هو حاصل. لأن غيابه يبدو لنا أخطر مما هو في الواقع. فهل يجدر بنا أن نغامر بكل إمكانات دولتنا المتّحدة دفعةً واحدة؟ وان نلقي بثقل هامّ كهذا في مهب رياح هوجاء غير مضمونة العواقب؟ هذا لن يكون تصرفاً حكيماً. لأننا بذلك نعرّض كل آمالنا لانهيار محتمل كأننا نقامر بكل رصيدنا في لعبة غير معقولة.

دوكلاس : هذا هو حالنا. مع ان لدينا احتياطيًّا ممتازاً يؤمّن لنا مصالحنا على ما يُرام. ونستطيع أن نتصرّف بقسم لا بأس به من مقدرتنا بأمل تعويض النقص في المستقبل القريب، مع احتمال حصول انسحابات تعود علينا بالنفع والفائدة.

هاتسبر : هناك ملجأ نلوذ به اذا عاكسنا شيطان الحظ وأعاق تقدّمنا في تأهّبنا.

ورسستر : مع ذلك، أنا أتمنى لو كان أبوك معنا. لأن محاولاتنا في وضعنا الحاضر الدقيق لا تتيح لنا الانقسام. فهناك جماعات لا تعمل بسبب غياب الكونْت وستظنّ أن الحرص والحذر والولاء والكره الشديد، كلها ساهمت في اتخاذه هذا الموقف وقضت عليه بأن يظل بعيداً عنّا. ولا تنسوا كم تؤثّر هذه الفكرة على حماسنا واندفاعنا في مثل قضيتنا المقلقة وكم تؤخّر وصولنا الى هدفنا المنشود. لأنكم تعرفون جيداً اننا أثناء هجومنا يتحتّم علينا أن نلزم، الى أقصى حدّ، جانب

الحيطة والتدقيق لسدّ جميع الثغرات وكل المداخل التي ربما سهّلت حدوث ما ليس في الحسبان والإخلال بتوقّعاتنا وآمالنا. في الحقيقة، أرى غياب والدك عنا كستار مسدل يوحي للمتردّد ببوادر الوجل الذي لم يخطر إمكان حصوله ببال أحد.

هاتسبر : لقد ذهبت بعيداً جداً في تأويلاتك، ربما على الأرجح، هذا هو الواقع الذي يمكن أن يُنسب اليه غيابه غير المرتقب والذي لا بد من أن يضفي على مشروعنا العظيم وشاحاً من البطولة، وهالة من النور، لا يُخشى فقدهما، لو كان الكونْت ها هنا فيما بيننا. اذ يجب التفكير بأننا نستطيع بدون مساعدته أن نجابه القوّات الملكية، ونحن واثقون بأن عونه يسهّل لنا قلب الأوضاع رأساً على عقب. لأن كل أمورنا سارت الى الآن على أحسن ما يرام. وكل أفراد قوّاتنا لا تزال بحالة تأهب ممتازة وعلى أتم الاستعداد لمعالجة كل طارئ حتماً لصالحنا.

دوكلاس : نعم، طبعاً طبق حساب آمالنا وأمانينا. لأن كلمة خوف لا سبيل لوجودها في قاموس اسكتلندا.

(يدخل رتشرد فرنون).

هاتسبر : أهلاً بك وسهلاً، يا ابن عمي العزيز.

فرنون : أرجو أن تستحق أخباري كل هذا الترحيب، يا مولاي، لأن الكونْت ويستمورلند ومعه سبعة آلاف مقاتل يزحفون الينا بصحبة الأمير جون.

هاتسبر : هذا لا يضيرنا أبداً. ماذا هناك أيضاً من أخبار؟

فرنون : فضلاً عن ذلك، علمت بأن الملك اشترك شخصياً

في الحملة أو على أهبة القدوم الى هنا على جناح السرعة ومعه قوّات لا يستهان بها.

هاتسبر : أهلاً به هو أيضاً. أين ابنه أمير وايْلس، هذا الرأس الفارغ صاحب الأرجل الخفيفة؟ أين هو وأصحابه الذين يستهترون بكل الناس، ويجبرونه على خدمة مآربهم الخاصّة.

فرنون : وجميعهم مدجّجون بالسلاح، وريش النعام يزيّن خوذاتهم ويرفرف عالياً في الهواء. وهم يطلّون بجحافلهم كالنسور، وأسلحتهم تلمع في الفضاء وتشحذ هممهم تحت أشعة شمس أيار الساطعة، ومزاجهم يترنّح نشوان كالماعز الصغير نزقاً كأنه ثور هائج. لقد شاهدت هنري الابن وقد لبس خوذته ودرعه وأشهر سلاحه واندفع الى المعركة كالإله مركور المجنّح وقد قفز الى صهوة جواده برشاقة نادرة جعلته شبه ملاك نازل من السماوات ليقود رجاله ويسحر الأنظار بروعة طلعته ورشاقة قوامه.

هاتسبر : كفى، كفى. هو أفظع من شمس آذار الباهتة. هذا المديح يبعث الحمّى في الأبدان. دعوهم يأتوا. أتركوهم يصلوا الينا كأنهم ضحايا مذبوحة نقدّمها قبل أن تبرد لحمانها على مذبح الحرب الطاحنة. وهكذا يتربّع إله الحرب مارس على عرشه، وقد تلوّث بالدماء حتى أذنيه. لا أعود أمتلك أعصابي، عندما أفكّر في هذه الغنائم الوافرة التي تستباح على مقربة منا، بدون أن يكون لنا منها أي نصيب. هيّا بنا، سآخذ حصاني وأنطلق كالسهم المسدّد الى صدر أمير وايْلس. وسيتحدّى أحدنا الآخر، هنري يكرّ على

هنري، حصانه يزاحم حصاني، ولن نفترق إلا عندما يسقط أحدنا جثة هامدة. لماذا لم يصل بعد كلانداور؟

فرنون : اليك هذا النبأ الجديد : لقد بلغني وأنا في ورسستر حين كنت أنهب الأرض نهباً على جوادي انه لن يتمكن من جمع رجاله قبل مرور خمسة عشر يوماً.

دوكلاس : هذا أسوأ نبأ سمعته حتى الآن.

ورسستر : أجل، وله وقع جليدي يجمّد الدم في العروق.

هاتسبر : كم يبلغ عدد مقاتلي جيش الملك؟

فرنون : حوالي ثلاثين ألف رجل.

هاتسبر : لنقل أربعين الفاً. اذا ظلّ والدي وكلانداور كلاهما على الحياد، سيكفينا ما لدينا من جنود في هذا اليوم التاريخي. هيا نرتّب صفوف رجالنا، فقد دنا وقت الحساب المشهود. وإن كتب علينا أن نموت، يتحتم علينا أن نموت بفرح وابتهاج.

دوكلاس : لا تتكلّم عن الموت. فأنا مضمون لمدة ستة أشهر حيال الخوف وحيال عزرائيل.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

في طريق متقدّم نحو كوفنتري

(يدخل فالستاف وباردولف)

فالستاف : باردولف يتقدم نحو كوفنتري. إملأ لي قنينة من الخمرة. سيجتاز جنودنا المدينة وسنصل هذا المساء الى « سوتن كاب هيل ».

باردولف : هل تريد أن تعطيني مالاً، أيها القائد؟

فالستاف : إدفع، إدفع.

باردولف : ستجعلك هذه القنينة تتصرّف كملاك صغير.

فالستاف : في هذه الحالة، خذه على عاتقك. وعندما تصنع عشرين ملاكاً نظيره، استخدمهم كلهم، وأنا أتكفّل بالمصاريف. ثم قل لوكيلي بيتو أن يوافيني الى اطراف المدينة.

باردولف : نعم، أيها القائد. الوداع.

(يخرج).

فالستاف : اذا لم أخجل من جنودي، كنت دجالاً منافقاً. فقد عصرت جيداً خزانة الملك مثل الليمونة، وقبضت ما يزيد على ثلاثمئة ليرة لتجهيز مئة وخمسين جندياً. وأنا لا أعصر هكذا سوى المالكين الكرماء وأولاد المزارعين الكبار. وأبحث عن شبّان مخطوبين قد أذيعَ موعد زواجهم بتاريخ قريبٍ عاجل مرّتين، لأنهم أقرب الى المرفّهين السذّج الذين يفضّلون سماع صوت الشيطان على قرع طبول الحرب، ويخافون رمي السهام

أكثر من صياح دجاجة تبيض أو بطّة برّيّة جريحة. أنا لم أعصر سوى أكلة الدسم الذين يوازي حجم قلوبهم رأس الدبوس، وكلهم قد دفعوا الجزية للتملّص من الخدمة العسكرية. والآن باتت فرقي كلها مؤلّفة من رتباء وعرفاء وملازمين وضباط، وكذلك من رجال مساكين لا يمتلكون قشرة بصلة، وهم مجردون من متاع الدنيا نظير لعازر الماثل رسمه في هذه الجدرانية والكلاب تلعق قروحه بشراهة، ومن شجعان لم ينخرطوا أبداً في سلك الجندية، ومن خدّام مطرودين لأنهم غير صالحين، ومن فتيان أغرار وغلمان حانات هاربين، ومن أصحاب نزل مفلسين، وبالإجمال من كل فئات جماعة البطّالين الذي يمتصّون دماء المجتمع الهادئ أثناء السلم الطويل الأمد. وهم رعاع جارَ عليهم الحرمان فأمسوا مثل لافتة ممزّقة ومرقّعة. دفعوا الجزية كي لا يُجنَّدوا ويحملوا السلاح ويساقوا الى المعارك. يمكنكم أن تعتبروا عددهم مئة وخمسين من أولاد الذوات الذين لم يعد لديهم إلا الأسمال البالية. يأتون ليحرسوا الخنازير ويشربوا ماء غسل أواني السفرة ويتغذّوا بما يذوب من شحمهم ولحمهم. هناك مازح مزعج صادفته في طريقي واعترض عليّ بأني أفرغت الأجواء من كل صيد ونبشت جميع جثث الأموات، اذ لم يسبق لأحد أن شعر بمثل هذا الهلع. لن أجتاز كوفنتري بصحبتهم، وهذا تصميمي النهائي. ثم ان هؤلاء الأغبياء يمشون وأرجلهم متباعدة كما لو كانوا يرسفون في قيود من حديد، والسبب يعود الى اني انتشلت معظمهم من السجون المظلمة حيث

كانوا محكومين لآجال طويلة. ففي فرقتي ليس سوى قميص ونصف، ونصف القميص هذا مصنوع من قطعتين موصولتين معاً وملقاتين على ضلوع أحد الحرّاس بدون أكمام. أما القميص فهو في الحقيقة مسروق من ضيف نزل سان ألْبان أو من الرجل الأحمر الأنف الذي يدير نزل كوفنتري. لكن كل هذا لا يستحقّ الذكر، لأن هؤلاء المرتزقة سيجدون ملابس داخلية كثيرة منشورة على الأسيجة.

(يدخل الأمير هنري وويستمورلند).

الأمير هنري : ما لك منتفخ المقلتين هكذا، يا جاك؟ وماذا تفعل ها هنا في ورويك شاير؟ اني ألْتمس عفوك، يا عزيزي لورد ويستمورلند، ان كنت أعتقد أن سيادتك لا تزال في شروز بري.

ويستمورلند : والله، يا سرْ جون، حان لي أن أكون هنا. وكذلك أنت أيضاً، بما ان جنودي يعسكرون في هذا المكان. أؤكد لك ان الملك يحتاج الينا جميعاً، وعلينا أن نسير طوال اليوم لنوافيه.

فالستاف : لا ينشغل بالك عليّ، فأنا نشيط ومتيقّظ مثل الهرة التي تغافل لتسرق الجبنة. لكن قلْ لي، يا جاك، من يخصّ هؤلاء الرجال الذين يمشون خلفنا؟

فالستاف : يخصّونني، أنا، يا هنري.

الأمير هنري : لم أشاهد في حياتي رجالاً يُرثى لهم نظيرهم.

فالستاف : هم يصلحون فقط لطعنهم بالرماح أو لتمزّق أجسامهم قنابل المدافع. وهم أفضل من يملأون فراغ ساحة القتال. على كل حال، يا عزيزي، هم رجال برسم

الموت، أجل برسم الموت كضحايا رخيصة لا يؤسف عليهم.

ويستمورلند : لكن، يا سرْ جون، يخيّل اليّ أنهم مساكين وضعفاء للغاية، فضلاً عن أنهم في منتهى البؤس والشقاء.

فالستاف : لعمري، لست أدري أين اكتسبوا فقرهم هذا. أمّا هزالهم، فلا دخل لي أنا فيه مطلقاً.

الأمير هنري : وأنا أصادق على قولك، إلّا اذا اعتبرت الهزال مكوّناً من سماكة ثلاثة أصابع من الدهن تكسو ضلوع صدورهم. على كل حال، لا بدّ لنا أن نستعجل، يا صديقي. لأن برسي قد وصل الى السهل.

فالستاف : ماذا تقول؟ هل تسنى للملك أن يعسكر مع جنوده على مقربة منا.

ويستمورلند : أجل، يا سرْ جون. وأخشى أن نتأخّر في موافاته الى هناك.

فالستاف : بالفعل، سيبدأ القتال، كما يبدأ تناول الطعام الأول بالنسبة الى الجنود الكسالى، والثاني بالنسبة الى المدعوين الذوّاقة.

(يبتعدون).

المشهد الثالث

في معسكر المتمردين قرب شروزْ بري

(يدخل هاتسبر وورسستر ودوكلاس وفرنون)

هاتسبر : سنقاتله هذا المساء.

ورسستر : هذا غير ممكن بتاتاً.

دوكلاس : اذاً، أنتم تفسحون له سبيل الفوز.

فرنون : كلاّ، ثم كلاّ.

هاتسبر (لفرنون) : كيف تقول هذا؟ أولا تعلم أنه ينتظر وصول المدد؟

فرنون : نحن أيضاً نترقّب مَرَدَنا.

هاتسبر : إغاثته مؤكّدة، بينما نجدتنا نحن مشكوك بأمرها.

ورسستر (لهاتسبر) : يا ابن عمي العزيز، إسمع نصيحتي ولا تتحركْ هذا المساء.

دوكلاس : رأيك غير ملائم لأنه وليد الخوف والتردد.

فرنون : لا ترشقني بنبال الاستهتار وعدم المبالاة، يا دوكلاس. بذّمتي، أنا مستعد لإثبات قولي بالمغامرة حتى بحياتي، عندما تكون الشهامة دافعي. فاني نظيرك، يا مولاي، لا أصغي الى أية نصيحة يسديها اليّ اسكتلندي، وان كنت فريسة الوجوم والفزع.

دوكلاس : أجل، لا سيما هذا المساء.

فرنون : انا موافق.

هاتسبر : قلت، هذا المساء بالذات.

فرنون : هيا بنا اذاً. هذا لا يمكن أن يتمّ. أنا أستغرب جداً كيف يستطيع رجل مثلك عالي المكانة واسع السلطة أن لا يلاحظ العقبات التي تعيق هجومنا وربما تفشّله.

لأن خيّالة ابن عمي فرنون لم تصل بعد، وفرسان عمك ورسستر لن يصلوا إلّا عصر اليوم فقط. والآن أرى حماسه واندفاعه مشلولين ونشاطه على وشك الانهيار من شدة التعب والارهاق وليس هناك من حصان لم يفقد نصف قواه في هذه الأثناء.

هاتسبر : لا يغرب عن بالك ان فرسان الأعداء ليسوا في حالة أفضل منها وهم بصورة عامّة منهوكو العزيمة. وهكذا يسعنا أن نغتنم هذه الفرصة السانحة لاقتحامهم.

ورسستر : عدد رجال الملك يفوق عدد رجالنا. فأرجوك، يا ابن عمي، بحق السماء، أن تنتظر قليلاً حتى يصل الينا كل ما نترقّبه من العون.

(تعلن الموسيقى قدوم أحد أعضاء المجلس. يدخل سرْ والتر بلونت).

بلونت : أنا آتيكم بعروض مغرية من قبل الملك. فأرجوكم أن تتفضّلوا وتصغوا اليّ.

هاتسبر : أهلاً بك، يا سرْ والتر بلونت. أملنا أن تكون من مؤيدينا. لأن في ما بيننا من يميلون الينا كثيراً، ولا يقدّرون جدارتك حق قدرها. ونظراً الى سمعتك الطيّبة يوقنون بأنك لن تنضمّ الى صفوفنا بل بالعكس تساند أعداءنا.

بلونت : لا سمح الله أن أكون كذلك، وقد ابتعدت عن مقتضى واجبي الحقيقي. أنتم بطبيعة الحال انقلبتم على شرعية جلالته. واليكم رسالتي : لقد أوفدني الملك لمعرفة طبيعة وضعكم وسبب اتّخاذكم، في جو السلام العام، موقفكم العدائي غير المشكور، وأعطيتم لشعبه الموالي

مثالاً سيّئاً في الشراسة والجسارة. فان كان الملك قد غمطكم حقكم في مجالات شتى، أراه الآن يلحّ عليكم لتبيين مطالبكم، على أن تُلبّى فوراً جميعها بشكل يرضيكم ويرفع الغبن عنكم، وهو مستعد لأن يسامحكم أنتم ومن تمرّدوا عليه بناءً على تحريضكم.

هاتسبر : الملك طيب القلب، وهو يعرف أيضاً متى يَعِد ومتى يَفي بوعوده. ولقد ساهمنا أنا وأبي وعمّي، في دعمه لإعتلاء العرش الذي يتربّع عليه الآن، وهو يكاد يبلغ السادسة والعشرين من العمر، قبل أن يتّضح لرعاياه ما يستطيع أن يؤمنه لهم من الحقوق، إذ كان لا يزال فتى متشرداً بائساً غير معروف، يتجوّل في أنحاء البلاد على غير هدى. فاستقبله والدي عند الشاطئ. وفيما كان يقسم له بالله، ويؤكّد له انه لم يأتِ إلّا ليصبح دوق لنكاستر ويطالب بميراثه ويلتمس السلام والأمان، رقّ له قلب والدي لما رآه فيه من البراءة والمطالبة الصادقة. فأقسم له أبي بدوره، أن يساعده، ووفى بوعده. وحالما شاهد لوردات المملكة وباروناتها أن نورثمبرلند يريد انصافه، جاء الكبار والصغار لتحيّته، وخلعوا قبعاتهم وطووا ركابهم أمامه وبادروا الى لقائه بعد ذلك في الضواحي والمدن والقرى ورافقوه فوق الجسور وواكبوه في الشوارع وقدموا له هداياهم وأقسموا يمين الولاء لشخصه وأوفدوا اليه أولادهم كحجّاب وربطوا مصيرهم بحسن طالعه. ومن جهته، حالما أبصر نموّ عظمته وسموّ شأنه، ما كان منه إلّا أن إزداد اعتباره واحترامه بسبب الوعود التي أغدقها عليه والدي حين كان الفتى مغامراً مغموراً يهيم على

شاطئ رافنسبورك. وها هو الآن يتشامخ عليه ويلمح له بأنه سيبادر الى تصحيح بعض البيانات والقرارات المجحفة التي تعرقل سير أمور المجتمع ويودّ معالجة بعض التجاوزات متظاهراً بالعطف على أبناء الوطن والرغبة في انقاذهم مما يعانونه من ويّلات. وبناءً على هذا الرياء وهذا العدل المزيّف، جمع حوله القلوب واكتسب محبة من ينوي ان يغدر بهم. وذهب الى أبعد من ذلك، فأقصى عن جوار الملك كل المخلصين له، أثناء غياب جلالته ممن أوكل اليهم ادارة شؤون الدولة نيابةً عنه، حينما ذهب ليشرف على سير المعارك الدائرة في إيرلندا.

بلونت : أنا لم آتِ الى هنا لسماع هذه القصص.

هاتسبر : أمّا أنا فاستنتج ما جرى. إذ إنه بعد مدة وجيزة سعي الى خلع الملك، وما عتّم ان أمر بإعدامه. وسرعان ما فرض الضرائب الباهظة على كافة الشعب. والأنكى أنه أصرّ على ابقاء ابن عمه مارش سجيناً في مقاطعة وايْلس، كي لا يصبح ملكاً، ثم اطلق سراحه بعد أن قبض فدية لا بأس بها. ولم يتورّع عن التنديد بي على أثر كل انتصاراتي ونصب الشراك للايقاع بي بالحيلة، وطرد عمي من المجلس وأبعد أبي عن البلاط بحقد وازدراء، ونقض حلفاناته واحداً تلو الآخر، واضطرنا الى البحث عن خلاصنا بحمل السلاح والانقلاب على سلطته التى شككنا بدوامها نظراً الى مدى ما أضعفها من سوء استعماله اياها في شتى أبواب الظلم والغدر.

بلونت : هل تريد أن أنقل هذا الحديث الى الملك؟

هاتسبر : ليس بهذه التعابير عينها، يا سرْ والتر. لأننا سنتفاوض واياك في هذا الموضوع الشائك. يمكنك أن تذهب الى الملك وتطلب منه أن يقدّم لنا برهاناً يضمن لنا عودة رسولنا. وغداً في الصباح الباكر سينقل عمّي اليه ما ننوي عمله. فالوداع.

بلونت : أتمنّى أن تقبلوا بهذا العرض الودّي المنصف.

هاتسبر : قد نقبله.

بلونت : إن شاء الله.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في مقرّ رئيس أساقفة يورك

(يدخل رئيس اساقفة يورك وأحد الوجهاء)

رئيس الأساقفة (يسلّم الوجيه أوراقاً) : هلمّا، يا سرْ ميكائيل الكريم، إذهب على جناح السرعة لتسليم هذه العجالة الى لورد مارشال، وهذه لابن عمي إسكروب، وباقي الرسائل لأصحابها. ليتك تعلم كم هي هامّة، كي تستعجل على قدر المستطاع في تأدية مهمّتك.

الوجيه : اني استشفّ مضمونها، يا مولاي الفاضل.

رئيس الأساقفة : هذا غير مستبعد. فغداً، يا سرْ ميكائيل، هو يوم يتقرر فيه مصير عشرة آلاف مقاتل. إذ ان الملك

سيكون في شروز بري على رأس جيش لجب جنده على عجل لمجابهة لورد هاري. وأنا أخشى، يا سرْ ميكائيل، بسبب مرض نورثمبرلند الذي كان عدد رجاله ضخماً، وبسبب غياب أوين كلانداور الذي يتّكل على قواته، وقد سرت بعض الشائعات ومنعته من المجيء، انا أخشى أن يكون جيش برسي ضعيفاً الى حدّ ان لا يستطيع مساندة شنّ القتال حالاً على الملك.

الوجيه : لا داعي للخوف أبداً، أيها اللورد الكريم، ما دام دوكلاس ولورد مورتيمور كلاهما هنا.

رئيس الأساقفة : كلاّ، مورتيمور ليس هنا.

الوجيه : لكن مرْداك هنا، وكذلك فرنون ولورد هاري برسي، وأيضاً مولاي ورسستر، مع نخبة من المحاربين البواسل والوجهاء الأكارم.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لكن الملك من ناحية قد جمع نخبة عليّة القوم بأسرهم : أي أمير وايْلس ولورد جون لنكاستر والنبيل ويستمورلند والمحارب بلونْت وغيرهم من المقاتلين الأشدّاء ورفاقهم، وكلّهم رجال امتازوا بسمعتهم الطيّبة وخبرتهم العسكرية الواسعة.

الوجيه : لا شك، يا مولاي، بأنهم لن يلاقوا أخصاماً ألدّاء يوازنوهم بالمهارة وشدة البأس.

رئيس الأساقفة : أرجو ذلك من كل قلبي. والأجدر بنا أن لا ننام متّكلين فقط على مقدرتنا. لذلك، بغية أن تتجنّب أسوأ الحالات، يا سرْ ميكائيل، علينا أن نستعجل الأمور، لأن لورد برسي، اذا لم يتمكّن من الوصول الى مبتغاه قبل أن يستغني الملك عن رجاله ويصرفهم، يودّ أن يزورك معتبراً ذاته أنه ينتمي الى تحالفنا. وليس

من الحكمة أن نستنفر قوّاتنا لنحمي أنفسنا من أذاه. بالنتيجة، لا بد لنا من العجلة. ويتحتم عليّ أيضاً أن أذهب لأكتب الى بعض الأصدقاء استنجد بهم. وبناءً على ذلك، أودّعك، يا سرْ ميكائيل.

(يفترقان).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في معسكر الملك بقرب شروزْ بري، وقد طلعت عليه أنوار الفجر

(يدخل الملك هنري، والأمير هنري، والأمير جون لنكاستر وسرْ والتر بلونت وسرْ جون فالستاف)

الملك هنري: ما لهذه الشمس المشرقة على تلالنا، محمرة هكذا كأنها دامية، والطبيعة تبدو شاحبة على نورها الباهت؟

الأمير هنري : ريح الشمال تهب وتصفر كالبوق الحزين وسط هذه الكآبة الرهيبة. وهي بتحريكها أوراق الشجر بعنف تُسمعنا حفيفاً مخنوقاً كأن العاصفة تنوح وتُعول في هذا النهار المكفهرّ الغاضب.

الملك هنري: أجل، كأن زمجرة الأنواء تنتحب بسبب هزيمة المنكسرين في المعركة، لأن الأيام لا تعبس أبداً في وجه المنتصرين.

(تصدح الموسيقى. يدخل ورسستر وفرنون).

الملك هنري: أهذا أنت، يا لورد ورسستر؟ من المؤسف أن نلتقي أنا وأنت في مثل هذه الأحوال المقلقة. لقد خيّبت آمالنا وبدّدت ثقتنا فيك، وأجبرتنا على التنكّر للسلام فيما بيننا وعلى حبس أجسامنا المسنّة في دروع فولاذية

ثقيلة. وهذا أمر غير مستحبّ، كما تعلم جيداً، يا مولاي. ما هو جوابك على ذلك؟ أولا تريد الآن أن تحلّ عقدة هذه الحرب البغيضة، لنسلك معاً يداً بيد درب التفاهم والوئام ونكمل مسيرتنا السلميّة الخيّرة كما فعلنا في السابق ردحاً طويلاً من الزمن؟ أولا تريد أن تجوب معي بسرور رحاب الآفاق النيّرة بعيداً عن ظلمة العداء والبغضاء وأن نلتزم الهدوء والبهجة في مستقبل الأيام؟

ورسستر : إصغ اليّ، يا مولاي. انا من جهتي يسرّني أن أقضي ما بقي من عمري في أمان وسعادة ورخاء، لأني من طبعي لا أحبّ المشاكسة والتفرقة الوخيمة العاقبة.

الملك هنري: أعرف تمام المعرفة أنك لم تبحث يوماً عن الخلاف. ولكن كيف بربك وصلنا اليه.

فالستاف : كان التمرّد في طريقه الينا عندما تعثّرنا وسقطنا في مطبّاته.

الأمير هنري : سقياً للسلم، وما أحلى زمن الوئام.

ورسستر : لقد استغربت كيف استرعيت انظار أغلب أفراد بلاطي، بينما أسمح لنفسي بأن أعلمك، اني أول من حافظ على مودة أصدقائي. فلأجلك قد كسرت عصاي أثناء تولّي منصبي في عهد رتشرد. وسعيت ليلاً ونهاراً الى موافاتك ومساندتك، وأنت لم تكن في وضع أقوى ولا أنجح مني. والفضل لي ولأخي ولولدي في عودتك الى ديارك سالماً، وقد جابهنا كل المخاطر بشجاعة في تلك الظروف الصعبة. لذا أقسمت لنا وعاهدتنا في دنْكاستر على أن لا تفكّر يوماً في مقاومة سلطتي وأن لا تطالب إلّا بما يحقّ لك من إرث

جون دي غان، أي دوقيَّة لنكاستر. لذلك وعدتك بكل مساعدتي عند الحاجة. وسرعان ما أمطر سحاب الحظ غيثه عليك نعماً وازدهاراً. غير أن مساندتي وغياب الملك، وكذلك التجاوزات وفوضى تلك الحقبة العسيرة والآلام التي عانيناها والرياح المعاكسة التي احتجزت الملك أثناء حربه التعيسة في ايرلندا زمناً طويلاً هناك، حتى ظن الجميع في انكلترا أنه مات. فبادرت أنت الى استغلال هذه الظروف كأنها حسنات جاءت تدعم مأربك. واغتنمت الفرصة لجعل الأغلبية ترجوك كي تستلم زمام السلطة العليا. لكنك نسيت العهد الذي قطعته لي على نفسك في دنكاستر. وبعد أن ساندتك أنا في هذه القضية عاملتني كطفل عاقّ عضّ مرضعه، وولد غبيٍّ سطا على عشٍ يأوي فراخ عصفور وادع. أجل ساعدتك، ولمّا اشتد ساعدك رميت ثقتي بك في المهالك. فخشيت أنا أن أُدفَن حياً تحت حطام مودتي وأمانتي. وراودتني فكرة الهرب لأنجو بنفسي من غدرك وآمن مما قد يلحق بي من ظلمك، لكنني عدلت عن هذا النهج المعوجّ، وفضّلت تنظيم المقاومة مستفيداً من الأسلحة التي أعددتها أنت لمحاربة مصالحك بطرقك الملتوية الجائرة وأساليبك الجائرة البطّاشة، وتعدّياتك الوحشية فدست بشراسةٍ جميع المقدّسات التي حاولت أن تتذرّع بها في شبابك لبلوغ أهدافك.

الملك هنري: كل هذه الأمور توسّلتها وأعلنتها وتمسّكت بها ونشرتها في المعابد لكي تُلبس عصيانك ثوب الفضيلة

الزاهي وتبهر من تنطلي عليه المظاهر الخدّاعة والحيل المبرقعة بالبراءة وحُسْن النيّة. فاجتذبت اليك أفواجاً من المستائين الحاقدين وألّبتهم على خصمك وشجّعتهم على تأييد مخططك الجهنمي فانقلبوا معك على السلطة الشرعية، وساعدتك هذه الفوضى على التغلّب والانتصار في نهاية الأمر، نظراً الى ما اعتمدته في تصرفك الشاذ من أساليب الغطرسة ووسائل التحطيم والتهديم.

الأمير هنري : عديدون بين أفراد جيشي هم الذين سيدفعون غالياً ثمن لقائنا هذا اذا اتفق لهم أن يشتبكوا في قتال مستميت. قل لابن أخيك اني أنا أمير وايْلْس أنْضم الى معظم الناس للاشادة بشخص هنري برسي. وأقسم بأعز ما لديّ اني أضع المصلحة الآنية جانباً لأتعاون واياه بصورة أنشط وأشجع وأجرأ للخلاص من محنتي الحاضرة بأعمال نبيلة ترفع الرأس. أما من جهتي فيجب عليّ أن أقول لك كم أنا خجول من قلة تمسّكي بمبادئ الفروسية الأبيّة. وهذا هو رأي أغلب أتباعي في ما يشجعونني عليه من أعمالي وتوقّعاتي. مع ذلك أعلن أمام صاحب الجلالة ابي اني موافق على أن تستفيد أكثر مني من شهرته وأمجاده، وأتعهّد لتفادي سفك دماء الطرفين، أن أحاول التغلب عليه في قتال إفرادي.

الملك هنري: وأنا لن أتردّد، يا أمير وايْلْس، أن أغامر في محاربة أعرافك مهما حالت دون انسجامنا دواعي الاشتباك معاً في معركة مشتركة. لا، يا ورسستر الكريم، لا.

أنا أحبّ شعبي محبة صادقة فائقة، حتى اني أكنّ مودّةً خاصّة لمن ناصروا ابن أخيك على مناوأتي. واذا ارتضوا ما أعرضه عليهم من حلمي وسماحتي، وأنا أعنيهم جميعاً، وبنوع خاص هو وأهمّ أتباعه، ستصبحون أصدقائي مجدّداً، وأظل أنا خِلّكم الوفي على الدوام. قلْ هذا لابن أخيك واستحصل لي منه على ردّه الذي أرجو أن يكون ايجابياً وودّياً. واذا لم يوافق على ذلك، فلن أحجم عن توبيخه ومعاقبته. وبناء على اقتراحي هذا، أسألك أن ترحل لأني لا أريد أن أرهق نفسي بمفاوضات غير مجدية. أنا أعرف جيداً ما في عرضي من إغراء لا يقاوم، وآمل أن يتقبّله بكل حكمة وتبصّر.

(يخرج ورسستر وفرنون).

الأمير هنري : أؤكد لك وأقسم بحياتي أن عرضك غير مقبول لديه. لأن دوكلاس وهاتسبر مجتمعين يمكنهما أن يقاوما بالسلاح قوى الدنيا بأكملها.

الملك هنري: الى العمل اذاً، وعلى كل رئيس أن يلزم مكانه، لأننا بموجب ردّهم السلبي سننقضّ عليهم، والله يعيننا على صيانة قضيتنا العادلة.

(يخرج الملك وبلونت والأمير جون).

فالستاف : يا هال، اذا رأيتني أغامر في خوض هذه المعركة، آمل أن تساعدني شخصياً لأني أعتبر هذا منك برهاناً قاطعاً على ما تحفظه لي من الصداقة والمودة.

الأمير هنري : يلزمك جبّار للقيام بما تطلبه مني. أرجوك أن تبدأ

بتلاوة صلاتك إستعداداً للرقاد. الوداع.

فالستاف : أملي وطيد، وقد حان وقت النوم، أن تنقضي كل المشاكل بسلام.

الأمير هنري : يبدو عليك انك استجبت دعوة ربك لتضحّي بنفسك.

(يخرج).

فالستاف (وحده) : أجلي لم يُقرّر بعد كي يحين في موعد قريب. وأنا أرفض أن أردّ أمانة ربّي قبل زمن استحقاقها. لماذا اسارع الى التصدّي لأمر لا يعنيني؟ هذه مسألة غير هامّة. فإن شهامتي تأبى عليّ أن أستبق الأحداث. لكن اذا دعاني الواجب للانتقال الى العالم الآخر لن أتأخر عن التلبية. غير اني أتساءل عمّا اذا كانت المروءة تستطيع أن تعوّض عليّ يداً أو رجلاً في حال فقدانها، أو تسكّن لي الم جرح أو علّة ما؟ كلاّ. وهل تتعاطى الشهامة أعمال الجراحة التي تجهلها؟ كلاّ، ثم كلاّ. هي مجرّد كلمة. وماذا تعني هذه الكلمة؟ انها تحوي نَفَساً حيّاً فيه كل سحر الحياة وروعتها. ومن يمتلك هذه الشهامة الأبيّة؟ هل يشعر بها من أسلم روحه في أي يوم عادي؟ كلاّ. هل يسمع الجميع نداءها؟ كلا. هل القضية اذاً شعور غير حقيقي؟ أجل لدى الأموات الذين فقدوا كل حركة. ولكن، ألا يتسنى للشهم أن يعيش بين الأموات؟ كلاّ. لماذا؟ لأن النميمة لا تتيح له ذلك. وهكذا أنا أيضاً لا أريد ذلك. فهذه الشهامة شعار بسيط هو خلاصة مبادئي ومشاكلي.

(يخرج).

المشهد الثاني

في معسكر المتمردين

(يدخل ورسستر وفرنون)

ورسستر : لا، لا، يجب أن لا يعرف سرّ رتشرد ان ابن أخي مطّلع على العرض السخيّ الذي قدّمه الملك لتحقيق الوفاق بين مختلف الفرقاء المتناحرين.

ورسستر : في هذه الحالة سنهلك كلنا لا محالة. اذ لا يعقل أن لا يفي الملك بوعده، وان لا يعطف علينا ويشملنا برعايته. سيظن بنا سوءاً وسيجد دائماً حجّة وفرصة لمعاقبتنا على هذا التمرّد وعلى غيره من الأخطاء. فهناك شكوك تحوم حولنا ومن الصعب الأغضاء عنها. لأن الخيانة ليست مدعاة ثقة ما دام الثعلب الغادر مهما رُوّض ودُجّن لا بد له من الاحتفاظ بخبث أجداده الماكرين. فان بدت علينا امارات الحزن أو الفرح ستأوّل دائماً شرًّا. وسيكون مصيرهم كبقر الزريبة يزداد اقترابها من المسلخ كلما حسنت معاملتها وزاد وزنها. ان الضرر الذي سببه ابن أخي، من السهل غض الطرف عنه ونسيانه. وعذره هو نزق شبابه ودم الحماس الذي يغلي في عروقه ولقبه المميّز هاتسبر أي المتهوّر الذي تسيطر عليه أهوائه الفاسدة. وكل أخطائه وذنوبه ستنصبّ عواقبها على رأسي ورأس والده. نحن ربّيناه وتهاونّا في تقويم اعوجاجاته وبما ان انحطاطه مستمرّ في محيطنا وهو من مسؤولياتنا، علينا نحن علّة كل هذه المعضلات أن ندفع ثمن

تساهلنا. لذلك، يا ابن عمي العزيز، يتحتم على هنري أن يجهل عرض الملك مهما كلّف الأمر.

فرنون : قلْ ما شئت، وأنا أكرّر وجهة نظرك وأدعمها. ها هوذا ابن أخي قادم الينا.

(يدخل هاتسبر ودوكلاس، يتبعه ضبّاط وجنود).

هاتسبر : لقد عاد عمي. فليطلق سراح مولاي ويستمورلند... ما وراءك من الأخبار يا عمّاه؟

ورسستر : سيهاجمك جنود الملك بدون إمهال.

دوكلاس : ارسل اليه تحدّياتي بواسطة لورد ويستمورلند.

هاتسبر : اذهب، يا لورد دوكلاس، وكلّفه بايصال هذا التحدّي.

دوكلاس : لعمري، انا ذاهب بكل طيبة خاطر.

ورسستر : لا يغرب عن بالك ان الملك ليس في صدره ذرّة من الحلم والانسانية.

هاتسبر : وهل أنت، لا سمح الله، طلبت منه أن يكون حليماً؟

ورسستر : لقد خاطبته برقّة عن أخطائنا وعن وعوده التي لم يفِ بها. وللتعويض عن موقفه الذي يستحقّ اللوم، ندّد الآن بما أقسم سابقاً على القيام به. وهو يعتبرنا متمرّدين وخونة، وقد عزم على استلال سيفه ليصلح ما يصمنا به من نقائص.

(يدخل دوكلاس).

دوكلاس : هبّوا الى السلاح أيها الذوات. لأني وجّهت تحدّياً عنيف اللهجة الى كرامة الملك هنري. وقد أبلغته اياه بواسطة ويستمورلند الذي كان رهينته. وهذا من شأنه أن يعجّل هجومه علينا في أقرب وقت.

ورسستر : أمير وايلس، على ما بلغنا، يتقدم والده في اتجاهنا وقد تحدّاك لمجابهته في قتال فردي.

هاتسبر : كم أتمنى أن تنهال المشاكل على رأسي، وأن نكون أنا وهنري مونماوْث من تقطع عليهم الأنفاس وتدهشهم بفروسيّتك. ألا قل لي كيف نظّم أموره؟ هل لا يزال غير مبالٍ؟

فرنون : لا، وربّي. لم أسمع في حياتي تحدّياً متواضعاً أكثر من هذا، كأن أخاً يحرّض أخاه برفق وكياسة أثناء عرض ألعاب مسلّية، بعد أن كال لك سيلاً من المديح، وقد نمّق ثناءه ببلاغة خطابية. فعدّد مآثرك في وصف شيّق ورفعك فوق كل الشبهات وأضاف ان هذا الاطراء لا يفي بما تتمتع به حقيقةً من المزايا الحميدة والخصال الفريدة. ثم بنبل يليق بأمير أصيل، لم يتأخّر عن انتقاد ذاته، وندّد بشبابه المتهوّر بنعومة نادرة بدا من خلالها كأنه يملك حاسة مزدوجة طائشة ورصينة معاً، كأنه أستاذ وتلميذ في آن واحد. هنا توقّف عن الكلام، ليستجمع شتات أفكاره. لكني أستطيع أن اؤكد لك أمام الجميع، إن تخطّى أحقاد هذا النهار، أنّ انكلترا لن تشهد أبداً أملاً أحلى وأحبّ من رحابة صدره هذه إذْ قلَّ ان لمسها أحد من قبل بمثل هذه العذوبة والوداعة.

هاتسبر : أعتقد، يا ابن عمي، انك تتعشق الاستهتارات المكشوفة. فلم أسمع عن أمير تصرّف بمثل هذا التهتك الأحمق غير مبالٍ بكل العواقب الوخيمة. ولكن مهما كان سلوكه غريباً، أنا أصرّ هذا المساء على ضمّه الى صدري كجندي وأعانقه بلهفة وأغمره بلطفي

وعطفي. والآن الى السلاح، هيا الى السلاح، أيها الرفاق والجنود والأصدقاء. ليكن رائدنا واجب الولاء وهمة الشباب. واعذروني لأني لست مفوّهاً لأخطب فيكم ببلاغة وفصاحة تبيّن لكم ما أكنّه مع ذلك من حماس غير محدود.

(يدخل رسول).

الرسول : يا مولاي، هذه رسالة موجهة اليك.

هاتسبر : لا أستطيع أن أقرأها الآن. الحياة قصيرة، يا سادة، لكن اذا استُعملت لحظاتها الوجيزة بجبن ودناءة، بدت أطول بكثير مما هي فعلاً. مع ذلك اذا ربطت الحياة بعقارب الساعة، لا تدوم مسيرتها أكثر من ستين دقيقة. واذا عشنا فنحن نعيش لنمشي ونُجابه الملوك، واذا متنا يكون أجلنا قد حان، فنقضي نحبنا بارتياح لأن الأمراء أيضاً عرضة للفناء مثل سواهم. أمّا مصيرنا، فعندما نشهر السلاح لأجل قضية شرعية فنهايتها لا بد من أن تكون عادلة.

(يدخل رسول).

الرسول : يا مولاي، عليك أن تكون على أتم الاستعداد، لأن الملك يتقدم بسرعة.

هاتسبر : أشكره على مقاطعته حديثي، لأن بلاغتي ليست بفصاحة خطيب مفوّه. لدي كلمة أخيرة أقولها : يجب على كل واحد منّا أن يحسن التصرف، بقدر إمكانه. والآن ها أنا أشهر سيفي مصمّماً على تخضيب نصلته بالدم الأحمر الحامي الذي تضعه الصدفة في متناول

يدي، طوال هذا النهار الخطير. فاعتصم بالأمل، يا برسي، والى الأمام. دعْ كل أدوات الحرب تدوّي أصواتها الرنانة، ولننطلق كلّنا على وقع هذا النغم الموسيقي. وأنا أراهن أن السماء والأرض معاً لن تتيحا لعدد كبير منا أن يقوم مرة ثانية بما يستطيع أن يأتيه من البطولة في هذه الساعة الرهيبة.

(تنفخ الأبواق. ويتعانق الجميع ثم يمضون).

المشهد الثالث

وسط ساحة المعركة في شروز بري

(تُشاهد تحرّكات جنود ومناوشات. تُسمع موسيقى الهجوم. ثم يدخل دوكلاس وبلونت، كل منهما من جهة)

بلونت : ما اسمكَ، يا من تسدّ عليّ سُبُل التحرّك في هذه المعركة؟ أي شرف تترقّب نيله على يدي.

دوكلاس : أعلم ان اسمي دوكلاس، وأنا أقصد أن أضايقك لأني أعرف انك الملك.

بلونت : هذه هي الحقيقة بعينها.

دوكلاس : اليوم لورد ستافورد دفع غالياً شبهه بك، اذ بدلاً منك، أيها الملك هنري، اخترق حسامي صدره وأزهق روحه. وها هو سيفي ينوي أن يُلحقك به ويخمد أنفاسك أنت أيضاً، اذا لم تستسلم اليّ كأسيري.

بلونت : أنا لم أولد لكي استسلم، أيها الاسكتلندي المتجبّر، ولن تلبث أن تكون ضحية انتقامي لمقتل لورد ستافورد.

(يشتبكان ويسقط بلونت قتيلاً).
(يدخل هاتسبر).

هاتسبر : يا دوكلاس، لو كنت قاتلت هكذا في هولمدن لما تمكّنت من قتل اسكتلندي واحد.

دوكلاس : تمّ تفوّقنا، وأصبح انتصارنا كاملاً. وها هو الملك ملقى على الأرض جثمة هامدة.

هاتسبر : أين هو؟

دوكلاس : هنا.

هاتسبر : هذا الرجل هو دوكلاس، وأنا أعرف جيداً محياه. فلقد كان فارساً مغواراً يدعى بلونت. وكان زيّه يماثل الملك تماماً.

دوكلاس (ينظر الى الجثة) : عملك ضرب من الجنون، ذهبت أنت ضحيته. فلقد كلّفك غالياً انتحالك اسماً مستعاراً. لماذا ادّعيت أمامي انك الملك؟

هاتسبر : كثيرون هم الذين يرتدون ملابس كثيابه.

دوكلاس : بحقّ سيفي، سأمزّق كل ما يشبه ملابسه، وسأقطع إرباً إرباً كل من يرتدي الثياب التي تشبهها حتى أجد الملك الحقيقي.

هاتسبر : هيا، الى الأمام. جنودنا يشتركون في المعركة بكل بسالة كما يجب عليهم أن يقاتلوا.

(يخرجان).

(تصدح الموسيقى ثانية. يدخل فالستاف).

فالستاف : آسف لعدم تصفيتي حسابي في لندن. وأخشى أن أسدّد هذا الحساب حيث أنا الآن. فهنا لا بد من أن تتم التصفية طبعاً على حساب شخصه هذه المرة. (ينحني على جثمان بلونت). مهلاً، من أنت؟ لقد نلت شرفاً كبيراً هكذا، يا سرْ والتر بلونت. ما هذه الحماقة... دمي يغلي كرصاص ذائب وهو ثقيل مثله. وقاني الله من الرصاص. أنا لست بحاجة الى الهجوم على أيٍّ كان... لقد قدّت اغبيائي الى مكان لاقوا فيه مصرعهم، ومن بين مئة وخمسين كانوا بمعيّتي لم يبقَ سوى ثلاثة أحياء، لم يعودوا صالحين لغير التسوّل طوال باقي حياتهم، عند مخارج المدينة... من القادم الى هنا؟

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : ماذا جرى؟ هل أنت هنا ولا تأتي بحركة؟ أعرني سيفك. لأن عدداً كبيراً من الوجهاء مجندلون أمواتاً بلا حراك تحت سنابك خيل العدو، ظلوا هنا هكذا بدون أن يثأر لهم أحد. أرجوك أن تعيرني سيفك.

فالستاف : أرجوك، يا هال، أن تدعني أتنفس الصعداء قليلاً. لن يتمكّن التركي غوريغوريوس أبداً من إظهار مثل هذه الشجاعة التي أبداها اليوم. لقد صفّيت حسابي مع برسي، وأضحى مصيره معلوماً.

الأمير هنري : أجل بات معلوماً، ما دام يحيا لكي يقتل. أرجوك أن تعيرني سيفك.

فالستاف : لا، لا. بربّي، يا هال، اذا كان برسي لا يزال على قيد الحياة لن تحظى بسيفي، بل أعطيك غدّارتي إن شئت أن تقتله.

الأمير هنري : هاتها. ألا تزال في قرابها؟

فالستاف : أجل، يا هال. وهي بعد حامية، حامية جداً، وفيها فعاليّة تقوى على تدمير مدينة برمّتها.

الأمير هنري (يسحب قنينة خمرة) : آه منك. هل هذا وقت المزاح والمداعبة؟

(يرمي بالقنينة ويخرج).

فالستاف : هيا، اذا كان برسي لا يزال حياً سأخترق صدره بسيفي، إن وجدته في طريقي. هذا مفهوم. وإلّا اذا انا اعترضت سبيله، أودّ أن يُرديني جثمة هامدة. لأني لا أحب المجد الباطل المتجهّم الذي أحرزه هنا سرْ والتر. صونوا حياتي، فاذا استطعت أن أحافظ عليها كان به، وإلّا سأنال المجد صدفةً بدون أن أبحث عنه، وينقضي الأمر على أهون سبيل.

(يخرج).

المشهد الرابع

في مكان آخر من ساحة المعركة

(تُسمع موسيقى التحذير. ويتحرك الجنود. ثم يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون وويستمورلند).

الملك هنري: أرجوك، يا هاري، أن تنسحب، لأن دمك ينزف بوفرة. رافقه يا لورد جون لنكاستر.

الأمير جون : لا، يا مولاي، ليس قبل أن يسيل دمي أنا أيضاً.

الأمير هنري : ألْتمس من جلالتك أن تعود الى المقدّمة، خشية أن يبعث انسحابك الهلع في نفوس اصحابك.

الملك هنري: سأفعل كما تشير عليّ... يا لورد ويستمورلند، رافقْه الى خيمته.

ويستمورلند : هيّا بنا، يا مولاي، لأوصلك الى خيمتك.

الأمير هنري : توصلني أنا، يا مولاي؟ أنا لست بحاجة الى المساعدة. لا سمح الله، ان ينتشل خدش بسيط أمير وايْلْس من ساحة المعركة هذه، حيث تدوس الأرجل كل نبيل مضرّج بدمه، وحيث ينتصر سلاح المتمرّدين في مثل هذه المذبحة الوحشية.

الأمير جون : لقد طال زمن راحتنا. تعال، يا ابن عمي ويستمورلند. هنا يجب علينا تأدية واجبنا المقدس. بالله عليك، تعال.

(يخرج الأمير جون وويستمورلند).

الأمير هنري : لقد خدعتني، بحق السماء، يا لنكاستر. لم أكن أظنك أبداً تتمتع بمثل هذه البطولة. ولقد أحببتك حتى اليوم كأخ، يا جون. ولكنك الآن أصبحت أعزّ عليّ من نفسي.

الملك هنري: رأيته عن كثب يقارع برسي بصلابة نادرة لم أكن أترقبها من محارب مبتدئ نظيره.

الأمير هنري : حقاً، هذا الولد يبعث في نفوسنا الحماس والاندفاع.

(يخرج).

(تسمع موسيقى التحذير. يدخل دوكلاس).

دوكلاس : هل هذا ملك جديد؟ أرى الملوك ينبتون كرؤوس التنّين السبعة. انا دوكلاس أجرّ الشؤم على جميع من يحملون هذه الشارات. من أنت، يا من تتزيّى كشخص الملك بالذات؟

الملك هنري: انا الملك الأصيل. آسف جداً، يا دوكلاس من كل قلبي لكونك صادفت مراراً شبيه الملك، ولم تلتق أبداً بالملك الحقيقي شخصياً قبل الآن. ولداي الأثنان يبحثان عنك وعن برسي في ساحة القتال. لكن بما أنك لقيتني هنا صدفةً سأمتحنك لذا أطلب منك أن تستعد للدفاع عن نفسك.

دوكلاس : أخشى أن تكون أيضاً هنري آخر مزيّفاً. مع أني أجد فيك شخصية الملك بالذات. غير أني، كائناً من كنت، أوقن بأنك أصبحت طريدتي وهكذا تظلّ تحت سيطرتي.

(يتقاتلان. وحين يمسي الملك في خطر، يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : ارفع رأسك، أيها الأسكتلندي الزميم، أو تتعرّض صراحةً الى خطر عدم رفعه ثانية. لأن أرواح الأعزاء شرلي وستافورد وبلونت لا تزال تستصرخ حدّ سيفي البتّار. أنا أمير وايْلس أهدّدك. واعلم اني لم أعدْ بأمر

إلّا نفّذته بدون إمهال. (يتقاتلان، يهرب دوكلاس، ويخاطب الملك) : تشجّع يا مولاي. كيف حالك الآن؟ لقد أرسل سرْ نقولاس كاوْسي في طلب النجدة، وكذلك كليفتون. وها أنا مسرع للانضمام الى هذا الأخير على الفور.

الملك هنري: قِف واسترجع أنفاسكَ لحظةً. ها قد استعدت سمعتك الطيبة التي فقدتها، وبرهنت على أنك تهتمّ بحياتي ومكانتي، فبادرت الى اغاثتي.

الأمير هنري : شكراً لك، أيتها السماء. كم أغاظني الذين ادّعوا اني لا أحرص إلّا على وجودي. فلو كان ذلك صحيحاً لتركت يد دوكلاس البطّاشة تطالك بكل ما يضمره لك صاحبها من حقد وكراهية. وكان هو عجّل على ترحيلك من هذه الدنيا، ووفّر على ابنك عناء خيانة فظيعة لبلوغ هذه النتيجة.

الملك هنري: اسرع يا كليفتون، وأنا أبادر الى اغاثة سرْ نقولاس كاوسي.

(يدخل هاتسبر).

هاتسبر : ان لم أكن مخطئاً، أنت هنري مونْموْث.

الأمير هنري : أنت تكلّمني كما لو كنت مزمعاً أن انكر إسمي.

هاتسبر : انا اسمي هنري برسي.

الأمير هنري : في هذه الحالة أرى أمامي متمرداً شجاعاً يحمل اسماً كإسمي، أنا أمير وايْلس. ولا أظن، يا برسي، انك تريد أن تنتزع مني هذا الفخر. إذ ان كوكَبَيْن لا يسعهما أن يتزاحما في دائرة واحدة وانكلترا لا تتّسع

لحكم مزدوج يسيطر عليه اثنان يحملان إسماً واحداً :
هاري برسي وهاري أمير وايلس.

هاتسبر : أجل، هي في الحقيقة لا تتسع لكلينا. لأن هاري قد صفّى حسابه مع خصمه. وان شاء الله ستكون سمعتك القتالية أوْلى بكثير من سمعتي أنا.

الأمير هنري : سأجعلها أعظم منها قبل أن أغادرك في هذا المكان. لأني عازم على جمع كل امجادك وجعلها عقداً أزيّن بها عنقي.

هاتسبر : لم أعد أتحمّل عنجهيّاتك أكثر مما فعلت.

(يتقاتلان).

(يدخل فالستاف).

فالستاف : جوابك سديد في محله، يا هال. لكن أصمت، يا هال. لأنك لن تلاقي هنا لعب أولاد. وسأريك كيف تكون مقارعة السيوف.

(يدخل دوكلاس ويقاتل فالستاف الذي يسقط الى الأرض كأنه مات، ثم يبتعد. يجرح هاتسبر ويسقط الى الأرض هو أيضاً).

هاتسبر : لقد حرمتني شبابي، يا هاري. وما يغيظني ليس فقداني حياتي الفانية، بقدر فقداني الألقاب التي انتزعتها مني. فقد شتّت أفكاري أكثر من كل الضربات التي أنزلها بي سيفك الفتّاك. غير ان الفكر يظل أسير الحياة، والحياة عبدة الزمن، والزمن يسيطر على الكون الذي لا بد له من التوقّف بعد حين... ربما يصبح بإمكاني يوماً أن أتنبّأ، لو كانت يد الموت القاسية الباردة لا تكمّ فمي في ذلك الزمان. لا، يا برسي، أنت

لست سوى تراب، ولا تصلح أن تكون طعاماً...

(يلفظ أنفاسه).

الأمير هنري : إلّا للزود، يا برسي الشجاع... الوداع، يا صاحب القلب الكبير. أنت طمّاع مجبول بالغرور، وها قد انكمشت أخيراً على ذاتك لترقد في حفرة ضيّقة. عندما كان جسدك يأوي نفسك، كانت المملكة برحابتها لا تتّسع لك. اما الآن فها أنت تكتفي بمساحة قدمين فقط من أقذر تراب الأرض... والأرض التي تحملك في هذه اللحظة المشؤومة وأنت ميت لا تحمل بسهولة انساناً جباراً وقحاً مثلك وأنت حيّ. (ينحني على الجثة). لو كنت لا تزال تتأثر بالمديح لما وجّهت اليك كلاماً هكذا عزيزاً ينمّ عن التقدير والاحترام. لكن اسمح لي بأن أتكرّم عليك بتغطية وجهك المشوّه. فإن ممارسة هذه الطقوس العاطفية النبيلة تزيدني شرفاً على شرف. الوداع. أوصيك بأن لا تصطحب الى السماء سوى الثناء والمديح. أمّا دناءتك فدعها ترقد معك في ظلمة القبر مثواك الأخير، ولا تذكرها على بلاط ضريحك (يشاهد فالستاف ممدّداً على الأرض). من هذا؟ أهو خِلّ قديم؟ أولم يستطيع كل هذ االلحم أن يحافظ على بعض حيويّته؟ مسكين جاك، الوداع. ما أصعب فراقك عليّ. سأفتقدك كثيراً وإن غرقت في خضمّ من الاستهتارات. ففي هذه الاشتباكات الدامية، لم يحرمني الموت شخصاً أعزّ منك. سأحنّط جثمانك قريباً. وحتى ذلك الحين، إبقَ مسجّى تسبح في دمك الى جانب النبيل برسي.

(يخرج).

فالستاف (ينهض ببطء) : تحنّطني أنت؟ اذا حنّطتني اليوم سأسمح لك بأن تملّحني وتأكلني غداً... يا إلهي، كم كنت مصيباً عندما تظاهرت باني ميت، وإلّا كان هذا التنّين الاسكتلندي دفّعني غالياً ثمن مراوغتي. هل تظاهرت بالموت حقّاً؟ انا مخطئ، لأني لم أتظاهر بأية حالة مصطنعة، بل الموت تظاهر في حالتي المريبة. لأني لست سوى شبه رجل عندما لا تكون فيّ حياة الرجال. بالعكس، أنا أعتبر ان تظاهري بالموت عندما لا أزال على قيد الحياة ليس تظاهراً، بل هو نموذج حقيقي وكامل للحياة. لأن أوّل معالم الشجاعة هو الحرص والحذر. وبفضل هذه الحيلة البارعة أنقذت حياتي. والله، أنا خائف من هذا الغادر برسي حتى إن كان بالفعل ميتاً. واذا كان هو أيضاً يتظاهر بأنه ميت، وأزمع أن ينهض؟... لعنة ابليس عليه أنا أخشى أن يكون أحد هذين المتظاهرين بالموت ليس سوى دجّال محتال أدهى مني. لذى أريد أن أتبيّن مصيره الحقيقي. وأقسم بعدئذ أني فعلاً قتلته. لكن لماذا لا يتمكّن من النهوض كما فعلت أنا؟ ليس إلّا الشاهد العيان يتسنى له أن يكذّب قولي، اللّهمّ إلّا إذا رأى ما أعمل في هذه اللحظة. (يطعن برسي بخنجره). وهذا الجرح في فخذك يُجْهز عليك، فهل تقوى بعده على المجيء بصحبتي؟

(يحمل الجثة على ظهره).

(يدخل الأمير هنري ثانيةً، وكذلك الأمير جون).

الأمير هنري : هيّا بنا، يا أخي جون. يكفي اليوم ما برهنت عنه بسيفك من بسالة لم يسبق لها مثيل.

الأمير جون : لكن مهلاً. من عندنا هنا؟ ألم تخبرني بأن هذا الرجل البدين قد مات؟

الأمير هنري : فعلاً، رأيته جثة هامدة بلا حراك مضرجة بالدم، ملقاة على الأرض. هل أنت حيّ، أم أنت شبح يخدع أنظارنا؟ أرجوك أن تتكلم، لأننا بتنا لا نصدّق عيوننا ولا نصدق آذاننا. أنت حتماً لست كما يبدو عليك.

فالستاف : كلا، هذا أكيد. أنا لست انساناً مزدوجاً. وبما اني لست جون فالستاف، اذاً أنا رجل غبيّ. (يرمي الجسم أرضاً). هذا هو برسي. اذا كان أبوك ينوي منحي شرفاً جديداً، فليكن. وإلّا، عليه أن يقتل هو بذاته برسي القادم. لأني أنا عازم على أن أكون دوقاً أو كونْتاً بكل تأكيد.

الأمير هنري : لكني أنا الذي قتلت برسي، وقد رأيتك أنت بالذات ميتاً.

فالستاف : أنت... يا الهي، يا الهي، ماذا أسمع؟ هذا العالم غائص في مستنقع من الكذب والنفاق. انا لا أنكر أني كنت مطروحاً أرضاً أتنفّس بصعوبة، وكذلك هو أيضاً. لكننا نهضنا كلانا في اللحظة عينها، فتقاتلنا حوالى ساعة من الزمن حسب ساعة شروز بري الكبيرة. اذا شئت أن تصدّقني، كان ذلك رائعاً. وإلّا، على من يريد أن يكافئ القِيَم أن يجيب بصدقٍ حسب ما يراه حقاً. اني أتشبّث بتأكيدي حتى الممات أني أحدثت في فخذه هذا الجرح البليغ. فإذا ظلّ هذا

الرجل حيًّا ونفى ذلك، سأُجبر جسمه على ابتلاع
جزء جديد من سيفي.

الأمير جون : هذه أغرب قصة سمعتها في حياتي.

الأمير هنري : وهذا أيضاً أشجع فتى رأيته بأمّ عيني، يا أخي جون.
هيّا، احمل بفخر أمتعتك على ظهرك ولنسِرْ. من جهتي
أنا، إن كان الكذب يفيدك سأنمّقه بأحلى ما استطيعه
من ألفاظ. (تُسمع موسيقى الانسحاب). نُفخ بـوق
الانسحاب، وهذا اليوم هو يومنا. تعال، يا أخي نذهب
معاً الى آخر ساحة المعركة كي نرى مَن مِن رفاقنا
لا يزال على قيد الحياة ومن منهم قضى نحبه.

(يخرج الأمير هنري والأمير جون).

فالستاف : سأتبعهما بحجّة اني أريد أخذ مكافأتي. فمن يجزيني
خيراً يكافئه الله على جوده وكرمه. واذا أصبحت من
كبار العالم، فهذا دليل على اني بتُّ أميل الى التصاغر.
لأني سأضطر الى اختصار أمور كثيرة، وأبطل شرب
الخمرة وأعيش حياة لائقة نظيفة كما يجب أن يفعل
كل سيد نبيل.

(يخرج وهو يحمل جثة هاتسبر).

المشهد الخامس

في خيمة الملك

(تُنفخ الأبواق. يدخل الملك هنري والأمير هنري والأمير جون وويستمورلند وغيرهم من اللوردات، يتبعهم ورسستر وفرنون كأسيرين).

الملك هنري: هكذا سُحق التمرد ولقي العُصاة عقابهم. أيها الجاحد ورسستر. ألم أعدك بعفو وحلم وعطف يشمل الجميع؟ لكنك قلبت معنى عرضي رأساً على عقب وأسأت استغلال ثقة ابن أخيك فيك. ها قد قُتل اليوم ثلاثة فرسان في صفوفنا وكونْت نبيل وكثيرون غيرهم في هذه الساعة، لأنك لم تنقل باخلاص وولاء، من جيشٍ الى جيش، رسالتي الصريحة الصادقة.

ورسستر : ان ما أقدمت عليه قد أوحى به اليّ ما يقتضيه صون كرامتي. وأنا مستعد لقبول مصيري المحتوم بملء الرضى.

الملك هنري: خذوا ورسستر ونفّذوا فيه حكم الاعدام، وكذلك فرنون. اما سائر المذنبين، فسنتريّث قليلاً لنرى كيف نعاقبهم. (يخرج ورسستر وفرنون محاطَين بالحراس). ما هي أحوال ساحة المعركة الآن؟

الأمير هنري : الاسكتلندي النبيل لورد دوكلاس، عندما شاهد أن الحظ قلب له ظهر المجنّ، حين قتل النبيل برسي وباقي الرجال المسلّحين هربوا وتشتّتوا، لاذ هو أيضاً بالفرار مع من ظلّ سالماً. فما لبث ان سقط من أعلى الهضبة ورضّ جسمه. فأسره الرجال الذين طاردوه. وها هو دوكلاس سجين في خيمتي. فألتمس من جلالتك أن تسمح لي بإبقائه تحت تصرّفي.

الملك هنري: بكل طيبة خاطر.

الأمير هنري : هذا الرجل هو لك، يا أخي جون لنكاستر. تصرّف به كما يحلو لك. إذهب وقابل دوكلاس وردّ اليه حريته الكاملة بدون أية فدية. لأن الدرس الذي ألقاه اليوم علينا في المروءة والإباء نقبله بامتنان، ولو أتي من شخص نعتبره من ألدّ أخصامنا.

الملك هنري: هكذا لم يبق علينا سوى أن نتقاسم مهمّاتنا. فأنت يا ابني جون، وأنت يا ابن عمي ويستمورلند، ستذهبان الى يورك على جناح السرعة لمقابلة نورثمبرلند والحبر إسكروب لأنهما كما علمت قد إعتصما بقوة السلاح. وأنا وأنت، يا ولدي هاري، سنتّجه الى مقاطعة وايلس لمحاربة كلانداور والكونْت مارش. وبهذه الانجازات يفقد التمرد فاعليته في هذه الجهات التي حلّت بها الخسائر الفادحة لليوم الثاني على التوالي. وبما ان تدابيرنا سجّلت بداية موفّقة، علينا أن نتابع سعينا حتى نستعيد جميع أراضينا وحقوقنا كاملة.

(يخرجون).

تمّ الجزء الأول من مسرحية هنري الرابع

هنري الرابع

الجزء الثاني

أشخاص المسرحية

الشائعة : بمثابة مقدّمة.
الملك هنري الرابع.
الأمير هنري : ابنه، فيما بعد هنري الخامس

الأمير جون لنكاسْتر همفري كلوسستر توماس كلارانس	أبناء هنري الرابع واخوة هنري الخامس

نورْثمْبرْلنْد
إسْكْروب، رئيس اساقفة يورْك

لورد موبري لورد هاسْتينْكْس لورد بارْدولف ترافير مورْتن كولْفيل	أعداء هنري الرابع
ورويك ويستْمورْلنْد سُوراي كَوَار هَرْكور اللورد كبير القضاة	أنصار الملك
بُوينْز فالستاف بارْدولف بيستولي بِيتو غلام	ظرفاء منوّعين

شالو } من حكّام الأقضية
سيلانس
دايْفي : خادم شالو
كريف وبياج : خادمان
مُوَازي
أُومْبر
فارّو } جنود أقضية
فابل
فِو
غلمان حانة، وحجّاب وخدم.
زوجة نورْثمْبرْلنْد.
أرملة برسي.
المضيفة كويكْلي.
دوروثي ترُوذْرا.
خاتمة.

تجري الأحداث في انكلترا.

مقدّمة

(تدخل الشائعة مرتدية ثوباً عليه رسوم أَلْسِنَة ملوّنة)

الشائعة : إفتحوا آذانكم. من منكم يريد أن يُصاب بالصمم عندما تتكلّم الشائعة الصاخبة؟ فأنا من الشرق الى الغرب أركب الريح كحصان أصيل، لأذيع بدون انقطاع ما يبدأه الناس من أعمال على هذه الكرة الأرضية. بواسطة أَلْسِنَتي تلعلع دائماً شتّى الأوهام التي أترجمها الى جميع اللهجات لتبلغ كل الأسماع وتغدق عليها الأخبار المغلوطة. أتحدّث عن السلام بينما العداء الخفي يمزّق أطراف الدنيا خلف ابتسام الهدوء والطمأنينة الواجمة. ومَن غيري انا الشائعة أجل من غيري يستعجل استنفار الرجال المسلّحين واستعدادات الدفاع؟ بينما يُفترض في الجيوش التي تحرّكها الكوارث ان تحمل بين جوانبها أهوال الحروب وطغيانها فالشائعة هي كالبوق الذي تُنفخ فيه شتى الظنون وكوامن الحسد ومحرّضات العدوان. وهي آلات يتلاعب بها مسخ رهيب متعدّد الرؤوس توغر صدره أحقاد الشقاق وشكوك الجماعات باستمرار. لكن، ما الذي يدفعني الى تشريح شخصيّتي

المعروفة المساوئ، وأنا بين أهلي وأصحابي؟ لماذا انا الشائعة موجودة ها هنا؟ اني أسابق العاصفة. اما الملك هنري الذي سحق في سهل شروزْ بري الدامي شباب هاتسبر وفِرقه، وأُخمد نيران تمرّده الأرعن في بحر من دماء مثيري الشغب والفتن. ولكن، لماذا بدأت هكذا بإعلان الحقيقة؟ ووظيفتي هي نشر الشائعة التي تذيع خبر موت هاري مونْموْث الذي صرعه سيف النبيل الغاضب هاتْسْبر. فاضطر الملك حيال غضب دوكلاس ان يُطأطئ رأسه ويهرول مسرعاً الى قبره. هذا هو التقرير الذي نشرتُه في المدن والضواحي بين ساحة المعركة الملكية في شروْزْبري وهذا السور الحجري المهدَّم المفتَّت حيث تمارض والد نورثمبرلند المسنّ. فوصل رسله وهم يلهثون، ولم ينقلوا من الأخبار إلّا التي أبلغتهم أنا إيّاها. وكناقلي الشائعة لم يأتوا إلّا بالترضيات الكاذبة الخدّاعة، وهي أقسى من الحقيقة المُرّة كالحنظل.

(تخرج).

الفصل الأول

المشهد الأول

في واكْورْث عند مدخل قصر نورثمْبرْلنْد

(البوّاب واقف في المدخل، يدخل لورد باردولف)

لورد باردولف : من يحرس هذا الباب؟ أين الكونْت؟
البواب : من الآتي لأُنبئ بقدومه؟
لورد باردولف : قلْ للكونتْ ان لورد باردولف ينتظر هنا.
البواب : مولاي يتنزّه في الحديقة. فأرجو سيادتك أن تطرق الباب ليردّ عليك الكونت بذاته.
لورد باردولف : ها هوذا الكونْت قد أقبل.

(يدخل نورثمبرلند).

نورثمبرلند : ما وراءك من الأخبار، يا لورد باردولف. ان كل لحظة تأتينا بنبأ جديد. الأوقات حرجة وقاسية حالياً. والشقاق يبدو كحصان متخوم جموح يثور جنونه فيقلب كل ما يجده حوله.

لورد باردولف : أيها الكونت النبيل، اني أجيئك بأخبار أكيدة من شروزبري

نورثمبرلند : أملي أن تكون مطمئنة.

لورد باردولف : بقدر ما يتمناها القلب الطيب الرؤوف. فالملك قد أصيب بجرح بليغ. وبانتصار ابنك، يا مولاي، سقط الأمير هنري جثة هامدة. وبلونت الأب والابن هلكا كلاهما على يد دوكلاس. والأمير الشاب جون، وويستمورلند وستافورد هربوا من ساحة القتال. أمّا الجبّار سرْ جون أي خنزير هنري مونموْث فهو أسير ابنك. لم يمرّ بنا يوم نزاع حاسم ظفرنا نحن فيه مثل هذا اليوم الذي جاءنا بالنصر وغار المجد كيوم فوز قيصر على أخصامه.

نورثمبرلند : ومن أين جمعت كل هذه الأنباء؟ هل شاهدت ساحة القتال؟ هل أنت قادم من شروزبري؟

لورد باردولف : لقد صادفت شخصاً آتياً من هناك وهو وجيه عالي النسب طيب السمعة فنقل اليّ من تلقاء نفسه جميع هذه الأخبار وأكّد لي صحتها.

نورثمبرلند : ها هو خادمي ترافير الذي ارسلته يوم الثلاثاء الماضي ليأتيني بالأنباء.

لورد باردولف : لقد سبقته في طريقي إليك، وهو لا يعرف أكثر مما أفدتك عنه.

(يدخل ترافير).

ترافير : يا مولاي، طلب مني سرْ جون أمْفرْفيل أن أعود ادراجي بعد أن زودني بأخبار مفرحة. ولما كانت مطيته أسرع

من حصاني فقد سبقني اليك. وإثْرَ ابتعاده عني وصل فارس وجيه متعب، ووقف الى جانبي لكي يريح جواده المرهق، واستعلم مني عن طريق شسْتر وتلقّيت منه أخباراً جديدة عن شروزْبري. فأفادني بأن التمرّد قد قمع، وأعلمني بأن الشاب هنري برسي لاقى مصرعه. وبعد إصابته أرخى العنان لحصانه وانحنى الى الأمام على متن مطيّته وأعمل مهمازه في بطن الحيوان النشيط. ثم انطلق الفارس الذي صادفه بدون أن يطّلع على نتيجة المعركة وراح ينهب الأرض نهباً مقبلاً إلينا.

نورثمبرلند : بالله عليك، كرّر لي ما حدث. هل قال لك حقًّا أن مهماز الشاب هنري قد غُرِز في بطنِ حصانه، وانه سقط جثة هامدة، وان العصيان قد قُمع؟

لورد باردولف : اسمع، يا مولاي. اذا كان سيدي ابنك الشاب، لم يفز بالنصر، أؤكّد لك وأقسم بشرفي اني مستعد أن أتنازل عن لقب بارونيّتي وأن أقدّم عنقي لحبل المشنقة. دعْنا من مواصلة هذا الحديث.

نورثمبرلند : وماذا يقصد هذا الوجيه الذي استوقف خادمي ترافير وزوّده بتفاصيل هذه الأنباء المشؤومة؟

لورد باردولف : لأنه غبي سرق الحصان الذي يمتطيه وكلّم خادمك صدفةً، أجل صدفةً، وزوّده بهذه المعلومات المغلوطة. ها هي أنباء جديدة تردُ إلينا.

(يدخل مورْتُن).

نورثمبرلند : وهذا الرجل مثل أي نذير شؤم آخر، يحمل لنا خبر كارثة جديدة. هذا ما يدلّ عليه محياه المتجهّم. تكلّم يا مورتن. هل أنت قادم من شروزْ بري؟

مورتن : أجل، يا مولاي النبيل. لقد نجوت من شروزبري حيث حصد الموت الزؤام الغادر عدداً كبيراً من جماعتنا.

نورثمبرلند : كيف حال ابني وأخي؟ ما لك ترتجف وقد إمتُقع لون خدّيك اللذين يُفصحان عن رسالتك بوضوح أكثر من شفتيك. هكذا جاء الرجل المرهق المحطّم، وصورة المنيّة مرتسمة في عينيه، وهول الألم يسحق قلبه، وأماط اللثام أمام الملك بريام عن هول ما حلّ بمملكته في ظلام الليل الدامس، ليعلمه بأن نصف مدينة طروادة ذهب طعمة أَلْسِنَة اللّهيب المندلع. وكما ان بريام درى بما التهمته أَلْسنة النيران قبل أن يسمع كلام الرجل، هكذا استخلصت انا نبأ موت ابني برسي قبل أن تعلنه الكلمات وهذا ما تودّ أن تقوله لي : « ان ابنك فعل كذا وكذا، وأن أخاك عمل كذا وكذا، وهكذا قاتل النبيل دوكلاس ». أجل أردت أن تسرد على مسمعي تفاصيل رواية بطولتهما التي تتوق اذناي الى تلقّيها. لكنك في الختام، وأنت تشيد بشجاعتهما بدّدت روعة المديح بتنهّدك المؤلم قائلاً : ان أخي وابني وجميع رفاقهما قد أصبحوا في عالم الأموات.

مورتن : لكن دوكلاس لا يزال على قيد الحياة، وكذلك أخوك. أما مولاي ابنك...

نورثمبرلند : آه، لقد مات... لاحظ كم هي تعابير الظن سريعة الإنتشار. ان من يخشى حدوث أمر، ويخاف أن يطّلع عليه بصورة غريزيّة من عيون سواه، يوقن بأن ما يتخوّف منه قد حصل. مع ذلك، أرجوك، يا مورتن، أن تُعْلم الكونْت بأن توقّعاته خاطئة. هكذا يكون هذا الإفصاح في نظري كإهانة طفيفة، وأنا مستعدّ أن

أمنحك ثروة لقاء نكرانك اياها، كما أتمنّى.

مورتن : أنت أكبر من أن أنفي أقوالك، يا مولاي. لأن توقعك صحيح وتخوّفك في محله، خلافاً لما اشتهي أنا أيضاً.

نورثمبرلند : لكن كل هذه العبارات لا تثبت ان برسي قد مات. وها انا أقرأ تصريحاً غريباً يبرز في عينيك. أنت تهزّ رأسك وتعتبر من باب الاهانة أو الجرم ان تعلن الحقيقة كما هي. فلا تتردّد في القول انه قُتل، لأن اعلان موته ليس إساءة، بل الإساءة هي تشويه سمعة الميت، وليس محرّماً أن نعلن وفاة من فارق الحياة، مهما كان الأمر شاقًّا. مع ان أول من يفيد عن خبر مشؤوم هو غير مشكور، وصوته يخنّ كناقوس جنائزي يعلن فقدان شخص عزيز علينا.

لورد باردولف : لا يسعني أن أصدّق ان ولدك قد مات، يا مولاي.

مورتن : يعلم الله اني آسف جداً لاضطراري الى حملك على الاعتقاد بما وددت أن لا يجري أبداً. لكني أبصرت بأمّ عيني دمه ينزف، وهو منهوك القوى يلهث من الاعياء، لا يسعه أن يردّ ولو بضعفٍ على ضربات هاري مونموث. لقد شاهدت الأمير في ثورة غضبه يرمي الى الأرض برسي الشجاع الذي لم يعد يتمكّن من النهوض حياً. بالاختصار، أثّر على سير المعركة موتُ هذا القائد النشيط الذي ألْهب حماس افراد جيشه. لأن صلابة عزيمته أصبحت قدوة رجاله، عندما صُرِع هو انهارت معنويّاتهم كأنها كتلة من الرصاص ثقيلة الوزن هوت من علوّ شاهق. وبما ان أثقل الأشياء تطير عندما تُلقى في الهواء بأسرع ما يمكن، هكذا

بعد أن فقد جنودنا قائدهم هاتْسْبر سرعان ما تدهوروا في هوّة القنوط وبادروا الى الهرب للنجاة بأنفسهم. في هذه الأثناء استطاع الأعداء أن يأسروا ورسسْتر بسهولة. وتضايق دوكلاس، هذا الاسكتلندي الدموي الغاضب الذي قتل بسيفه البتار ثلاثة من أشباه الملك، وتداعت بسالته ولحق بمن اداروا ظهورهم وفرّوا. وفيما هو هارب تعثّر من شدّة ارتباكه وسقط على الأرض فانقضّ أعداؤه عليه وأسروه. بالنتيجة انتصر الملك وأرسل لمجابهتك، يا مولاي، فرقةً من الرجال بقيادة الشاب لنكاستر وويستمورلند. هذه هي الحقيقة بكاملها.

نورثمبرلند : سأجد الوقت الكافي لندب سوء حظنا. لكن، لا ننسَ ان في السمّ علاجاً يشفي. وهذه الأنباء تمرضني لو كنت سليماً معافى. غير أنها في الحالة الحاضرة، أعتقد أنها تشفيني من علّتي. وها أنا أشدّد عزيمتي. ونظير من جثمت المصائب على صدره فناءَ تحت وقر الحياة، أراني فجأة مجروفاً أمام عاصفة تذكي رياحها جذوة تصميمي على المقاومة. واذا باعضائي التي أضناها التعب والألم تستمدّ قوة ضاعفتها هذه الكوارث. اليك عني اذاً، أيها العكّاز المكسور. من الآن وصاعداً سأغلّف يدي بقفاز من فولاذ لأضرب بها أعدائي. اليك عني أيها الممرّض الجاهل الغبي، فأنت ترْسٌ هزيل غير صالح لحماية رأس أمير حفل ماضيه بالانتصارات المجيدة. بعد الآن لن أخشى أبداً أي سلاح يستهدف جبهتي. لأن قلبي قد طفح بالحقد

الذي تغلي مراجله في صدري، ما دمت، أنا نورثمبرلند، تحت رحمة الظروف القاسية المتقلّبة. لتتكاتفْ الأرض والسماء، ولتشدّد عناصر الطبيعة قبضتها على خونة هذا العالم الفاسد عسى هذا النظام الجائر ينهار على رؤوس ابنائه أحفاد قايين جدّهم الشقي الذي ارتكب أول جريمة قتل في هذا الكون الغريب العجيب، عندما أزهق روح أخيه الصالح هابيل، وقد أوغر الحسد والكره صدره عليه هوساً. هكذا يتلقّى الناس عبرةً تهيب بالأرواح الشريرة أن تقلع عن أعمال الهدم والقتل، ويسدل الستار على مأساة البشر، فيبزغ فجر الخلاص بعد ظلام الليل المريع.

ترافير : مهلاً، يا مولاي، لأن هذه المشاعر العنيفة تحمل في طيّاتها لك العذاب والهلاك.

لورد باردولف : عزيزي الكونت، لا تدعْ عواطفك تتغلّب على حكمتك.

مورتن : ان حياة جميع أنصارك متوقّفة على سلامة صحتك. فاذا استسلمت الى هذه الانفعالات لن تنجو من الوقوع في الإنحلال والانهيار. وأرجوك أن لا تنسى ويلات الحرب، أيها اللورد النبيل، وان لا تُغْفِل من حسابك ما تحبل به الأيام من الصدف والمفاجآت، قبل أن تهتف : هبّوا الى التمرّد، يا رفاق. لقد توقّعت طبعاً في توزيع ضرباتك، ربما سقوط ولدك، وأنت تعلم ان تقدّمه وسط المخاطر يدنيه من شفير الهاوية. كما تعلم أيضاً ان مغامرته تسبّب له السقوط أكثر من التعثّر والكبوة. وأنت تعرف جيداً كذلك ان جسمه

معرّض للجروح والقروح، وان اندفاعه لا بد من أن يجرّه الى اسوأ مصير. مع انك شجّعته، حين قلت له : اذهب. بدون أن تردعك عن موقفك هذا أية عقبة قد تقف حائلاً دون تنفيذ عزمك الصامد. فماذا جرى؟ وأية نتيجة أسفر عنها هذا القصد الجريء؟ لا شيء سوى ما كان حدوثه في حيّز الإمكان.

لورد باردولف : جميعنا، نحن الذين أصابتنا هذه الكارثة الأليمة، نعلم اننا نتورط في مغامرة تتقاذفنا فوق أمواج بحر هائج، وان رهاننا كان قائماً على واحد من عشرة إمكانات، بأننا لن نبلغ وطرنا، ولن نحقّق ما نتمناه من الفوز والانتصار. مع ذلك لم نحجم عن الإقدام غير المضمون، لأن الغاية التي كنّا نتوخّاها طغت على خوفنا من الخطر المرجّح. ورغم اننا أخفقنا، علينا أن نحيي آمالنا ونحاول مجدّداً تحقيق النجاح في هذه المغامرة بكل ما لدينا من قوّة، ونبذل الغالي والنفيس في سبيل بلوغ الغاية المنشودة.

مورتن : أجل، حان الوقت لبذل أقصى جهودنا. على كل حال، أيها اللورد النبيل، علمت من مصدر أؤكد لك أنّه أهل للثقة، بأن رئيس اساقفة يورك الكريم قد توفّق في تنظيم فِرَق عديدة وقيادتها، وهو رجل محترم يشدّ اليه رجاله المخلصين بوثاق مزدوج ديني ودنيوي . أما ولدك، يا مولاي، فلم يكن الى جانبه للاشتراك في القتال سوى الأجسام والأشباح وأشباه الرجال. لأن كلمة عصيان كانت تبعد نفوسهم عن العمل الذي تقوم به أبدانهم. ولم يحاربوا إلّا مرغمين كأنهم يبتلعون دواءً مرًّا. لذلك كانت أسلحتهم فقط ملكنا

بينما عزائمهم وأرواحهم كانت مجمدة بمجرد مقتهم لفظة تمرّد التي يكرهونها كأنها سمّ كامن في ماء مستنقع آسن. واليوم جعل هذا الأسقف من الثورة واجباً دينيًّا، وقد إشتهر بصدقه وأمانته وتقواه في مجالات شتى المبادئ والأفكار السامية، وهو قادر على اقتياد الأجسام والنفوس معاً. لذا بارك التمرد على أثر سفك دم الملك رتشرد المحبوب الذي سال على بلاط أرض بومْفرات مستمدًّا من السماء حجته في نزاعه لنصرة قضيته. وقد أقنع الجميع بأنه يريد أن ينقذ هذه الأرض الدامية التي تئن تحت جزمة الطاغية بولينبروك. فما كان من الكبار والصغار إلّا أن أيّدوه وساروا على خطاه.

نورثمبرلند : أنا على يقين بذلك. لكن ألمي الحالي، في الحقيقة، قد محا ذلك من ذاكرتي. هيّا ادخلوا معي، وليبدِ كل منكم رأيه حول أفضل الوسائل الآيلة الى تأمين خلاصنا والانتقام لكرامتنا. ولنبعث الرسل والتحارير ولنبادرْ الى كسب عطف الأصدقاء الذين لم يكونوا يوماً بمثل هذه الندرة مثلما نحن اليوم في أقصى الحاجة الى عونهم.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في أحد شوارع لندن

(يدخل سرْ جون فالستاف، يتبعه غلام شاب يحمل له سيفه وترسه)

فالستاف : بالله عليك، ماذا يقول المتتبّع توجيهاتي؟

الغلام : لقد قال، يا مولاي، انها حكيمة سليمة. غير ان الشخص الذي اطلقها قد يكون هزيلاً أكثر مما يمكن تصوّره.

فالستاف : أغلب الناس، ومن جميع الفئات، يفتخرون بمناوأتي. لكن دماغ هذه الكومة من الطين القذر الذي يُدعى الانسان لا يسعه أن يتخيّل أمراً يثير الضحك والسخرية لم أبتكره أنا أو إبتكره غيري للهزء بي. انا لا أزدري بنفسي، بل بسبب كل ما يصدر من هرج عن سائر الناس... عندما أمشي أمامك أشعر باني كسمك الترويت الذي يسيطر على كل صغاره. ولو ان الأمير لم يضعك في خدمتي لتدفعني الى الأمام أثناء سيري، لما كان لي عليه أي عتب. لكنك نظير نبتة بلاد حارّة تصلح لتزيين قبعتي أكثر من أن تكون خادمي تسير ورائي. وهذه هي المرة الأولى التي أقتني فيها حلْية افتخر بها. على كل حال هذا لا يهمّني لأني لن أضعك في إطار من ذهب أو من فضة. غير اني سأحتفظ بك ضمن علبة وأعيدك الى صاحبك الفتى المغرور الذي لم ينبت بعد شعر لحيته. وأنا أفضّل أن أرى لحيتي تنبت في كفّي على أن أراها تزيّن وجنتيه. مع ذلك، لا يتردد في التأكيد أن وجهه وجه

ملك. والله قادر على انهاء المسألة متى شاء، لأن ذقنه لا تحوي شعرة واحدة أكثر من اللازم، وهي في نظر الحلاّق الخبير لا تساوي أكثر من ستة فلوس. إلا أنه رغم ذلك ينتصب على رجليه كما لو كان قد أصبح رجلاً ناضجاً عندما كان والده لا يزال يافعاً. يسعه أن يفاخر على قدر استطاعته بما حباه الله من وسامة. لكني أؤكد لك انه ليس كذلك في نظري... ماذا قال المعلّم دنْبلْدُن في موضوع هذا النسيج اللمّاع لاستعماله في تبطين ردائي القصير وسروالي العريض؟

الغلام : يقول، يا مولاي، ان عليك أن تدفع له أكثر مما يفعل باردولف، وهو لا يقبل بأن يأخذ دراهمك أو دراهمه، ولا يرتضي هذه الضمانة أبداً.

فالستاف : عليه أن يتقبّل لعنة هذا الشره، فيحرقه لسانه أكثر مما حصل له حتى الآن. آه، يا ابن الزانية، أيها الدجّال الحقير. أنت تحرج موقف أحد الوجهاء الكرام، وتطلب بعدئذٍ ضمانة. هؤلاء الأشقياء الذين ينتعلون أشنع الأحذية، لا يرتضون الآن أن يتنقّلوا إلا بالجزمات العالية وأن يتزنّروا بأحزمة مجهزة بعلاّقات مفاتيح. وعندما يطلب أحدهم خدمة شريفة يصرّ على تأمين ضمانة للقيام بها. إن وضع سمّ الموت في الفم لأسهل من التلفّظ بكلمة ضمانة. بذمّتي انا كفارس، كنت أترقّب منه أن يرسل لي اثنين وعشرين يرداً من النسيج اللمّاع وهذا طلب ضمانة يؤمّنها لي، ويمكنه بعدئذٍ أن ينام مرتاح البال، لأن ذلك دليل على النجاح

والازدهار، وقد برزت خفة زوجته من خلاله، وهو لا يرى في الأمر سوءاً، مع انه يحمل بيده فانوسه ليستنير به. لكن أين باردولف؟

الغلام : ذهب الى سميث فيلد ليشتري حصاناً لسيادتك.

فالستاف : أنا أشتريه عادةً من سوق بِجوار « سان بول »، فلماذا ذهب الى سميث فليد ليشتريه؟ لو شئت أن أقترن بامرأة في مكان لا يستحق الذكر، لكنت حصلت على مطلوبي وتزوّجت في هذه الأثناء.

(يدخل اللورد كبير القضاة ومعه موظف).

الغلام : يا مولاي، هذا هو السيد النبيل الذي اعتقل الأمير، لأنه ضربه بسبب قضية باردولف.

فالستاف : اتبعني حالاً، فأنا لا أريد أن أراه.

كبير القضاة (للموظف) : من الذي يسير هناك؟

الموظف : هذا فالستاف.

كبير القضاة : المتهم بالسرقة؟

الموظف : هو بعينه، يا مولاي. لكنه في هذه المدة الأخيرة أدّى خدمات جلّى في شروز بري. وعلى ما بلغني أنه سيذهب الى اللورد جون لنكاستر مكلّفاً بمهمة.

كبير القضاة : كيف سيذهب الى يورك؟ نادِهِ من فضلك.

الموظف (ينادي) : يا سرْ جون فالستاف.

فالستاف : يا غلام، قل له اني أصمّ لا أسمع.

الغلام (للموظف) : تكلّم بصوت أعلى، لأن سيدي أطرش لا يسمع.

كبير القضاة : أجل، انا واثق بأنه يتظاهر بالصمم كي لا يسمع ما لا يعجبه. هيا اذهب وجُرَّه من يده. فلا بد لي من أن أتحدث اليه.

الموظف : يا سرْ جون...

فالستاف : ماذا تفعل، أيها الغبي، وأنت تستدعيه هكذا؟ أوليس من حروب تدور رحاها حولنا؟ أوليس من أشغال تستدعينا؟ أولا يحتاج الملك الى رعاياه؟ أولا تقتضي الثورة جنوداً لقمعها؟ وإن لم يكن من شرف في الإلتحاق بطرف من الأطراف، ففي التسوّل قلّة شرف أكثر من خدمة الفريق الأسوأ وإن يكن على شفير التدهور بإسم العصيان.

الموظف : أنت تخطئ في تقدير موقفي، يا سيدي.

فالستاف : أيها السيد، هل سمعتني أقول عنك انك رجل شهم؟ لو استغنيت عن لقبي المزدوج كفارس ومحارب، لكنت من أكبر الدجّالين.

الموظف : اذاً، أرجوك، يا سيدي، ان تضع جانباً لقبك المزدوج هذا وأن تسمح لي بمصارحتك بأنك لا تقول الحقيقة عندما تنعتني بالشهامة.

فالستاف : أتريد مني أن آذن لك بإعلان ذلك؟ وأن أضع جانباً ما هو جزء لا يتجزّأ من شخصيتي؟ إن حصلت مني على هذا السماح يمكنك عندئذٍ أن تشنقني. وإن سمحت بذلك أنت لنفسك، يجدر بك أن تمضي وتشنق ذاتك. اليك عني، أيها الكلب الأجرب. هيا اغرب عن وجهي، يا لعين.

الموظف : مولاي يريد أن يخاطبك، يا سيدي.

كبير القضاة : من فضلك، يا سرْ جون فالستاف، إسمح لي بأن أقول لك كلمة.

فالستاف : عزيزي اللورد... صبّح الله سيادتك بالخير. يسرّني ان أراك، يا صاحب السيادة، خارج هذا المكان. فلقد

سمعت بأنك مريض. وأرجو أن تكون الآن خارجاً من عيادة الطبيب. لأنك، وان توهّمت انك لم تتخطَّ بعد مرحلة الشباب، يبدو عليك انك بلغت حدود العمر الذي يبدأ الانسان فيه أن يتذوّق مرارة الأيام الصعبة. لذا ألتمس من سيادتك بكل احترام أن تعتني جدّيًا بصحتك.

كبير القضاة : يا سرْ جون، لقد طلبت مقابلتك قبل رحيلك الى شروز بري.

فالستاف : أعذرني، يا مولاي. علمت أن صاحب الجلالة قد عاد من مقاطعة وايلس يساوره بعض القلق.

كبير القضاة : انا لا أتكلّم عن جلالته... أريد أن أقول انك لم تشأ أن تأتي لمقابلتي حين أرسلت في طلبك.

فالستاف : وأنا أيضاً علمت بأن سموّه قد أصابته نزلة دماغية مرةً ثانية.

كبير القضاة : أسأل الله أن يمنّ عليه بالشفاء التام. أرجوك أن تصغي اليّ.

فالستاف : أظن ان هذه النزلة هي من نوع السُبات العميق، أو من الركود الدموي والفكري الذي يضعضع وعي صاحبه.

كبير القضاة : لماذا تقول لي ذلك؟ وماذا يهمّني ما أصابه؟

فالستاف : ان من أسباب هذه النزلة المزيد من الألم أو من الدرس الذي يفضي بالدماغ الى الاضطراب المتواصل. فقد قرأت في كتاب الطبيب كاليان بعض التفاصيل التي تؤدّي الى الصمم.

كبير القضاة : اظنك مصاباً بهذا المرض عينه. لأنك لا تسمع ما أقوله لك.

فالستاف : حسناً، يا مولاي. ولكن، لا تتضايقْ اذا أعلمتك بأن هذه العلّة التي تحرمك السمع والانتباه لما يقال لك، تقلقني كثيراً.

كبير القضاة : إنْ عاقبتُك برفسة قدم في جنبك قد تشفى من عدم السماع، ولن أرفض أن أكون طبيبك المداوي.

فالستاف : أنا أفقر من أيوب الصدّيق، يا مولاي. لكني لست مريضاً أبدً. فيسعك، يا صاحب السيادة، نظراً الى فاقتي، أن تداويني بالسجن كعلاج ناجع. ولكن أنّى لي الصبر لتتبّع تعليماتك والعمل بموجب وصفتك الطبيّة؟ فالعلماء ينسبون الى هذه النقطة الهامة انها تثير بعض تأنيب الضمير، إن لم يكن أقصى درجات عذابه.

كبير القضاة : ارسلت في طلبك لمقابلتي، عندما بلغتني بحقّك شكوى خطيرة.

فالستاف : وأنا بناءً على رأي مستشاري الخبير في قوانين هذه البلاد، إمتنعت عن المجيء الى سيادتك.

كبير القضاة : بالنتيجة، يا سرْ جون، أعتقد بأنك ارتكبت مخالفة جسيمة.

فالستاف : ان رجلاً نظيري لا يسعه أن يتصرّف على غير هذا النحو.

كبير القضاة : يبدو لي ان مواردك زهيدة جداً، وأنت تمعن في الاسراف.

فالستاف : كم أودّ أن أكون على غير هذا الحال. لماذا لا تكون

مواردي وافرة وأن أكون أقلّ إسرافاً؟

كبير القضاة : لقد خدعت الأمير الشاب بتصرفك.

فالستاف : في الحقيقة، هو الأمير الشاب الذي ضلّلني. لأني بالنسبة اليه كالأعمى الكبير البطن. بينما هو بالنسبة اليّ كأنه كلبي الذي يدلّني على الطريق.

كبير القضاة : يعزّ عليّ أن أنكأ جرحاً كاد يندمل. فان خدمتك النهاريّة في شروزبري قد بيّضت فعلك الليلي في كادْسْهيل. وعليك اذاً أن تشكر زماننا المضطرب الذي ختم قضيتك هذه بصورة سلمية.

فالستاف : ماذا تقول، يا مولاي؟

كبير القضاة : بما ان المسألة انتهت بخير، لا تحرّك ساكناً ولا توقظ الفتنة النائمة.

فالستاف : ايقاظ الفتنة يجرّ مشاكل مزعجة، كأنك تستفزّ ثعلباً مراوغاً.

كبير القضاة : أراك مثل شمعة قد احترق قسمها الأفضل.

فالستاف : بل كمشعل نفد منه الشحم، يا مولاي. فبدون مبالغة انا أتمتع بصفات السيد الوقور.

كبير القضاة : ليس في وجهك شعرة واحدة بيضاء تدلّ على الكهولة لأتهمك بحب العظمة.

فالستاف : بل بحبّ الشحم واللحم والدهن الفائض.

كبير القضاة : أنت تتبع الأمير في كل مكان كأنك شيطانه المغري.

فالستاف : ليس هذا تماماً، يا مولاي. لأن شيطانه المغري خفيف الظلّ. وأنا بالعكس، من يلقي علي نظرة واحدة، يقبلني بدون أن يتفحّصني. مع ذلك، من وجهة معيّنة، أعرف نفسي اني لست عملة رائجة يرضى بها أيّ كان. والفضيلة في هذه الأيام التجارية لا تُصنّف في المستوى

الرفيع. كما ان الشجاعة الحقّة تبدو حالياً كمدرَب الدببة، وخفّة الروح تتلطّى في الحانات وتجهد قريحتها لتأمين دفع الحسابات. وكل مواهب الانسان المفسودة بفعل انحطاط أهل هذا العصر، لا تساوي شروى نقير. أما أنت فمقامك أسمى، ولا تنظر الى أخلاقنا بعين الاعتبار بسبب شبابنا فتحكم على فطنتنا وذكائنا بحسب مزاجك وحاجتك. ونحن في ريعان الصبا، لا بد من الاقرار بأننا لسنا دائماً عند حسن الظن بنا.

كبير القضاة : أراك تعتبر نفسك من زمرة الشباب، وكل ما فيك يشير الى ان عمرك يضعك في مصافّ الشيوخ. ألم تدمع عيناك؟ أولم تنشف بشرة يديك؟ أولم يشحب لون خدّيك؟ أوما وخط بياض الشيب لحيتك؟ أوَلَم تعجز قدماك عن حمل جسمك؟ أوَلم يتضخّم كرِشك المنتفخ؟ أولم يرتجف صوتك المبحوح وينقطع نفَسك اللاهث؟ أولم تصبح ذقنك المزدوجة مترهّلة؟ أولم يخف ذكاؤك؟ أولم تذبل سائر مواهبك بسبب تقدّمك في السنّ؟ وتريد فوق هذا كله أن تحسب ذاتك انك لا تزال في ريعان الشباب؟ تبًّا لك، يا سرْ جون من متجاهل متصابٍ.

فالستاف : يا مولاي، صدقني اني ولدتُ حول الساعة الثالثة بعد الظهر، وشعر رأسي أبيض، وبطني منتفخ قليلاً. أمّا صوتي فقد بُحَّ من كثرة ما غنّيت قصائد ومواويل. لست بحاجة الى اعطائك براهين أخرى على احتفاظي بكل مقوّمات صباي. في الواقع انا لم أبلغ سن الشيوخ إلّا بالمنطق والإدراك. ومن يودّ أن يغامر بالمراهنة على الف مارك لقاء ما استطيع تأديته من انجازات

خارقة، ما عليه إلّا أن يسلّفني هذا المبلغ، وحذارِ أن يندم. أمّا رأي الأمير فيّ، حسب ما أوهمك باستهتار عن عجزي، فهو اعتباط أميري، صدّقته أنت كأنه حقيقة منزلة نظراً الى حسن نيّتك وسلامة طويّتك. لقد أنّبته انا على ذلك، والشبل الصغير أسف لانطلاء هذا التبجّح عليه. وأنا أدرى الناس بما حصل، لأنه أراد أن ينعم بلبس الحرير فضايقته خشونة المسح، وشاء أن يملأ كيسه نقوداً، وإذا به يفرغه ليتجرّع برميلاً من الخمرة.

كبير القضاة : إني أسأل الله أن يرسل للأمير رفيقاً أفضل منك.

فالستاف : بالعكس أنا أطلب منه تعالى أن يرسل لي كرفيق أميراً أفضل من هذا الذي لا يسعني أن أتخلّص منه.

كبير القضاة : في الواقع، فصَلَك الملك عن الأمير هنري، اذ علم بأنك ستنضمّ الي اللورد جون لنكاستر لمجابهة رئيس الأساقفة وكونت نورثمبرلند.

فالستاف : أجل، أنا أشكر مخيلتك الطريفة الخصبة. لكنك أنت المفترض أن تلزم البيت لمغازلة ربّة السلام، عليك أن تضرع الى الله كي لا تلتقي جيوشنا وجيوشكم في يوم شديد الحرّ. لأني لم آخذ معي سوى قميصين، إذ اني لا أعرق بصورة تفوق المألوف. ومهما كانت الأيام حارّة اذا تمسّكت بغير قنّينتي لا أودّ أن أمعن في السكر. ومع اني أتجنّب المشاكل أجدني شريكاً في كل عمل محفوف بالمخاطر، وإن كنت لا أتشبّث بأذيال الحياة الطويلة الأمد. لكن هذه الفكرة مسيطرة على كافّة أفراد شعبنا الانكليزي الذي حالما يلاقي مصلحة مفيدة يسعى الى تعميمها على الجميع. أمّا

اذا أصررت على قولك اني رجل طاعن في السنّ، فيترتّب عليك أن تؤمّن لي بعض الراحة. لذلك ألتمس من الله أن يجعل ذكر اسمي أخفّ وطأة وأقلّ ترويعاً في نظر أعدائنا. والأفضل عندي أن يأكل صدأ الخمول مفاصلي وأن لا يدركني الفناء عن طريق الحركة الدائمة التي لا تدعني أستريح.

كبير القضاة : هيا أرني شهامتك ومروءتك. ولتذهب بسلام الى حملتك المرتقبة.

فالستاف : أرجو سيادتك أن تمنحني الف ليرة لأتجهّز بها.

كبير القضاة : لن تنال مني فلساً واحداً. ما لك تستعجل لزيادة ديونك؟ تمتّع بصحة تامة وسلّم لي على ابن عمي ويستمورلند.

(يخرج كبير القضاة والموظف).

فالستاف : اذا سايرت ومضيت، أستحقّ أن أُجلدَ بالسياط. فالمرء لا يقوى على التفريق بين البخل والشيخوخة، أو الفصل بين المجون وفورَة الشباب. لكن العجز يضايق في الحالة الأولى، والنزق يحرّض في الثانية. وكلا الشرّين يجلبان اللعنة على من يركب أمواجهما. أيها الغلام...

الغلام : مولاي.

فالستاف : كم بقي من النقود في كيسي.

الغلام : مبلغ أربعة عشر فلساً.

فالستاف : لا أجد علاجاً لفراغ كيسي بصورة مستديمة، والاستدانة لا تملأه بل ترهقه باستمرار فيظلّ خاوياً. وهذه علّة ليس لي منها شفاء. هيّا، خذ هذه الرسالة الى مولاي لنكاستر، وهذه الى الأمير، وهذه أيضاً

الى كونْت ويستمورلند. أمّا هذه فسلّمها يداً بيد لصديقتي أُرْسول التي أقسم لها في كل أسبوع اني سأقترن بها، وذلك منذ أن رأيت أول شعرة بيضاء تظهر في لحيتي. هيّا، جدّ في السير، فأنت تعرف أين تلتقي بي. (يخرج الغلام). تبًّا لهذا النشاف الذي يشلّ عروقي. فمن حين الى آخر أشعر بأن إبهام رجلي لم يعد قادراً على الانطواء. وماذا يهمّني إن أصبحت أعرج؟ فتلك حجة قاطعة تجنبني الاشتراك في القتال، ويظل راتبي ساري المفعول بصورة شرعية. على الانسان الفطن أن يستفيد من كل بادرة تعترض سبيله.

(يخرج).

المشهد الثالث

داخل قصر رئيس الأساقفة في يورك

(يدخل رئيس أساقفة يورك واللوردات هاستينكس وموبري وباردولف).

رئيس الأساقفة : هكذا عرفتم دواعينا، كما عرفتم مداخيلنا. والآن، يا أصدقائي النبلاء، أرجوكم أن تقولوا لي بكل صراحة ما رأيكم في توقّعاتي وآمالي وأنت يا مولاي مارشال، ما قولك في هذا الموضوع؟

موبري : انا اوافق على لجوئنا الى حمل السلاح. غير أني أحبّ أن أفهم بوضوح أكثر كيف نتوصل بمواردنا الحاضرة الى تأمين جبهة تتحلّى بالجرأة الكافية والصلابة اللازمة لمجابهة جيش الملك القوي؟

هاستينكس : اذا وُضعت قواتنا الحاليّة في خطوط الدفاع تبلغ خمسة وعشرين الف مقاتل من خيرة الرجال، فضلاً عن مدد لا يستهان به ننتظره من قبل نورثمبرلند العنيد الذي يغصّ قلبه بسيل من الكراهية والبغضاء.

لورد باردولف : المسألة، يا لورد هاستينكس، تفرض السؤال التالي : هل يستطيع الرجال الخمسة والعشرون الفاً الجاهزون الآن، أن يقوموا بالحملة بدون مساعدة نورثمبرلند؟

هاستينكس : بمعونته، أجل يستطيعون.

لورد باردولف : هذا صحيح. فاذا وجدنا أنفسنا اننا بدونه ضعفاء، فرأيي أن لا نتوغّل في التقدّم بعيداً قبل أن يكون المدد المرتقب قد أصبح في متناول يدنا. لأننا في حال تورّطنا في المغامرة الدامية، علينا أن لا نعتمد كثيراً على التمنّيات والآمال والافتراضات، وأن لا نحسبها حقيقة أكيدة، وإلاّ وقعنا على مفاجآت مضنية خاتمتها مخزنة.

رئيس الأساقفة : الحق الى جانبك، يا لورد باردولف، لأن هذا الواقع هو وضع الشاب هاتسبر في شروز بري.

لورد باردولف : فعلاً، يا مولاي. فقد إتّكل كثيراً على آماله، وظنّ خطأً أن الوعود حقيقة ملموسة، واعتبر المدد الموعود به كأنه حاصل عليه. فخابت أمانيه وفشلت جميع توقّعاته، وبمخيّلته الخصبة المهووسة قاد رجاله

الى الموت والهلاك لأنه ألقى بنفسه في الهاوية وهو مغمض العينين.

هاستينكس : اسمح لي أن أقول لك ان حسابات الأمور الممكنة والآمال الوطيدة ليس منها أي ضرر.

لورد باردولف : قد ينجم عنها بعض الأذى، اذا لم تكن موارد الحرب الفوريّة والقوى الضرورية لتقدّم أي هجوم موجودة إلا في حيّز الأمل نظير البراعم التي نراها تبرز في أول الربيع فحتّى إن شاهدناها قد أثمرت، يظلّ هناك هاجس خوف من أن يقضي عليها الجليد المحتمل حصوله بغتةً. عندما نريد أن نبني صرحاً، ندرس أوّلاً طبيعة الأرض، ثم نرسم خريطته. وعندما نتبيّن صلاحيّة مقوّمات المبنى، نبدأ في حسابات تكاليف التشييد. فاذا وجدنا انها تتعدّى امكاناتنا، ماذا يسعنا أن نفعل؟ علينا أن نعيد رسم خريطتنا على أساس تخفيض التكاليف وإلّا أحجمنا عن مباشرة البناء. هكذا في مشروعنا الهامّ الذي نُقْدِم بموجبه تقريباً على هدم عرش الملك، وإقامة غيره، يتحتّم علينا أن ندرس الأرض ونصمّم الخطة ونختار الأساسات المتينة ونستشير الخبراء ونتأكّد من كفاية مواردنا، لنوقن بما اذا كنّا قادرين أو لا على تحقيق مثل هذا الانجاز الضخم الذي ربما يفوق طاقتنا. وإلّا كانت قوّاتنا أرقاماً على الورق فقط، وبدلاً من الاتكال على زنود الرجال، نتّكل على أسماء أشخاص لا وجود لهم في الواقع، نظير من يرسم خريطة بيت يريد أن يشيّده رغم ان مصاريفه تتعدّى إمكاناته. وبعد أن يبني قسماً منه يجد نفسه مضطراً الى التوقّف عن إكماله بسبب

التكاليف الباهظة التي استنفدت مدّخره من المال قبل إتمامه. فيتعرّض مشروعه الى ما يُلحقه به المطر من تلف لا سيما أثناء قساوة برد الشتاء وثلوجه العاتية.

هاستينكس : لنفترض ان آمالنا مبنيّة ظاهراً على ما يرام، وفاجأتها عوائق غير متوقعة لتشلّ مساعينا. لنفترض أيضاً أننا في وضع لا يجعلنا نترقّب وصول أي جندي لمساندتنا. أعتقد مع ذلك ان لدينا قوّات يمكننا أن نعتبرها معادلة لما في حوزة الملك.

لورد باردولف : ماذا تقول؟ أليس لدى الملك حوالى خمسة وعشرين الف رجل؟

هاستينكس : أجل، ليس لديه عدد أكبر منه ليهاجمنا به، يا لورد باردولف، حتى ولا عدد يعادله. لأنه، كي يتمكّن من مواجهة الخطر الذي يتهدّده، عليه أن يقسم جيشه إلى ثلاثة أجنحة : الأول لمجابهة الفرنسيين، والثاني لمقابلة كلانداور، والثالث يوجهه حتماً الينا. مع العلم ان خزائنه الخالية لم تعد تحوي مالاً لينفق على دعمها.

رئيس الأساقفة : ما عليه إلّا أن يجمع كل قواته المبعثرة هنا وهناك ليسحقنا بثقلها، ولا داعي لأن نخشى ذلك مطلقاً.

هاستينكس : واذا تصرّف على هذا النحو يترك مؤخرته بدون حماية من أعدائه الفرنسيّين والوايلسيّين الذين يطاردونه. فلا موجب للخوف منه أبداً.

لورد باردولف : حسب الظواهر، من يقود قوّاته لمهاجمتنا؟

هاستينكس : دوق لنكاستر وويستمورلند. وهو شخصياً مع هاري مونموث يزحفان على الوايلسيّين. ولكن من سينوب

عنه عندما سيجابه الفرنسيّين؟ هذا ما لا يوجد لدينا أي دليل على توقّعه.

رئيس الأساقفة : الى الأمام اذاً. ولنعلن أسباب لجوئنا الى السلاح. لأن الشعب بات ضحية إختياره هذا الملك. وهو نادم على العطف الذي أحاطه به. وقد بنى صرح آماله على رمال متحركة بدلاً من أن يوطدها على صخر صلب. فما أغبى الشعب، وما أصخب الهتافات التي رفعها الى عنان السماء عندما باركت انا بولينبروك. لكن سرعان ما تبيّن للجميع انه ليس كما أمِلُوا منه أن يكون. والآن بعد أن قدّم لك ما تشتهي أيها الأكول الشره، ازدردت الأطعمة حتى التخمة، ورحت تحاول أن تردّ ما حشوت به معدتك بدون وعي. وهكذا، أيها الأحمق الجشع، لفظت من جوفك الواسع خيرات الملك رتشرد، وها أنت جائع تحاول ابتلاع ما ردّته أحشاؤك، وتطلبه بنباحك المزعج، يا حقير. قل لي من نُولي ثقتنا في هذه الأيام العسيرة ليقودنا الى شاطئ الخلاص؟ ان من تمنّوا موت رتشرد حين كان على قيد الحياة يندبونه اليوم قرب ضريحه. وأنت، يا من ألْقيت قبضة من التراب على رأسه المجيد، بينما كان يتقدّم في شوارع لندن إبّان الاحتفالات، وهو يتنهّد خَلْفَ بولينبروك المتشامخ الذي كانت أنظار الناس شاخصة اليه بإعجاب ووجوم، ها أنت تصرخ الآن : ردّي الينا، أيتها الأرض، ذاك الملك الرحوم، وخذي هذا الطاغية المتغطرس. تبًّا لمخيّلات عبيد الخنوع. آه، كم هو الماضي وكذلك المستقبل أفضل من حاضرنا الذي لا يرجى منه أي خير.

موبري : هل تريد أن نمضي ونرافق جنودنا لنشترك معهم في خوض المعركة؟

هاستينكس : نحن رجال هذه اللحظة الحرجة، وهذه اللحظة تدعونا الى الذهاب لنلاقي مصيرنا الذي نرجو أن يكون مجيداً.

الفصل الثاني

المشهد الأول

في أحد شوارع لندن

(تدخل المضيفة ويتبعها كريف وخادمه ثم بياج).

المضيفة : ماذا فعلت، يا أستاذ كريف؟ هل سجّلت هذه الدعوى؟

كريف : أجل، سجّلتها.

المضيفة : أين مساعدك؟ هل هو موظف نشيط؟ هل يستطيع إثبات وجوده؟

كريف (لخادمه) : أين بياج، أيها الأحمق؟

المضيفة : تقصد الأستاذ بياج الظريف؟

بياج (وهو يتقدّم) : ها أنذا.

كريف : يا بياج، علينا أن نوقف سرْ جون فالستاف.

المضيفة : لقد كلّفت الأستاذ بياج بإقامة الدعوى وإجراء اللازم.

بياج : قد ندفع ثمن هذا الأمر حياة أحدنا، لأن المذكور لن يتردّد في اللجوء الى خنجره.

المضيفة : رحمتك اللّهمّ. حذار منه. لأنه قد طعنني بمديته في عقر داري بشكل ليس أوحش منه. في الحقيقة، هو

لا يحجم عن إرتكاب أي جرم عندما يشهر سلاحه. اذ يطعن كأنه شيطان، ولا يتردّد في جرح أي رجل او امرأة أو ولد على السواء.

كريف : اذا استطعت أن أتخلّص منه لن أهاب أبداً شراسته.

المضيفة : وأنا كذلك. ولن أتأخر عن مساعدتك في ذلك اذا اقتضت الحاجة.

كريف : آه، لو استطعت أن أشلّ حركته بالتقاطه بين ذراعيّ.

المضيفة : غيابه يجرّ عليّ الخراب، لأنه مدين لي بمبلغ كبير. عزيزي الأستاذ كريف، أمسكْ به جيداً. وأنت، يا عزيزي الأستاذ بياج، لا تدعه يهرب. لأنه لا ينقطع عن الذهاب الى المرحاض، مع احترامي شخصك الكريم، بحجّة انه مصاب بالإسهال. وهو مدعو الى تناول طعام العشاء في حانة رأس الفهد، الواقعة في شارع لومبارد، عند المعلّم « لودو » تاجر الحرائر. فأرجوك أن تطلب منه تبرير تغيّبه، بما ان شكواي مسجّلة وقضيتي يعرفها الجميع. معلوم ان مئة مارك تشكل مبلغاً كبيراً بالنسبة الى امرأة مثلي فقيرة وحيدة لا معيل لها. وقد طال انتظاري ساعة الفرج الى ما لا طاقة لي على تحمّله. والتأجيل يلاحقني، ويلاحقني باستمرار، من يوم الى يوم بدون انقطاع حتى أصبح من العار أن لا أفكّر بذلك جدّياً. لأني لا أجد شهامة في هذا التسويف والمماطلة. فأملي أن لا يظنني أحد غبيّة أستحق الاهانة والإذلال يكيله لي انا المرأة الضعيفة، أول قادم الى بيتي. ها هوذا آتٍ وبرفقته المحتال باردولف صاحب الوجه المشؤوم. أرجوك،

يا أستاذ بياج، أن تقوم بوظيفتك، وأنت كذلك يا أستاذ كريف. وألتمس من كليكما بإلحاح أن تجريا ما يلزم لصيانة حقوقي.

(يدخل جون فالستاف وغلامه ثم باردولف).

فالستاف : أيها السامعون، من أضاع فرسه هنا؟ ماذا جرى؟

كريف : يا سرْ جون، أنا أوقفك بناءً على شكوى السيدة كويكلي.

فالستاف : ابتعد عني، أيها الخادم الحقير. أرجوك، يا باردولف، ان تقطع لي رأس هذا الشقي، وأن تُلقي بهذه العاهرة الى القناة.

المضيفة : تريد أن يلقي بي الى القناة؟ انا سأرمي بك الى القناة. حذار أن تأتي بحركة، أيها اللقيط البغيض، أيها القاتل، أيها المجرم، أيها الدجّال. هل تنوي أن تقتل من يخدم الله والملك؟ تبًّا لك من طاغية، يا جلّاد الرجال والنساء.

فالستاف : أرجوك يا باردولف، ان تبعدها عني.

كريف : استخدم كل قوتك وشدّة بأسك، وسترى...

المضيفة : يا أهل الخير، ساعدوني... ألا تريد؟ آه منك، أنت لا تودّ... تبًّا لك من قاتل خسيس.

فالستاف : ابتعدي عني، يا دودة قذرة، يا كلبة نجسة وإلّا حطمت رأسكِ العنيد.

(يدخل اللورد كبير القضاة وحاشيته).

كبير القضاة : من يقف هنا؟ احترموا أصحاب المقامات السامية وهذا المكان المسالم.

المضيفة : يا مولاي اللورد، أرجوك أن تعطف عليّ، وأن تمدّ لي يد المساعدة.

كبير القضاة : ما هذه الضجة التي تثيرها هنا، يا سرْ جون؟ هل يليق بك أن تتصرف هكذا، يا صاحب المقام الرفيع، أثناء تأديتك واجبك؟ كان من المفروض أن تسير الآن على طريق يورك. (للحاجب) أتركه، يا صاح، لماذا أنت متمسّك به؟

المضيفة : أيها اللورد الوقور، أنا أرملة مسكينة من ضاحية إيست شيب، وقد أوقف هذا الرجل بناءً على طلبي.

كبير القضاة : بدون شك، لأن لك بذمّته بعض المال.

المضيفة : المبلغ ليس بعض المال، بل كل ما أملك، يا مولاي. فقد أخذ مني البيت وما فيه، وابتلع كل مقتناي وحشا به كرشه الضخم. لكن لا بدّ من أن يردّ لي قسماً منه على الأقل، أو أظلّ وراءك طوال الليل والنهار، وأطاردك نظير وحش مفترس.

فالستاف : بل الأحرى أن أكون أنا هذا الوحش الضاري الذي يفزعك نظراً الى ضخامة بدني.

كبير القضاة : ما معنى هذا الكلام، يا سرْ جون؟ تبًّا لك من رجل غليظ ثقيل الظل، لا سبيل الى تحمّل بلادتك وإهاناتك. أولا تستحي من مضايقة هذه الأرملة المسكينة وحمْلها على اللجوء الى مثل هذا الالحاح لاسترداد مالها؟

فالستاف (للمضيفة) : ما هو المبلغ الاجمالي المتوجّب لك عليّ؟

المضيفة : تبًّا لك ولمالك، يا حارس الجثث النتنة لأنك شخص غير شريف. لقد أقسمت لي أغلظ الايمان وأنت جالس في غرفتي حول مائدة مستديرة بقرب نار فحم يوم

الأربعاء من أسبوع العنصرة حين شقّ الأمير رأسك اذ شبّهتَ والده بمنشد وندسور. أجل أقسمت لي حين غسلت لك جرحك انك ستتزوجني وانك ستجعلني شريكة حياتك. لا يسعك أن تنكر الآن ذلك. أما دخلتْ زوجة اللحام آنذاك ودعتني السيدة كويكللي؟ عندما جاءت تستعير مني زجاجة خلّ قائلة أنها تجهّز صحن قريْدس وطلبت منها أن تسكب لك قليلاً منه لتذوّقه. فحذّرتك أنا من ان الجريح اذا أكل منه ينوبه بعض الضرر. وحالما نزلت ألم تقل لي أن لا أدع الإلفة تسود بيني وبين من يعتبرونني قوّادة؟ ثم ألم تقبّلني وأنت تطلب مني أن آتيك بثلاثين شلناً؟ والآن أتحدّاك وأطلب منك أن تقسم لي على الكتاب المقدّس، اذا واصلت إصرارك على نفي صحة كلامي هذا.

فالستاف : أنها مجنونة بلهاء، يا مولاي. اذ تذيع في كل أنحاء المدينة أن ابنها يشبهك وان وضعيّتها كانت ممتازة، وأن الفقر دهْورها الى هذه الهوّة الكئيبة. أمّا هؤلاء الموظفون المناحيس، فأرجوك أن تسمح لي بالقول انهم أوغاد يثيرون في أعماق صدري مزيداً من الغيظ والنفور كلما طرق سمعي ذكرهم البغيض.

كبير القضاة : يا سرْ جون، أنا أعرف جيداً أسلوبك في تشويه الحقائق، وأعرف طريقتك في تأكيد الادعاءات التي تخرج من فمك جزافاً. يبدو لي إنك تستغلّ سذاجة هذه المرأة وسرعة تصديقها ما تسمعه لتصل الى أهدافك السافلة وتنال مأربك من شخصها وكيس نقودها.

المضيفة : هذه هي كل أمنيتي، يا مولاي.

كبير القضاة : أرجوك أن تلزمي الهدوء، يا امرأة. وأنت عليك أن تسدّد لها ما تطالبك به من مال، وأن تعوّض ما سبّبته لها من أضرار. يمكنك ان تدفع لها بالعملة الأسترلينية وتتحمّل القصاص المتوجب عليك عادةً في مثل هذه الأحوال راضياً.

فالستاف : لن أمتثل لأمرك بدون اعتراض. لقد وصفت صراحتي الشريفة بالوقاحة، فهل يعقل أن يقدّم الرجل الفاضل خضوعه بدون أن ينبس ببنت شفة؟ كلا، يا مولاي. وبما اني أحفظ لك أسمى الاعتبار، لن أخاطبك متوسّلاً، بل أصارحك بأني أودّ التخلّص من هذه الورطة، لأني مدعو للالتحاق بخدمة الملك بأسرع ما يمكن.

كبير القضاة : أنت تتكلم كأنك حرّ في عمل الشرّ على هواك. أجبني بصورة تليق بأخلاقك العالية وترضي هذه المرأة المسكينة المحقّة.

فالستاف : تعالي الى هنا، أيتها المضيفة.

(يأخذ المضيفة جانباً).
(يدخل كُوَار).

كبير القضاة : ما وراءك من الأخبار، يا أستاذ كُوَار ؟

كوار (يقدّم ورقة لكبير القضاة) : يا مولاي، ان الملك وهنري أمير وايلس مزمعان أن يصلا قريباً الى هنا. وهذه الورقة تفصح لك عن الباقي.

(كبير القضاة يقرأ الورقة).

فالستاف (يخاطب المضيفة): أصرّح لك بكل صدق واخلاص...
المضيفة : هذا ما كنت تؤكده لي سابقاً.
فالستاف : صدّقيني، لأني أخاطبك كرجل محترم وكفى.
المضيفة : بحق الأرض المباركة التي أمشي عليها، سأضطر الى رهن فضّيّتي وجدرانيّاتي الموجودة في غرفة الطعام.
فالستاف : جلّ ما نحتاج اليه اليوم للشرب هي الكؤوس الزجاجية، اما حيطانك فلا يقتضيها جدرانيّات كالتي تمثّل الابن الشاطر أو الصيد الألماني المرسومة بألوان غير مألوفة، وتساوي أكثر الف مرة من ستائر السرير التي ترك عليها الذباب آثاره القذرة، ولا تتعدّى قيمتها عشر ليرات حسب أغلى تقدير. هيا سهّلي الأمور. فلولا مزاجك السمج لما كان في كل انكلترا فتاة أفضل منكِ. اذهبي واغسلي وجهك واسحبي شكواكِ. لا بد لك من أن تغيّري لهجتك حيالي. أولا تعرفينني بعد...؟ هيا هيا. أنا أعلم بأنك سلكتِ هذا السبيل متأثرة بترّهات سواك.
المضيفة : أرجوك، يا سرْ جون، أن تصدّقني عندما أؤكد لك ان عشرين نبيلاً لا يضاهونك في القيمة، وإلا اضطررت في الحقيقة الى رهن فضيّتي بصورة مستعجلة.
فالستاف : دعينا من هذا التفكير الهزيل، وإلّا غيّرت رأيي فيك. وتكونين عندئذٍ قد تصرّفت بحماقة وغباء.
المضيفة : ستقبض الثمن عندما أرهن ثوبي. فأملي أن تأتي لتناول طعام العشاء معي، وستدفع فيما بعد.
فالستاف : من يعش يرَ. (لباردولف) إذهب برفقتها، وأرْمِ الشباك.
المضيفة : هل تقبل بأن تتعشى معنا دوروثي ترودْرا؟

فالستاف : لا مانع لديّ، نادِها.

(تخرج المضيفة ويتبعها باردولف والموظفون والغلام).

كبير القضاة : الآن بلغتني أخبار سارّة.
فالستاف : وما هي هذه الأنباء، يا عزيزي اللورد؟
كبير القضاة (لكُوَار) : أين يُزمع الملك أن ينام هذه الليلة؟
كوار : في باسْتنْكَسْتوك، يا مولاي.
فالستاف : آمل، يا سيدي، أن تسير كل الأمور على ما يرام... ما وراءك من الأخبار، يا صاح؟
كبير القضاة (لكوار بدون أن ينظر الى فالستاف) : هل استرجع كافّة قوّاته؟
كوار : لا، فقط الف وخمسمئة رجل من المشاة وخمسمئة من الفرسان، سينضمّون الى مولاي لنكاستر ليزحفوا نحو نورثمبرلند ورئيس الأساقفة.
فالستاف (لكبير القضاة) : هل الملك عائد من منطقة وايْلس، يا مولاي اللورد النبيل؟
كبير القضاة (بدون أن ينظر الى فالستاف) : ستصلك مني رسالة بعد ساعة من الزمان. هيّا رافقني، يا عزيزي الأستاذ كوار.
فالستاف : مولاي...

كبير القضاة : ماذا جرى؟
فالستاف : (بدون أن ينظر الى القاضي) : الأستاذ كوار يدعوك الى تناول طعام الغداء معه.
كوار : أنا هنا رهن إشارتك، يا مولاي. شكراً، يا سرْ جون.
كبير القضاة : أنت تقضي هنا مدة طويلة في البحث عن رجال تجنّدهم في معظم الأنحاء التي تجوبها.
فالستاف (بدون أن ينظر الى القاضي) : هل تريد، يا أستاذ كوار، أن تتناول معي طعام العشاء؟

كبير القضاة : أسأل الله أن ينير عقلك، لأنك حقاً غبي كبير.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في شارع آخر من لندن

(يدخل الأمير هنري وبوينز)

الأمير هنري : صدّقني، أنا منهوك القوى من شدة التعب.

بوينز : هل هذا ممكن؟ لا يسعني أن أصدّق أن الإرهاق يمكن أن يحلّ بشخص رفيع المقام نظيرك.

الأمير هنري : لا أنكر أن هذا التصريح قد يسوّد صفحة مكانتي السامية. هل يليق بي أن أتوق الآن الى تجرّع قليل من الجعة؟

بوينز : طبعاً على الأمير أن لا يتذكّر هكذا أن في الوجود ميلاً الى مثل هذا المسكر الخفيف.

الأمير هنري : أظن أن شهيّتي ليست في مستوى أمير مثلي، لأني فعلاً أتذكّر وأشتهي احتساء قليل من هذا المشروب البسيط. لكن مثل هذه الفكرة في الواقع تتعارض وسموّ مقامي. فما أحقر أن أتذكّر اسمك وأن أتعرّف غداً الى محياك وأن ألاحظ كم من جوارب الحرير تقتني وان هذا لونه رمادي وأن أتذكّر كم قميصاً لديك للزينة والحفلات وللاستعمال العادي. لكن سواي في هذا الموضوع يلم بمعلومات أوفر منّي. وعلى ما أرى

الغلام : حالاً يا مولاي. فقد ناداني من خلال كوّة الحانة الحمراء. وهكذا لم أستطع تمييز ملامح وجهه. أخيراً توصلت الى مشاهدة عينيه، وأعتقد أنه وسّع الثقبين في قناع خادمة الحانة الجديد الذي استعمله وراح يتطلّع من خلالهما.

الأمير هنري : ألم يستفد هذا الصبي من الواقع؟

باردولف : اليك عني، يا ابن الزانية. إنك غبيّ أحمق.

الغلام : بل ابتعد أنت عني، يا حلم الدجّال المشؤوم.

الأمير هنري : أفدنا، يا غلام، ما هذا الحلم الذي تتكلم عنه؟

الغلام : يا مولاي، أبصرَ الدجّال في حلمه أنه أنقذني من جمرة محرقة. لذلك أدعوه حلم الدجّال.

الأمير هنري (يعطي الغلام نقوداً) : هذا التفسير يستحق قطعة نقود. فخذْها يا غلام الحظ السعيد.

بوينز : أرجوك أن تصون هذه الوردة من الزبول. وها هذا ستة فلوس لتشتري ما تشتهي.

باردولف : اذا لم تتفقوا كلكم على شنقه، فلن تستقيم الأمور.

الأمير هنري : كيف حال معلمك، يا باردولف؟

باردولف : يا مولاي، لقد اعتاد العودة الى المدينة كي يظل تحت رعايتك. هذه الرسالة موجّهة اليك.

بوينز : لقد حظيت انا باحترام فائق. فكيف حال معلمك سان مرتان خلال هذا الصيف الحارّ؟

باردولف : جسميًّا لا بأس به، يا سيدي.

بوينز : طبعاً، هو يحتاج عقلياً الى طبيب ماهر. لكن الأمر لا يهمّه كثيراً. ومهما كان مريضاً، لا خوف عليه من أن يموت قريباً.

الأمير هنري : أنا أعتقد ان هذا الجو يلائمني، كما هو حال كلبي الأليف، وهو من جهته يصرّ على استخدام امتيازاته. بما أنه يكتب اليّ هذا الكلام.

(يسلّم بوينز رسالة).

بوينز (يقرأ) : « جون فالستاف، فارس... » لا بد من أن يعلم بذلك كل الناس، كلما سنحت له الظروف بذكر اسمه. تماماً نظير أنسباء الملك، هؤلاء الذين لا يسهون، كلّما سالت نقطة دم من إصبعهم، عن الترديد : « ها هوذا دم ملكي ينزف منّا ». فلا يتأخر من يسمعهم، عن الاستفهام : « وكيف تمّ ذلك ؟ » اما الجواب فهو دائماً جاهز مثل الاحترام الذي يبديه من يود اقتراض بعض المال، وأردّده أنا الفقير ابن عمّ الملك، يا سيدي.

الأمير هنري : ها ها، كثيرون يودّون أن يكونوا أقرباء، ولو أوصلوا نسبهم البعيد الى يافث بن نوح. لكن، ما هو محتوى هذا الرسالة؟

بوينز (يقرأ) : « من الفارس سرْ جون فالستاف، الى ابن الملك، أقرب وريث لأبيه، هاري أمير وايلس، تحية واحتراماً »، لعمري، تبدو هذه الكتابة كأنها شهادة نسب.

الأمير هنري : مهلاً مهلاً.

بوينز : « أنا أريد أن أقلّد النبيل الروماني في إيجازه... » طبعاً يقصد إيجاز النفَس، واختصار التنفّس... « جئت التمس رضاك، وأسأل السماء أن تباركك. ثم أستأذنك بالانصراف. لا ترفع الكلفة بينك وبين بوينز

خشية أن يمعن في ابتزاز عطفك ورعايتك وهو يطمع بامتياز الاقتران بشقيقته نيلّي. لكن، كن يقظاً وحذراً لا سيما في فترات تفكيرك وتأمّلك بما يجري حولك. أودّعك، وأنا أتفحّص أساليبك أثناء تدبير أمور محيطك. التوقيع : جاك فالستاف بالنسبة الى المقرّبين اليّ، جون بالنسبة الى أخوتي وأخواتي، وسرْ جون بالنسبة على علاقاتي في أنحاء أوروبا ».ما رأيك، يا مولاي، بأن أنقع هذه الرسالة في الخمرة وأن أسقيه خلاصتها؟

الأمير هنري : هكذا تجبره على ابتلاع عشرين من كلماته... ولكن هل تريد أن تعاملني هكذا، يا ادوارد؟ هل تودّ فعلاً أن أقترن بشقيقتك؟

بوينز : أتمنى لأختك أن لا يكون حظها هكذا سيّئاً، إذْ اني لم أبدِ مطلقاً مثل هذه الرغبة.

الأمير هنري : لا تأبه لهذا الكلام. فكم نداعب أمانينا كالمجانين. وها هي أرواح العقلاء ترفرف فوق السحاب وتهزأ بمشاريعنا... هل معلمك موجود هنا في لندن؟

باردولف : أجل، يا مولاي.

الأمير هنري : وأين ينوي أن يتعشّى هذه الليلة؟ ألا يزال كالخنزير البرّي المسنّ يأكل دائماً وهو يتمرّغ في أوحاله اللّزجة؟

باردولف : نعم، يا مولاي، في مقرّه القديم في إيست شيب.

الأمير هنري : ومن يصحبه هناك؟

الغلام : جماعة المستهترين القدماء، يا مولاي.

الأمير هنري : وهل بمعيته بعض النساء لمشاركته العشاء؟

الغلام : ولا واحدة، يا مولاي، ما عدا السيدة كويْكلي المسنّة والسيدة دوروثي ترودْرا.

الأمير هنري : ومن هي هذه النكرة المجهولة؟

الغلام : هي سيدة محترمة ونسيبة معلمي، يا مولاي.

الأمير هنري : نسيبته تماماً كما تنتسب عِجْلَة الرعية الى ثور القرية... ما رأيك أن نفاجئهم أثناء العشاء، يا ادوارد؟

بوينز : انا مستعد أن أتبعك كظلّك، الى حيثما تذهب، يا مولاي.

الأمير هنري : أوصيكما، أنت أيها الغلام، وأنت يا باردولف، بأن لا تفوها بكلمة واحدة أمام معلمكما عن عودتي الى المدينة. خذا هذا اكراماً لصمتكما.

(يناولهما بعض النقود).

باردولف : انا لن أفكّ عقدة لساني، فاطمئنّ يا مولاي.

الأمير هنري : الوداع اذاً. هيا اذهبا. (يخرج الغلام وباردولف). لا بد من أن تكون دوروثي ترودْرا هذه مطيّة عامّة.

بوينز : أؤكد لك انها عامّة تماماً نظير طريق سان ألبان المؤدّي الى لندن.

الأمير هنري : كيف يتسنى لنا أن نشاهد فالستاف يتصرف هذه الليلة على سجيّته بدون أن يرانا؟

بوينز : سنرتدي سِتْرات ومآزر من الجلد، وسنخدم المائدة كالغلمان.

الأمير هنري : ومن وريث عرش، سأتحول الى خادم. ما هذا الانحدار الفظيع ؟ هكذا كان مصير الاله المشتري. هو الأمير، أمسى كالأجير. ما هذا التحوّل البذيء الذي سيكون من نصيبي؟ على كل حال ستعوّض النتيجة عن هذا

الابتذال الذريّ، لأن النهاية الناجحة تبرّر الوسيلة الوضيعة، يا ادوارد.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في واكْورْث امام القصر

(يدخل نورثمبرلند وزوجته السيدة نورثمبلند ثم السيدة برسي)

نورثمبرلند : أرجوك، يا زوجتي الحبيبة، وأنت يا ابنتي العزيزة، أن تفسحا المجال لرغباتي الغريبة، ولا يتجهّم وجهاكما بسبب الأحوال الحاضرة ولا تفعلا مثلي عندما تضايقان برسي.

السيدة نورثمبرلند : انا منذ الآن أنوي أن لا أنبس ببنت شفة. فافعلْ ما تريد، ولتكن حكمتك دليلك في تصرفاتك.

نورثمبرلند : يؤسفني، يا زوجتي العزيزة، أن تتأثر شهامتي بالموقف الذي أتخذه، ولا شيء يصونها مثل ذهابي حالاً لاقاتل.

السيدة برسي : مع ذلك، أرجوك، بحق السماء، أن لا تشترك في هذه الحرب. بالماضي اضطررت مرةً الى نقض وعودك، مع انك كنت متحفّظاً آنذاك أكثر ممّا أنت عليه في الوقت الحاضر. وعندما ألقى صديقك برسي، أي هنري حبيب قلبي، نظرة نحو الشمال ليرى

ما إذا كان والده يأتيه بالجنود لنجدته، أدرك أن لا جدوى من انتظاره العقيم، وتنهّد من أعماق صدره. من جعلك تصمّم في ذلك الحين على البقاء في بيتك وعدم الذهاب؟ لقد ردعك فقدان إكليلَيْن من غار المجد، أحدهما لك والآخر لولدك. أما إكليلك، فأسأل السماء أن تعيده لك في أبهى روعته. لكن إكليله هو معلّق بمجدك نظير الشمس في كبد القبّة الزرقاء. وعلى هدي أنواره سأردّ فرسان انكلترا المتّبعين اسمى السبل الى المعالي. وقد تجلّى كمرآة نقية ينعكس على صفحتها نبل الشبيبة أمل المستقبل، والجميع تبعوا خطاه، ولهجته القاسية التي أبرزتها الطبيعة الخشنة أضحت لغة كل الشجعان. لأن هؤلاء الذين كانت أصواتهم خافتة ومتّزنة تصحّحت وباتت نقيصتها صفة حميدة بمجرّد التبشّه به. حتى غدت اللهجات والأنظمة والأذواق والملذات والعادات العسكرية وبمادئ الأخلاق كلها تعكس كالمرآة صور النسخة والكتاب، كأنها قدوة الآخرين بدون استثناء. وكان هو، هذا الفذّ، هذا الانسان العجيب، المثال الذي تخلّيتم عنه. هو الذي لم يكن له مثيل، لم تساندوه بشكل من الأشكال. بل تركتموه يواجه وحده شراسة الحرب بكل فظائعها وويلاتها. فاضطر بمفرده الى خوض ساحة القتال ومجابهة المقاتل الصاخب هاتْسْبر. وهكذا تخلّيتم عنه الى مصيره الأليم. لا، لا، يتحتّم عليكم الآن ان تحكّموا ضميركم وتقوموا بواجبكم وتهبّوا الى مناصرته دون سواه. دعوا أخصامه لمصيرهم ولا تساندوا أحداً غيره. فالمارشال ورئيس

الأساقفة لا تنقصهما القوة. ولو كان الى جانب حبيبي هاري نصف ما لديهم من رجال مسلحين، لتسنى لي اليوم وأنا متشبّثة بمعانقة عزيزي هاتسبر، ان أتكلّم عن ضريح مونموْث.

نورثمبرلند : تبًّا لقلبك الشغوف، يا ابنتي اللطيفة. فأنتِ تنتزعين مني بسالتي إذ تذكّرينني بأخطائي القديمة. لكن مع ذلك يجب عليّ أن أذهب وأجابه الأخطار، وسيمضي هو الى مكان آخر يبحث عني، وسيجدني أقلّ استعداداً مما يجب.

السيدة نورثمبرلند : يمكنك أن تهرب الى اسكتلندا حتى يلمس النبلاء ومجلس العموم والمسلحون مدى قوّتهم عندما يُقْدمون على أول مواجهة.

السيدة برسي : اذا كتب لهم النجاح والتفوّق على الملك، يمكنك أن تنضمّ اليهم، وتساند جبهة متينة كالفوذلا لتدعم موقفهم. لكني أتوسّل اليك واستحلفك بما تكنّه لي من الحب أن تدعهم يحاولون أوّلاً. هكذا تصرّف ابنك، وهكذا تركته انا يتدبّر أمره، وهكذا أصبحت أرملة. ولن يمدّ الله في عمري لإرواء غليل أسفي بدموع الحسرة والأسى فتزداد آلامي حتى يبلغ نحيبي عنان السماء، وأنا أندب حظ زوجي النبيل المتوفّي.

نورثمبرلند : هيا تعالي معي. لأن نفسي تشبه المدّ الذي بلغ ذروته ووقف حائراً بين اتجاهين. أنا مستعد للذهاب طوعاً الى رئيس الأساقفة. لكن ألفاً من الأسباب تقف حائلاً في سبيلي لتمنعني عن الوصول اليه. لذلك قررت أن

أرحل الى اسكتلندا وأن أبقى هناك حتى تتيح لي الظروف أن أعود الى هنا.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في حانة هُور بضاحية إيست شيب قرب لندن.

(يدخل غلامان يخدمان في الحانة).

الغلام الأول : ماذا تحمل، يا صاح؟ هل هذه إجاصات غير ناضجة؟ وأنت تعرف جيداً أن سيدي جون لا يحبّها كثيراً.

الغلام الثاني : بذمّتي، صدقت. لقد وضع الأمير أمامه مرة صحن إجاص غير ناضج وقال له : هذه خمس إجاصات إضافية. وخلع قبعته وزاد قائلاً : والآن أستأذن بالانصراف هؤلاء الفرسان الستة، منهم الأصفر والمستدير والرجعي والمجعّد. فقد آلمهم هذا الحديث، ولم يغب عن بالهم أبداً ما سمعوه.

الغلام الأول : اذاً، عليك أن تغطّيها وتنقلها الى مكان آخر. واجتهد أن تُبعد ضجة المدعو سُورْنَوَا الى زاوية أخرى، لأن السيدة ترودْرا تريد أن تستمع الى قليل من الموسيقى. عجّل، فالغرفة التي تناول المدعوّون فيها طعام العشاء يسودها الحرّ الشديد، وهم على وشك أن يأتوا الى هذا المكان.

الغلام الثاني : الأمير والمعلم بوينز سيحضران الى هنا بعد لحظة

وكل منهما يرتدي سترتنا ومئزرنا المصنوعين من الجلد، بدون أن يدري سرْ جون بالأمر. هذا ما أسرّه اليّ باردولف حين جاء الى هنا.

الغلام الأول : بذمّتي هذه قصة مسلّية ومهزلة ممتازة.

الغلام الثاني : أنا ذاهب لأبحث عن سورْنَوَا.

(يخرج).

(تدخل المضيفة ودوروثي تروذْرا).

المضيفة : وربّي، يُخيّل اليّ، يا قلبي، انك في غاية الارتياح. وخفقاتك تنبض كأنك تحظى بأحلى أمانيك، وأنت تتباهى كأنك وردة حمراء زاهية. لكنك تبدو كما لو ارتشفت خمرة ممتازة تقطر نشوةً قبل أن يمكننا أن نسألك ما بك؟ وكيف الآن حالك؟

دوروثي : أنا أفضل حالاً مما كنت عليه منذ هنيهة.

المضيفة : بل على أحسن ما يرام. لأن القلب الطيب يساوي ثقله ذهباً. ها هوذا جون قد أتى.

(يدخل فالستاف وهو يغنّي).

فالستاف : عندما يظهر أرثور في البلاط الملكي،
لا بدّ من السهر آناء الليل، لأنه كالفلكي،
كأن ملك الفضاء لا يتذمر ولا يشتكي.

(يخرج الغلام).

فالستاف (يواصل كلامه) : كيف حال السيدة دُمْية؟

المضيفة : جسمها الآن غير مرتاح لأنها تتقيّأ، كما تعلم بسبب حمْلها.

فالستاف : هكذا كل النساء في هذه المرحلة سواء، حين يجرؤن على تخطّي بعض الحدود، معظمهنّ يشعرْن بالأعراض ذاتها.

دوروثي : تباً لك من بائس كسول. هل هذه هي كل الكرامة التي تقدمها لي؟

فالستاف : كم تسمّنين من تعاشرين بالغذاء، أيتها السيدة دوروثي؟

دوروثي : هل أنا أسمّنهم؟ الذنب ذنب شراهتهم التي تنفخهم وتمرضهم، وليس ذنبي أبداً.

فالستاف : اذا ساعد الطاهي على شحذ الشراهة، فأنت يا دمية، تساعدين العلل على مداهمة الأبدان. لذا تعلّمنا منك أموراً كثيرة كما أخذنا عنك أفكاراً شتى. أولا توافقين على استنتاجي هذا، يا صاحبة الفضيلة الهزيلة؟

دوروثي : أجل، ثم تأخذون، أيها الطامعون، سلاسلنا ومجوهراتنا أيضاً.

فالستاف (وهو يدمدم) : كذلك عقودكن ولآلئكن وأحجاركن الكريمة... لكي يُظهر الشجاع بسالته، عليه أن يتقدّم بخطى ثابتة، ويسير غير هيّاب على الوعر، ورمحه مسدّد ببراعة. وحين يحتاج الى الجرّاح، عليه أن لا يخشى مبضعه، وعندما يغامر في الهجوم، أن يتوجّه بجسارة الى هدفه ولا يخطئه.

دوروثي : اذهب واشنقْ نفسك، أيها الوقح الخسيس.

المضيفة : عدنا الى عادتنا القديمة. فأنتما لا تلتقيان بدون أن تختلفا في الرأي. لأنك، وربّي، أكثر خشونة من مسلّات قنفذ خائف. ولا تستطيعان كلاكما أن يتحمّل

أحدكما الآخر. (لدوروثي). على كل واحد منكما أن يتحمّل رفيقه، وعليكِ أنتِ بنوع خاص أن تتحفّظي لأنك المركب الأضعف، كما يقال.

دوروثي : وهل يقوى المركب الضعيف الخفيف على حمل خزّان ضخم ملآن كهذا؟ وعليه حمولة من الخمرة الجيدة، وأنت لم تشاهد في حياتك مركباً محمّلاً بأثقال هائلة؟ هيا لنظلّ أصدقاء، يا جاك، لأنك ستذهب الى الحرب، فان رأيتك أو لا، لا يهمّني أمرك مطلقاً.

(يدخل الغلام).

الغلام (لفالستاف) : يا سيدي، القائد بيستولي هو تحت ويريد أن يكلمك.

دوروثي : ليذهب هذا المشاغب الى الجحيم. لا أريد أن يدخل الى هنا. فهو أحقر صعلوك عرفته، ولا أرذل منه في كل انكلترا.

المضيفة : اذا كان مشاغباً مشاجراً لا تدعه يدخل الى بيتي، على كل حال. لا، لا. لا بدّ لي من أن أعيش بين جيراني. ولا أريد أن أرى المشاجرين المزعجين. فان سمعتي طيبة وصيتي حسن بين الناس المحترمين. أغلق الباب، ولا داعي لوجود المشاغبين في هذا المكان الهادئ النظيف. أنا لم أعِش حتى اليوم لكي أحتكّ بالمشاجرين. أرجوك أن تغلق الباب جيداً.

فالستاف : إسمعي، أيتها المضيفة...

المضيفة : أرجوك أن تطمئن بالاً، يا سرْ جون، فلن يدخل الى هنا أحد من المشاغبين.

فالستاف : هذا هو قائدي.

المضيفة : لا تكلمني، يا سرْ جون في هذا الموضوع. ان قائدك المشاجر لن يتخطّى عتبة بيتي. كنت من كم يوم بصحبة الأستاذ «آتِك» النائب في المجلس، فقال لي نهار الأربعاء على أبعد تقدير: يا جارتي كويكْلي، استقبلي المدنيين فقط دون سواهم، لأن سمعتك ليست على ما يرام. وأنا أعلم لماذا قال لي هذا... أنت مع ذلك امرأة شريفة ومحترمة. وبالتالي عليك أن تأخذي حذرك من الضيوف الذين تستقبلينهم. واياكِ أن تقبلي في دارك أشخاصاً مشاغبين. لا تتركي أحداً منهم يطأ عتبتك. ليتك سمعت ما كرّره لي مراراً عديدة من هذا القبيل. ولذا أنا لا أريد أن يزورني أي مشاغب.

فالستاف : هذا ليس من المشاجرين، يا أيتها المضيفة. انه مختلس لا ينجم عنه أي أذى. ويمكنك أن تداعبيه كأنه أرنب صغير، ولا يسعه أن يشاكس دجاجة مسكينة. لا، لا يمكنني أن أفكر في هذه الفئة من البشر.

دوروثي : هذا صحيح، أيتها المضيفة.

المضيفة : أليس كذلك؟ بشرفي، أنا ارتعش كورق الخريف ولا أطيق مشاهدة المشاغبين.

(يدخل بيستولي وباردولف والغلام).

بيستولي : حفظك الله، يا سرْ جون.

فالستاف : أهلاً بك ومرحباً، أيها القائد بيستولي. تفضّل إشرب هذه الكأس من الخمرة على حساب مضيفتنا.

بيستولي : يا سرْ جون، يسرني أن أشرب كأسين على حسابها.

فالستاف : هي لا تحبّ التجاوزات، يا مولاي. فلا تحاول إغاظتها.

المضيفة : لا، أنا غير موافقة على اعمالكم ولا على شربكم. ولن ابتلع ما لا يعجبني. ولن أساير طبعاً أي رجل يسعى إلى إغرائي.

بيستولي : اذاً سأحوّل جهودي اليك، يا سيدتي دوروثي.

دوروثي : لا تحاول استدراجي. فأنا أكرهك، أيها الغبي الأحمق. اليك عني أيها النتن، أنا لست من نصيب أحد سوى معلمك.

بيستولي : أنا أعرفك، يا سيدتي دوروثي.

دوروثي : ابتعد عني أيها الشقي الماكر، أيها اللص المحتال. ان قدّمت لك هذه الكأس من الخمرة لن أتردّد في تسديد هذا السكين الى صدرك الحقير، اذا حاولت أن تتعدّى حدود اللياقة حيالي. اليك عني أيها المتشرّد، أيها المقامر السافل. متى تقرّبت اليك، أيها المنافق، ولو كان كتفاك مزوّدَيْن بالأشرطة؟ هذا لا يهمني لأني أحتقرك، أيها المدّعي الخسيس.

بيستولي : لذلك سأحطم رأسك، أيها السفيه المحتال.

فالستاف : كفى، يا بيستولي. لا أريد أن ينفجر غيظك هنا. اذهب وصبّ جام غضبك في غير هذا المكان، بعيداً عن جمعنا المسالم.

المضيفة : لا، يا أيها القائد بيستولي. لا، لا، يا عزيزي القائد.

دوروثي : أيها القائد، أنت دجّال خبيث لعين. ألا تخجل من أن يدعوك الناس قائداً؟ لو كان زملاؤك القادة يفكّرون

مثلي لأوسعوك ضرباً ولطماً لأنك اختلست رتبهم بدون أن تستحقّها. لماذا أنت محتال، أيها القائد؟ وقد شوّهت وجه إحدى بنات الهوى في أحد بيوت الدعارة. أنت تعتبر نفسك قائداً؟ إذهب وأشنق ذاتك، أيها الجبان المغرور. أنت لست أهلاً إلا لأن تعيش على الفواكه العفنة والخبز اليابس. لأن رتبة القائد من شأنها أن تشرّف صاحبها. بينما أنت أفسدت معنى هذه الكلمة وحقّرتها بأفعالك المشينة، وأصبحت هذه الرتبة بسبب قبائحك خسيسة بعكس صفة الترفّع التي تدلّ على النخوة والإباء. وقد قلبت أنت مدلولها بتصرفك الذريّ الى أسفل دركات الانحطاط. لذا يجب على جميع الناس ولا سيما أقرانك القادة أن يحذروك ويتجنّبوك كالعنزة الجرباء.

باردولف : أرجوك أن تمضي، يا عزيزي القائد.

فالستاف : إسمع ما تقوله عنك السيدة دوروثي.

بيستولي : لا، لن أمضي. أؤكد لك اني باقٍ، أيها العزيز باردولف. فأنا استطيع أن أسحق هذه الحشرة بقدمي. وسأنتقم منها لأنها داست كرامتي.

الغلام : أرجوك أن تذهب.

بيستولي : قبل أن أمضي، لا بد لي من أن ألْعن أجدادها. أقسم لكم اني سأغرقها في بحيرة بلوتون. وأدهورها الى أعماق الجحيم، وأسومها أمرّ العذابات. عليكم اذاً أن تزيحوها من دربي، وإلّا قتلتُها كالكلب المسعور. لا بدّ لهذه الخائنة من أن تموت. أوليست عاهرة حقيرة في نظر الجميع؟

المضيفة : هدّئ روعك، أيها القائد الظريف بيستولي. أؤكد لك أن الساعة أضحت الآن متأخرة. فأرجوك أن تسكّن فورة غضبك.

بيستولي (بصوت محتدّ) : هذا حقاً مزاح غليظ سمج. أراني بين حيوانات كريهة مشاكسة من الصعب معاشرتها. وتريد أن تتشبّه بالقياصرة واليونان والطروادييّن. وهم لا يستحقّون إلّا اللّعنة نظير كلاب الأبالسة التى تحرس أبواب الجحيم، ونباحها يُصمّ آذان أهل النعيم. ثم يقال عنّي اني من المشاغبين المشاجرين.

المضيفة : بذمّتي، أيها القائد، هذا كلام أليم غير معقول ولا مقبول.

باردولف (وهو شديد السكْر) : دعوا الرجال يعودون كالذئاب وألقوا اليهم بقطع العظام النتنة. أولاَ يوجد بيننا من عاهرة؟

المضيفة : بشرفي، أيها القائد، أؤكد لك ان ليس لمثل هذه المنبوذة هنا من وجود. ولو كانت هنا، أتظن أني أخبئها في بيتي؟ بحق السماء، هدّئ روعك واطمئنّ بالاً.

بيستولي : اذاً كُلي هذا واسمني، يا عزيزتي كاليوبوليس... هيا اعطني كأس خمرة... واذا كان حظي يعاكسني، فان آمالي ترضيني. أتظن ان هذه المومس تفزعني؟ كلاّ ثم كلاّ. سيجرّها إبليس الى أعماق جهنم. هيا لعطني كأس خمرة. وأنت، يا عشيقتي، تعالي وتمدّدي الى جانبي. (يضع سيفه على الأرض). لا بدّ لنا من إزالة كل الحدود فيما بيننا، وهدم جميع الحواجز التي تفصلني عنك.

فالستاف : يا بيستولي، لو كنت انا مكانك لأخلدتُ الى السكينة.

بيستولي : أيها الفارس الظريف دعني أقبّل قبضة يدك. لا تنسَ اني شاهدت الكواكب السبعة.

دوروثي : بحق السماء، إرمي به خارجاً ودحرجه على الدرج. لأني لا أطيق سماع ثرثرة هذا الغبي الأحمق.

بيستولي : أتريدين أن يرميني من أعلى الدرج الى أسفله. هل تظنّين اني لا أعرف أمثالك المتهتكات؟

فالستاف : هيا، يا باردولف، ألقهِ الى تحت كالحجارة المحطّمة. وإذا ظل يفوه بالتفاهات ستُخمد أنفاسه في هذا المكان بالذات.

باردولف (لبيستولي) : هيا إرحل من هنا.

بيستولي (يلمّ سيفه) : هل سنصل الى الطعن؟ هل عليّ أن أجرّد سيفي؟ بينما يهدّدني الموت ويقرّب أجلي، وينهي أيامي الحزينة؟ لا تَنْسَ ان الجراح المميتة المفتوحة تقصّر أعمار الأبطال. تعال لأقول لك، أيها المغرور...

(يستلّ سيفه).

المضيفة : ما هذا الشجار البغيض؟

فالستاف : اعطني سيفي، يا غلام.

دوروثي : أرجوك، يا جاك، أن لا تشهر سلاحك.

فالستاف (يستلّ سيفه ويقول لبيستولي) : ساعدني على نزول الدرج.

المضيفة : هذه الضجة لا مثيل لها... لقد قرّرت أن لا أدير نزلاً بعد الآن كي لا أواجه نظير هذا الارهاب والتهديد. أنا واثقة بأن جريمة سترتكب هنا. رحمتك اللّهمّ. هيا، يا رجال، أعيدوا سيوفكم إلى أغمادها. هيا أعيدوها حالاً. (يخرج بيستولي وباردولف). إهدأ. ها قد مضى الغبي. ما أحقره من قوّاد وقح دني.

المضيفة : ألم تُصَب بجرح في فخذك؟ ظننت أنه رفس جنبك بجزمته.

فالستاف (لباردولف) : هل طردته وتخلصت منه نهائياً؟

باردولف : أجل، يا مولاي. كان اللعين غارقاً في السكر، وقد جرحته أنت في كتفه.

فالستاف : تصوّر ان مغروراً مثل هذا الوغد اللئيم يجابهني.

دوروثي : تبًّا لك من أبله عزيز على قلبي. اللّهمّ رحمتك. أنت مثل قرد مسكين. دعني أمسحْ لك وجهك. تقدّم، أيها الفتى. أنت ساذج، ومع ذلك أحبك، لأنك بطل نظير هرقل طروادة. وتساوي خمسة من أمثال اكاممنون وعشرة من أمثال سائر الأفذاذ، أيها الخبيث المحتال.

فالستاف : انا لست سوى لصّ حقير. عليّ أن ألفّ هذا الحقير بشرشف.

دوروثي : هيّا، لفّه اذا استطعت. واذا فعلت ذلك سأغنّجك بين شرشفين.

(يدخل الموسيقيون).

الغلام : وصلت الفرقة الموسيقية، يا سادتي.

فالستاف : دعها تعزف... أعزفوا يا سادة، إتّكئي على ركبتي، يا دوروثي. تبًّا له من جبان رعديد. لقد أفلت الغبي من يدي كالزئبق.

دوروثي : أجل، وستلاحقه نظير متشرّد. تبًّا لك من قوّاد لئيم حقير، أيها الخنزير القذر المعروض في دكّان الجزّار. متى ستكفّ عن الشجار نهاراً وعن استلال السيف

ليلاً؟ ومتى ستبدأ بتهيئة نفسك للرحيل من هذه الدنيا الى الآخرة؟

(من مؤخرة المسرح يدخل الأمير هنري وبوينز متنكّرين بزيّ غلمان الحانات).

فالستاف : هدّيء روعك، أيتها الدمية. لا تتكلمي كمن فقد رشده، ولا تذكّريني بعد الآن بآخرتي.

دوروثي : لا تشغل بالك. من أية طينة مجبولة طبيعة هذا الأمير؟

فالستاف : هو شاب طيب القلب قليل الرصانة. مع ذلك، لا يجدر به أن يصبح خبّازاً لأنه لا يحسن صنع الأرغفة بشكل منتظم.

دوروثي : يُقال ان بوينز ظريف خفيف الظلّ.

فالستاف : هو ظريف؟ حصده الطاعون. انه غليظ الفهم عديم الذوق مثل خردل « توكس بري ». هو لا يحوي ذرّة من النعومة بل كله خشونة مثل شوك القنفذ.

دوروثي : لماذا اذاً يحبّه الأمير بهذا المقدار؟

فالستاف : لأن رجْلَيْ كليهما متوازيتان بالخفّة، ولأنهما يأكلان الأخضر واليابس كالجراد، ويزدردان المآكل كالفواكه المنقوعة بالعرق، ويداعبان الغلمان ويقفزان فوق المقاعد ويحلفان بدون انقطاع لتأكيد ترّهاتهما، وكالمشاغبين يستفزّان رفاقهما ليصدّقوا قصصهما الخفيّة. أخيراً لأنه يتمتع بمواهب تتجلّى في المجون وفي الألفاظ الرقيقة والأجسام المرنة، لذا يتشبّث الأمير بمعاشرته ويصرّ على ابقائه بقربه. والأمير يشبه بوينز كل الشبه في كثير من النواحي. واذا أردت أن تلعن

هذا أو ذاك تراهما متعادلين الى درجة تجعل شعرة واحدة ترجّح بينهما كفّة الميزان.

الأمير هنري : اذاً هذا الدولاب لا قِبَل له أن ينفصل عن محوره.

بوينز : فلنضربه تحت أنظار صاحبته العاهرة.

الأمير هنري : تبًّا لهذا العجوز المجعّد الجبين الشاحب الخدّين الذي يشبه الببغاء عندما يحك عنقه.

بوينز : أوليس غريباً أن تدوم شهوة الانسان سنين عديدة أكثر من مقدرته؟

فالستاف : قبّليني، أيتها الدمية.

الأمير هنري : لقد تعانق الكوكبان سأتُرْن والزهرة هذه السنة، فماذا قال التقويم الفلكي عنهما؟

بوينز (يشير الى باردولف والى المضيفة) : تأمّلوا هذا المؤْشور الناري الذي يداعب فارسُه محفوظات معلمه القديمة، ويراجع دفتر مذكراته الصغير كما يداعب كاتمة أسراره.

فالستاف (لدوروثي) : ما ألذّ القبلات التي تجودين بها عليّ.

دوروثي : فعلاً، أنا أقبّلك من كل قلبي.

فالستاف : رغم تقدّمي في السنّ.

دوروثي : صدقني اني أحبك أكثر من كل الشبان المغرورين.

فالستاف : من أي نسيج تريدين أن أفصّل لك ثوباً؟ سأقبض مبلغاً من المال يوم الخميس، وغداً سأقدّم لك قبعة... هيا أنشدي لي أغنية مرحة. لقد تأخر الوقت، وعلينا أن ننام... ثم ستنسينني بعد ذهابي من هنا.

دوروثي : بذمّتي، ستُبكيني اذا كرّرت هذا الكلام. سأتبرّج حتماً عند رجوعك اليّ... هيا أسمع نهاية الأغنية.

فالستاف : ناولني كأس خمرة، يا فرنسيس.

الأمير هنري وبوينز (وهما يتقدمان) : ها نحن جئناك بها، يا سيّد.

فالستاف (يتأملهما الواحد تلو الآخر) : ها هوذا ابن حرام من صلب الملك. وأنت يبدو عليك انك لست شقيق بوينز لأنك لا تشبهه بتاتاً.

الأمير هنري : ما هذا الكلام؟ يا أسفل أهالي هذا البلد؟ ما هو نمط الحياة الذي تتبعه؟

فالستاف : هو نمط أفضل بكثير من الذي تتبعه أنت. أنا وجيه معروف. أمّا أنت فلست سوى سكّير حقير.

المضيفة : حفظ الله سمّوك، أيها الأمير الكريم. بذمّتي، أنت تستحقّ كل الترحيب في لندن، ربّنا يبارك محياك الصبوح. يا إلهي، متى عدت من منطقة وايلس؟

فالستاف : تبًّا لكِ من عاهرة ظريفة بقوامك الرشيق ودمك الخفيف. (يضع يده على دوروثي). أهلاً بكِ ومرحباً.

دوروثي : ماذا تقول أيها الأحمق الضخم الجسم، أنا أكرهك.

بوينز (للأمير) : سيجعلك، يا مولاي، تقلع عن انتقامك، ويحوّل المسألة الى مهزلة اذا لم تضرب حديده وهو حام.

الأمير هنري : تبًّا لك، يا كتلة هائلة من الشحم. ما هذه اللغة الجوفاء التي تتحدّث بها عني بحضور مثل هذه الآنسة اللطيفة الشريفة المهذبة.

المضيفة : تبارك الرب الذي منحك هذا القلب الحنون الشفوق. فهو كنز لا أثمن منه في هذه الدنيا.

فالستاف (للأمير) : إسمع.

الأمير هنري : لقد سمعت. أظنك عرفتني كما فعلت يوم هربت الى جهات كادْشهيل. وأنت تعلم اني أسير وراءك، وقلتَ كل هذا لتختبر مدى صبري الجميل.

فالستاف : لا، لا، لا. ما ظننت أبداً أنك على مقربة منّي وتستطيع أن تسمع كلامي.

الأمير هنري : اذاً سأضطر الى اعتبار إهاناتك مقصودة. وعندئذٍ سأعرف كيف أعاقبك.

فالستاف : لم أتلفّظ بأية إهانة، يا هال. بشرفي، لم أتلفظ بأية اهانة، صدّقني.

الأمير هنري : ولا إهانة، أنت الذي ندّدت بي ودعوتني خبازاً وصانع أرغفة، ولست أدري بماذا نعتني أيضاً.

فالستاف : لم أتلفظ بأية اهانة، يا هال.

بوينز : أبداً، ولا إهانة.

فالستاف : أؤكد لك اني لم أنبس ببنت شفة، يا ادوارد. صدّقني، يا عزيزي الشهم ادوارد. ربما ندّدت بك أمام بعض الأشرار لكي لا يتعاطوا أبداً معك. وهكذا تصرفت تجاهك كصديق مخلص كلّي ولاء لشخصك الحبيب. وأبوك مدين لي بالشكر على ما قلت. لكني لم أتلفّظ بأية اهانة بحقك، يا هال، أبداً ولا إهانة، يا ادوارد، كلا، كلا. أرجوك أن تصدّقني.

الأمير هنري : أخشى أن تُهين من قبيل الخوف والجبن، هذه الآنسة الفاضلة لكي تصلح أمورك بالنسبة اليّ. فهل مضيفتك هذه من عداد الأشرار؟

بوينز : أجْب يا صاحب الضمير الميت أجبْ، يا محتال.

فالستاف : لقد أضاف الشيطان اسم باردولف الى لائحة زبانيّته الملاعين، ومحياه واجهة خاصة يتلطّى وراءها لوسيفوروس الذي يقتصر عمله على أحراق المسيئين الى البشر. اما الغلمان فلهم ملائكة تحرسهم. غير

أن ابليس ليس غريباً عن اغرائهم لاقتراف المحرَّمات.

الأمير هنري : وما هو نصيب النساء من كل هذه المشاكل؟

فالستاف : ذهبت إحداهن الى جهنم، والمسكينة تحترق الآن بدون هوادة. أما الأخرى، فأنا مدين لها ببعض المال، وهي محكومة بعقاب لا أدري بالضبط ما هو.

المضيفة : لا، لا. أؤكد لك ان الواقع هو غير ما ذكرته أنت.

فالستاف : كلا، انا لا أظنّ انك كما قيل عنك، وأعتقد بأنكِ بريئة من هذا القبيل. لكن، لا اعتراض على وضعك. مع انك تتضايقين من استهلاك اللحم في بيتكِ، خلافاً لما ينصّ عليه القانون. لذلك أتوقّع انك ستزمجرين.

المضيفة : كل صاحب نزل يفعل ذلك. وما أهمية أكل فخذ عجل أو إثنين طوال أيام الصيام.

الأمير هنري (للدوروثي) : وأنتِ، أيتها المرأة اللطيفة...

دوروثي : ماذا تقول، يا صاحب السموّ؟

فالستاف : يقول سموّه كلاماً يهتزّ له بدنه من شدة الاشمئزاز.

(يُسمع طَرق).

المضيفة : من الذي يطرق الباب بعنف هكذا؟ إذهب وانظر من الطارق، يا فرنسيس.

(يدخل بيتو).

الأمير هنري : ما وراءك من الأخبار، يا بيتو؟

بيتو : والدك الملك موجود حالياً في ويستمنستر. وقد وصل من الشمال عشرون رسولاً منهوكي القوى، وأثناء قدومي الى هنا، صادفت واجتزت أكثر من عشرة ضبّاط مكشوفي الرأس يتصبّب العرق من جباههم،

كانوا يطرقون أبواب كل الحانات ويسألون عن سرْ جون فالستاف.

الأمير هنري : بحق السماء، يا بوينز، انا أستحق اللوم على تبديدي بهوس كهذا وقتاً ثميناً، بينما عاصفة الفوضى كرياح الجنوب تهبّ على غيوم سوداء تنهمر منها الأمطار الغزيرة على الرؤوس العارية وعلى أجسام أصحابها المجرّدين من السلاح... ليلتك سعيدة، يا فالستاف.

(يخرج الأمير هنري وبوينز وبيتو وباردولف).

فالستاف : ها قد أقبل القسم الأُوْنس من الليل، وعلينا أن نغادر هذا المكان بدون أن نذوق أثناءه طعم النوم. (يُسمع طرق) : أسمعت؟ طرق الباب مرة ثانية.

(يدخل باردولف).

فالستاف : ماذا يجري ها هنا؟

باردولف : يتحتّم عليك أن تمضي الى البلاط، يا مولاي، حالاً وسريعاً. لأن أكثر من عشرة ضباط ينتظرونك خارجاً عند الباب.

فالستاف (للغلام) : إدفع للموسيقيين ما يستحقونه، يا غبي... الوداع، أيتها المضيفة... الوداع، أيتها الدمية. هل رأيتما أيتها المرأتان اللطيفتان كيف يبحث الناس عن الرجال المرموقين؟ فالعاجزون عن العمل يتسنى لهم أن يناموا، بينما رجال العمل الجادّ يُطلبون للقيام بالواجب. الوداع، أيتها البنتان الطيّبتا القلب. اذا لم أُرْحَّل بأقصى العجلة، سأعود لمشاهدتكما.

دوروثي : أنا لا يسعني أن أتكلّم... لأن قلبي على وشك أن يتفطّر... هيّا، يا عزيزي جاك، لا تهمل نفسك أبداً.

فالستاف : الوداع، الوداع.

(يخرج فالستاف وباردولف).

المضيفة : هيا، إذهبا. الوداع. منذ تسعة وعشرين يوماً جاءتنا ذات النفس الخضراء التي عرّفتنا اليها... وكان الرجل أشرف منها وقلبه أوفى... على كل حال، الوداع.

باردولف (ينادي من الداخل) : يا سيدتي ترودْرا.

المضيفة : ماذا تريد؟

باردولف (من الداخل) : قولي للسيدة ترودْرا أن تأتي لترى معلمي

المضيفة : نعم، أسرعي، أيتها الدمية، أسرعي.

(تخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

يدخل الملك هنري مرتدياً ملابس عادية ويرافقه غلام

الملك هنري: إذهب ونادِ كونْت سوراي وكونت ورويك. قبل أن يأتيا، قلْ لهما أن يقرآ هاتين الرسالتين، وأن يتفحّصاهما جيداً. أسرع. (يخرج الغلام). كم من ألوف رعاياي المساكين ينامون في هذه الساعة. أيها الرقاد الهادئ المريح، يا معوّض اتعاب البشر، ماذا فعلت انا حتى جفوتني هكذا؟ لماذا لا تدعني أغمض عينيّ وأغرق في بحر من السُبات العميق والنسيان. لماذا، أيها النوم، تفضّل أن تأوي الى البيوت الحقيرة المهدّمة حيث تريح الناس من ضجيج الذباب المعطّر الذي يلازم كبار هذا العالم تحت المظلّات الفخمة على أنغام أحلى المعزوفات؟ يا أيها الإله السخيف لماذا تقصد أكواخ البؤساء المتمدّدين على أسرّة قذرة وتهجر المخادع الملكية التي يسهر عليها الحراس للمحافظة على سلامة الشخصيات، وهم على أتمّ الاستعداد لدقّ

ناقوس الخطر عند الاقتضاء؟ هل تريد أن تغمض عيني الملاّح فيغلب عليه النعاس وهو في أعلى الصاري يراقب، ليهوي على الأمواج المتلاطمة في مهبّ الرياح العاتية التي يوقظ ضجيجها الصاخب غفوة الموت الرهيب؟ هل تريد، أيها النوم المنحاز، أن تمنح الراحة في مثل هذه الساعة الحرجة للبحّار المبلول الثياب أثناء هذه الليلة الهادئة، وان تحرم منه الملك الذي أنهكه السهاد، رغم كل وسائل الراحة ومظاهر الرغد والرفاه؟ إغفوا اذاً، يا سعداء الدنيا، واعلموا ان حامل التاج لا يعرف إلّا الهمّ والقلق.

(يدخل ورويك وسوراي وسرْ جون بلونْت).

ورويك : الف سلام عليك، أيها الملك المعظّم.

الملك هنري: هل أفقت، يا مولاي، هكذا باكراً وجئت لتحيّيني؟

ورويك : الساعة الآن تجاوزت الواحدة صباحاً.

الملك هنري: اذاً نهاركم سعيد جميعاً، يا سادة. هل قرأتم الرسائل التي وجهتها اليكم؟

ورويك : نعم، أيها الملك المفدّى.

الملك هنري: لمستم اذاً في أي وضع تعيس تتخبّط مملكتنا، والمرض الخطر الأليم الذي أصاب قلبها في الصميم.

ورويك : المشكلة كامنة في الدستور، ولا تزال الاضطرابات في أوّلها. ويمكن شفاؤها وردّ عافيتها اليها بالرأي السديد والعلاج الملاطف. ولن يلبث مولاي لورد نورثمبرلند أن تهمد فورة تمرّده وشيكاً.

الملك هنري: يا إلهي. لماذا نحسن تلاوة كتاب مصير الأجيال ورؤية الجبال تنهار على مرّ الزمان، والقارة تتفتّت وتذوب

في البحر، وقد تعبت من صلابتها المتشدّدة. وفي عصور أخرى نلمس وسع حزام الرمال على شواطئ المحيط حول خصر إله البحر نبتون؟ لماذا لا تظل حاضرةً في ذهن كل انسان جميع مساوئ الحظ وشتّى تشعّبات خيبة الأمل ومرارة الظلم والحرمان؟ لو ظهرت مجموعة هذه المفارقات لعيون الشبّان وبرز بُعْد المسافة التي لا بدّ من إجتيازها لبلوغ المرام، وكذلك مختلف الأخطار الماضية والمحاذير المستقبلة، لكانت ملأت صفحات مجلّدات ضخمة لا تحصى، هزّت ضمائر المسؤولين الذين يجب أن لا تغيب عن أذهانهم فكرة الموت والزوال التي لا مفرّ ولا مناص منها. في هذا العالم الفاني، منذ عشر سنوات كان رتشرد ونورثمبرلند يحتفلان معاً في المناسبات العديدة بصداقتهما المتينة. وبعد مرور سنتين فقط كان برسي هذا أقرب شخص الى قلبي، يعمل كأخ مخلص على إنجاح مشاريعي ويكشف لي بصراحة ووضوح كل مباهج حبه وأفراح حياته وكان يقابل غنى رتشرد بعدم مبالاة ويواجهه بتحدّياتي اذا لزم الأمر. ولكن من منكم كان حاضراً هنا؟ (لورويك). أنا أتذكر جيداً، يا ابن عمي الفاضل، انك كنت فيما بيننا عندما ألقى نورثمبرلند كلماته التي تبيّنت اليوم كنبؤات. « تباً لك يا نورثمبرلند، يا من استخدمك ابن عمي بولينبروك كسلّم للارتقاء الى العرش »... يعلم الله ان هذا الإنحراف لم يكن في البدء ما أنوي القيام به. لكن الحاجة اضطرتني الى النزول بالدولة الى مستوى وضيع جعل التاج يستقرّ على رأسي... وأضاف : سيأتي يوم

تتحوّل فيه هذه الجريمة البشعة الى دمّل خبيث ينشر الفساد في كل مكان ». وتوسّع في أقواله حتى توقّع ما جرى في عهدي من أحداث، وانقطاع حبل المودّة بيننا.

وارويك : في حياة المجمع البشري أحداث تستشف منها ظروف الوقت المنصرم. وعند مراقبتها يستطيع الانسان أن يتنبّأ بمآتي المستقبل على نحو أكيد تقريباً، وما تحبل به الأيام من تحوّلات أساسية تنمو مع مرور الزمن ولا بدّ من أن تصل الى مرحلة التفتّح والبلوغ. هكذا بموجب هذه التطوّرات الحتمية تمكّن رتشرد سلفاً من معرفة ملامح الخيانة التي دحرجته عن عرشه على يد نورثمبرلند الكبير، فأدّت الى خيانة أعظم تأصلت جذورها في الأرض لغير صالحك.

الملك هنري: ان كان من ضرورة لهذه القضايا، يجب علينا أن نتقبّلها كحتميّة لا بد منها. وها هيذا الحاجة الملحة تلاحقنا في هذه اللحظة. اذ يقال ان لدى الأسقف نورثمبرلند خمسون الف مقاتل.

وارويك : هذا غير ممكن، يا مولاي، فالشائعة نظير رجع الصدى تضخّم عدد من نخشى اذاهم. أرجو من جلالتك أن تستلقي على سريرك لتأخذ قسطاً من الراحة. أؤكّد لك، يا مولاي، ان القوّات التي أرسلتها ستحرز ما ترجوه من النصر بكل سهولة. ولكي أزيدك اطمئناناً، أعلمك اني إطّلعت على أخبار اكيدة تفيد أن كلانداور قد مات. صحة جلالتك منذ خمسة عشر يوماً ليست على ما يرام، واذا ظل القلق يساورك ستزداد عافيتك سوءاً.

الملك هنري: سأتبع نصيحتك. وكم أتمنى الآن أن لا أكون متورّطاً في هذه الحروب الداخلية، فلَوْلاها لكنّا رحلنا معاً الى الأراضي المقدسة.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في كلوسستر شاير وسط باحة أمام منزل القاضي شالو

(يدخل من جهات مختلفة شالو وسيلانس ثم مُوَازي وأُومْبر وفارّو وفابل وفو والخدام الذين يصطفّون في صدر المسرح).

شالو : تقدّموا، تقدّموا. هاتِ يدك، يا سيدي. أنت رجل نشيط مبكر في المجيء بارك الله همتك. كيف حال ابن عمي سيلانس؟

سيلانس : نهارك سعيد، يا ابن عمي شالو.

شالو : كيف حال ابنة عمي رفيقة سريرك؟ وكيف حال ابنتك اللامعة هيلانة؟

سيلانس : مع الأسف، ليست بلبلاً صدّاحاً، يا ابن عمي شالو.

شالو : ان قلت نعم أو قلت لا، أجرؤ على التأكيد ان ابن عمي وليم أصبح طالباً ناجحاً، وهو موجود دائماً في أوفورد، أليس كذلك؟

سيلانس : أجل، يا سيدي، وهو يدرس على نفقتي.

شالو : وسيلتحق قريباً بمدرسة الحقوق. انا أتممت دراستي

في معهد سان كليمان. حيث لا يزال الجميع يتحدثون عني ويلقّبونني بالمهووس شالو.

سيلانس : وكانوا يدعونك الفتى شالو أيضاً آنذاك، يا ابن العم.

شالو : بذمّتي، لقد دعوني بأسماء شتى، لأني في الحقيقة كنت أتمكّن من تحقيق كل ما يخطر ببالي بكل سهولة ونجاح. ولم يكن لنا، أنا والشاب جون دُوَا، وكان من ستافورد شاير، والأسْوَد جورج نو، وكذلك فرنسيس رُونْجُو ووِلّ إسْكُوَال وكان من كوتْسْوالد، أي نحن الأربعة لم يكن لنا مثال. ويسعني أن أصرّح باننا كنا نعرف جيداً أين تقام حفلات الرقص الممتعة، وكنا دوماً في رأس قائمة المدعوّين، حين كان جاك فالستاف الذي أضحى سرْ جون، لا يزال ولداً صغيراً، وكان حينذاك غلام توماس موبري دوق نورفولك.

سيلانس : أتعني سرْ جون الذي سيأتي لأجل الجنود، يا ابن عمي؟

شالو : أجل، سرْ جون نفسه. وقد شاهدته يشقّ رأس إسْكوكان عند باب المعهد، وكان آنذاك صبيًّا طائشاً ولم يكن طوله يتجاوز هذا المقدار. في ذاك النهار عينه تشاجرت انا وسمْسون إسْتوك فيش بائع الفواكه، خلف حانة « كرايْز إن ». ما أحلى الأيام التي قضيتها هناك. كم من هؤلاء الأصدقاء ماتوا، وأخشى أن تغيب ذكرياتهم عن ذهني.

سيلانس : هم السابقون ونحن اللاحقون، يا ابن عمي.

شالو : هذا أمر لا مفرّ منه طبعاً. الموت كما تذكر المزامير، قضاء مبرم لا بدّ منه، ويسري على الجميع بدون

استثناء. كلّنا مصيرنا الفناء والزوال. كم زوجاً من البقر شاهدت في معرض إستامْفورْت؟

سيلانس : لم أذهب لأزوره، يا ابن العم.

شالو : أجل، الموت أمر حتميّ لا بد منه... هل « دوبل » المسنّ لا يزال على قيد الحياة في مدينتك؟

سيلانس : لا، لقد رحل عن هذه الدنيا مؤخراً، يا سيدي.

شالو : يا الهي، هل حقًّا مات؟... كان ماهراً في إصابة الهدف عندما يرشق السهام بقوسه، أجل كان بارعاً... وكان جون دي غان يحبه كثيراً ويراهن عليه بمبالغ كبيرة عندما يشترك في أية مباراة... مات المسكين. كان يرمي سهامه عن بعد مئتين وثمانين أو خمسة وثمانين قدماً وكانت مشاهدته فعلاً تبهج النظر وهو يرشق سهامه... ما هو سعر قطيع العشرين نعجة في الوقت الحاضر؟

سيلانس : حسب الظروف. فقطيع العشرين نعجة يساوي اليوم عشر ليرات.

شالو : تقول ان « دوبل » المسنّ قد مات.

(يدخل باردولف وأحد رفاقه).

سيلانس : ها هما اثنان من جماعة سرْ جون فالستاف، على ما أظن يتقدّمان نحونا.

باردولف : نهارك سعيد، أيها الوجيه الكريم. أرجوكم، يا سادة، أن تقولوا لي من منكم هو القاضي شالو؟

شالو : انا روبرت شالو، يا سيدي. هاوي الجياد في هذه المقاطعة الجميلة، وأحد قضاة الصلح في بلاط الملك. ماذا تريد مني؟

باردولف : قائدي، جون فالستاف، يا سيدي، يرجو أن تنظر اليه بعين العطف. لأنه وجيه بهيّ الطلعة وضابط كله نشاط وحيويّة.

شالو : هذا شرف كبير تخصّني به، يا سيدي. فقد عرفته رجلاً ممتازاً متفوّقاً في استعمال سيفه. كيف حال هذا الفارس المغوار، وهل لي أن أسأل أيضاً كيف حال زوجته؟

باردولف : اعزرني، يا سيدي، إن قلت لك ان الجندي اليقظ يقوم بمهمته على وجه أكمل عندما لا يكون متزوّجاً.

شالو : هذا قول حكيم، يا سيدي، يأتي في محله. الجندي اليقظ ممتاز حقّاً. فالعبارة اللطيفة جميلة وشيّقة، وتنال أفضل استحسان. حقاً، هذه عبارة جميلة قيّمة.

باردولف : أعذرني، يا سيدي. لقد سبق أن سمعت هذه الكلمة. أنت تدعوها عبارة. وربّي، أنا لم أسمعها سابقاً. لكنني أصرّ والسيف في يدي، على التأكيد أن هذه الكلمة تمتّ الى الجندية، وانها تدلّ على سلطة واسعة. دوام اليقظة برهان على أن صاحبها متأهّب باستمرار، ولا أجد أروع من هذه الصيغة، لأنه يكون في أهم مواقفه ويستقطب تقدير الجميع. وهذا لعمري ما يتمناه كل انسان شهم رصين.

(يدخل فالستاف).

شالو : هذا صحيح... ها هوذا سرْ جون. هاتِ يدك الكريمة. بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان صحتك تبدو جيدة، وان عمرك لا يؤثر على مظهرك النشيط. أهلاً بك، يا سرْ جون الفاضل.

فالستاف : يسرّني أن أجدك بصحة تامة، يا أستاذ روبرت شالو...
أظن هذا هو الأستاذ سورْكارْت؟

شالو : كلاّ، يا سرْ جون، هذا هو ابن عمي سيلانس الذي
يملك الشركة التي تؤمّن على حياتي.

فالستاف : استاذي العزيز سيلانس، يليق بك أن تكون من أنصار
السلام.

سيلانس : أهلاً بسيادتك.

فالستاف : أُفٍ من هذا الطقس الحارّ... هل وجدتم لي، يا سادة،
ستة رجال أبحث عنهم يصلحون لأن أُلْحِقهم بالخدمة؟

شالو : أجل، يا سيدي. هل تريد أن تجلس؟

فالستاف : أرجوك أن تريني اياهم.

شالو : ها هم طالبوا الوظيفة، يا سيدي. هذا هو رالف مُوازي.
ولْيَردَّ كلٌ من الباقين عند سماع اسمه، بدون إمهال.
هيا، أين موازي؟

موازي : أنا هنا.

شالو : كيف تجده، يا سرْ جون؟ هو فتى حسن المظهر
قوي البنية، وابن أسرة معروفة باستقامتها.

فالستاف : هل اسمك موازي؟

موازي : أجل، يا سيدي.

فالستاف : حان وقت استخدامك، على ما أرى.

شالو (يقهقه ضاحكاً) : ها ها. بذمّتي، هو ممتاز. السيد موازي يودّ
أن يخدم في أقرب وقت ممكن. وهذه نقطة لا بأس
بها. وما تقوله هو عين الصواب.

فالستاف (لشالو) : ضع علامة الى جانب اسمه.

موازي : كان لي علامة، وكان الأجدر بكم أن تتركوني وشأني.
ان سيدتي المسنّة ستنهار أعصابها الآن، نظراً الى

فقدانها هكذا من يقوم خير قيام بأعمالها المنزلية. فلا حاجة لوضع علامة قرب اسمي. هناك رجال كُثُر غيري يطلبون الذهاب.

فالستاف : هيا أعِرْنا سكوتك قليلاً، يا موازي، أنت أيضاً ستذهب، إذ حان الوقت فعلاً للاستفادة من كفاءتك.

موازي : للاستفادة من كفاءتي؟

شالو : إهدأ، يا غبي، وقف جانباً. هل تدري أين أنت الآن؟... الى التالي، يا سرْ جون. أين سيمون أومْبر؟

فالستاف : بل هاتوا لي هذا، لأوافق عليه حالاً. إذ يبدو عليه انه كان جندياً منذ عهد قريب.

شالو : أين أوْمْبر؟

أومبر : ها أنذا، يا سيدي.

فالستاف : يا أومْبر، أنت ابن من؟

أومبر : انا ابن أُمّي، يا سيدي.

فالستاف : ابن أمك؟ هذا لا شك فيه، وأنت ظل أبيك. لأن ابن الأنثى هو ظلّ الذكر كما تدل عليه، في الحقيقة، أغلب الحالات، مع ان فضل الأب في ذلك ليس بكبير

شالو : هل يناسبك، يا سرْ جون؟

فالستاف : هذا الرجل يفيدنا في الصيف. أشّر على اسمه، فيكتمل العدد الذي نحتاج اليه.

شالو : والآن، جاء دور توماس فارّو.

فالستاف : أين هو؟

فارّو : نعم، يا سيدي.

فالستاف : أنت، على ما أرى، من طراز غريب.

شالو : هل أضع علامة عند اسمه، يا سرْ جون؟

فالستاف : لا فائدة من ذلك. لأن متاعه على ظهره، وكل ما

فيه لا يوحي بالرضى. فلا داعي الى التأشير قرب اسمه.
شالو (يغرب في الضحك) : ها ها ها. كما تشاء، يا سيدي، كما تشاء. على كل حال، أقدّم لك تهانيّ القلبية. والآن جاء دور فرنسيس فابل.
فابل : نعم، سيدي.
فالستاف : ما هي صنعتك، يا فابل؟
فابل : خيّاط نسائي، يا سيدي.
فالستاف : هذا حسن. ولكنك لو كنت خياطاً للرجال لما تأخرت عن عمل القُطب... هل يسعك أن تحدث ثقوباً في أبدان الأعداء بعدد الثقوب التي أحدثتها كعُرَى في أثواب النساء.
فابل : سأبذل جهدي، يا سيدي. اذ انك لا تستطيع أن تطلب مني المزيد.
فالستاف : ردّك في محله، أيها الخياط النسائي، أجل، ردّك مناسب، أيها الباسل فابل. ستكون نشيطاً كالحَمام الغاضب، أو كالفأرة السريعة التنقّل. ضع علامة أمام اسم الخياط النسائي، يا أستاذ شالو، وشدّد عليه، يا أستاذ.
فابل : أتمنّى أن يذهب فارّو أيضاً، يا سيدي.
فالستاف : أتمنّى أن تتحوّل الى خياط للرجال، كي ترقع حماسك وتجعله صالحاً لذهابك الى الحرب. إذْ لا يسعني أن أجنّد من على ظهره مثل هذا الحمل الثقيل. كفى، يا فابل الفضولي.
فابل : أجل، هذا يكفي.
فالستاف : أشكرك شكراً جزيلاً، يا فابل الظريف. من التالي؟
شالو : بيار فو دابْري.

فالستاف : دعني أشاهد فو هذا.

فو : ها أنذا، يا سيدي.

فالستاف : ها هوذا فتى لا عيب فيه. هيّا أشّر عند اسم فو، وسنرى ماذا يكون من أمره.

فو : شكراً، يا سيدي القائد.

فالستاف : أتراك رضيت به قبل أن نضع علامة قرب اسمه.

فو : لا تتعجّب، يا سيدي، لأني منحرف الصحة.

فالستاف : وما هي علّتك؟

فو : أصابني بردٌ رافقه سعال حادّ، يا سيدي، إلتقطته من شدة ما دققت الجرس يوم تتويج الملك.

فالستاف : اذاً ستذهب الى الحرب في ردائك العادي. وهكذا تتخلّص من سعالك، وسنتدبّر أمر أهلك الذين سنكلفهم بدق الجرس عنك. هل هذا كل ما لديك من معلومات؟

شالو : سننادي اثنين آخرين ليكتمل العدد الذي تطلبه، يا سيدي. لذلك أرجوك أن تقبل دعوتي لتناول طعام العشاء على مائدتي.

فالستاف : انا أفضّل أن أشرب كأساً معك، لأني لا أستطيع البقاء لتناول طعام العشاء عندك. في الحقيقة، سرّتني مشاهدتك، يا أستاذ شالو.

شالو : هل تتذكّر، يا سرْ جون، تلك الليلة التي قضيناها بأكملها معاً في طاحون الهواء قرب سان جورج؟

فالستاف : دعْنا من التحدّث عن ذلك، يا عزيزي الأستاذ شالو.

شالو : في الواقع، كانت ليلة مرحة. هل تعرف إن كانت « جين بزوني دونوي » لا تزال على قيد الحياة؟

فالستاف : نعم، هي حيّة، يا أستاذ شالو.

شالو : صدّقني انها لم تتمكّن من التخلّص مني.

فالستاف : أبداً. وقد أكّدت أنها لا تطيق الأستاذ شالو.

شالو : والله، عرفت كيف أثير غيظها. وكانت بالفعل أوْزَة سمينة. ألا تزال رشيقة القوام؟

فالستاف : لقد شاخت، يا أستاذ شالو.

شالو : نعم، نعم. لا بد من أن تكون قد طعنت في السنّ. ولقد عرفتُ زوجها روبان قبل أن أذهب الى سان كليمان.

سيلانس : منذ خمسين عاماً.

شالو : آه، يا ابن عمي سيلانس، ليتك شاهدت ما أبصرناه أنا وهذا الفارس... أليس كذلك، يا سرْ جون؟

فالستاف : ولقد رقصنا عندما أشارت الساعة الى منتصف الليل. هل تتذكّر ذلك، يا أستاذ شالو.

شالو : نعم، أتذكر. نعم، نعم، يا سرْ جون. وكانت كلمة السرّ لدينا « هيا يا أولاد ». والآن، هيا نذهب لتناول طعام العشاء. كم كانت تلك الأيام رائعة في الحقيقة.

(يخرج فالستاف وشالو وسيلانس).

فو : يا سيدي العريف باردولف، أرجوك أن تكون صديقي. وإليك مني أربع قطع من فئة عشر شلنات، سكّها الملك هنري. في الواقع، انا أفضّل أن أُشنق على أن أذهب، ليس بداعي الخوف والقلق بل لأني شخصياً لا أحبّ ان أمضي الى الحرب، بل أودّ أن أبقى مع أهلي. وإلّا لما وجدت فرقاً بين الذهاب والبقاء وكانا لديّ سواء.

باردولف : اذاً، قفْ جانباً.

موازي : انا أيضاً أرجو، يا سيدي العريف، بل يا سيدي الضابط، أن تكون صديقي حبًّا بوالدتي. لأن ليس لديها سواي للقيام بخدمتها. فهي عاجزة ولا تستطيع أن تسعف نفسها، وسأعطيك أربعين شلناً.

باردولف : هيا، أنت أيضاً قف جانباً.

فابل : بشرفي، صدّقني إن قلت لك ان الذهاب والبقاء عندي سيّان. لأن الانسان لا يموت إلّا مرة واحدة. وبما ان الموت لا بد منه فلن تكون نفسي قلقة اذا كان مصيري هكذا. وليكن نصيبي ذهاباً أو بقاءً، لا فرق عندي. ليس من شرف أفضل من خدمة الأمير. وأنا راضٍ بما قسمه لي الحظ. لأن من يموت هذه السنة نظير من يموت السنة القادمة.

باردولف : بالصواب نطقت، أيها الفتى الشجاع.

فابل : أنا، بذمّتي، لم أخف يوماً مما يخبّئه لي المستقبل.

(يدخل ثانية فالستاف وشالو وسيلانس).

فالستاف : ها هم الأربعة الذين يعجبونك.

باردولف (بصوت خافت لفالستاف) : أريد أن أقول لك كلمة، يا سيدي... سأعطيك ثلاث ليرات لإعفاء موازي وفو من الذهاب.

فالستاف (بصوت خافت لباردولف) : حسناً. لا ينشغل بالك من هذا القبيل.

شالو : هيا، يا سرْ جون. من هم الأربعة الذين تريدهم؟

فالستاف : إخترْ لي الأنسب.

شالو : اذاً، هم موازي وفو وفابل وأُومْبر.

فالستاف : يا موازي إبقَ في بيتك حتى تصبح قرياً غير صالح

للخدمة. وأنت، يا فو، الى أن تصبح صالحاً تماماً، فكلاكما لا أحتاج الآن اليكما.

شالو : يا سرْ جون، لا تضرّ بمصلحتك. هذان هما أوْلى رجلين اخترتهما. وأنا يهمني أن أرى في خدمتك أفضل المحاربين.

فالستاف : هل تريد أن تعلمني، يا أستاذ شالو، كيف انتقي رجالي؟ وهل تظن ان ما يهمني من الرجل حالة أعضائه وقوّته وقامته وطوله وبدانته؟ أنا أهتمّ بروحه، يا أستاذ شالو. ها هوذا فارّو. هل تلاحظ مظهره الغريب، هو قادر على حشو سلاحه وتفريغه بسرعة فائقة. وستراه كيف يروح ويجيء برشاقة نظير ناقل المياه عندما يحمل دلويه بكلتا يديه. أما هذا المدعو أُومْبر فهو قويّ، وأحب أن أستبقيه عندي لأنه لن يشكل هدفاً بارزاً للعدو. فما عليه إلّا أن ينتضي مديّته، وأثناء الانسحاب من موقع، ليس أسرع في الركض، من هذا الخياط النسائي. اذاً أستبقيه معي لأنه يفي بالمراد لاصلاح ما يُفسد. وأُحيل رجالي الباقين الى الإصلاح. يا باردولف، سلّم المدعو فارّو قوساً متيناً.

باردولف : خذْ، يا فارّو، وسدّد السهام هكذا.

فالستاف : هيّا، أرني كيف ستحمل هذه القوس. هكذا، حسناً. ثم أعطني، يا باردولف، رامياً قصير القامة نحيل الجسم مسنًّا... فارّو هذا هو طبق المرام... حقاً يبدو عليك انك عنصر ممتاز. خذْ هذا، وأرني ما يمكنك أن تفعل.

شالو : لم يكن يوماً بارعاً في فنّه، لأنه ليس ماهراً في إصابة الهدف، وأنا أتذكّر في ساحة الرماية قرب « مايل أند » حين كنت في معهد سان كليمان أمثل على

خشبة المسرح دور سرْ داكوني في مسرحية أرثور، ان هناك شخصاً قصير القامة يُرقص سلاحه هكذا، ثم يكرّ ويفرّ ويتقدّم ويتقهقر وأخيراً يهجم : راتاتا، ثم بُمّ. ويظهر ثم يختفي... لن أشاهد مثل ذاك الفتى الماهر.

فالستاف : إن فتياناً كهؤلاء يلائمونني، يا أستاذ شالو... حفظك الله، يا أستاذ سيلانس، لن أطيل عليك الشرح. أتمنّى لكما معاً صحة تامة، وأشكركما على مماشاتي مسافة اثني عشر ميلاً هذا المساء. يا باردولف، سلّم الجنديّين ملابسهما العسكرية.

شالو : الله يبارك همتك، يا سرْ جون، ويكلّل أعمالك بالنجاح، ويمنحك راحة البال. عند رجوعك، أرجوك أن تأتي لزيارتي، كي نجدّد عهد صداقتنا القديمة. وربما رافقتك الى المحكمة.

فالستاف : أتمنى ذلك من كل قلبي، يا أستاذ شالو.

شالو : هيّا بنا. لقد صارحتك بكل ما أريد أن أفصح عنه. أتمنّى لك أتم الصحة والعافية.

فالستاف : وأنا أيضاً أتمنى لكم جميعاً، يا ذوات، اطيب الأماني. (يخرج شالو وسيلانس). الى الأمام، يا باردولف، واصطحب معك هؤلاء الرجال.

(يخرج باردولف ومعه المجنّدون).

فالستاف (وحده) : عند عودتي سأناقش هذا القاضي. أنا أبصر ما في أعماق صدره وتلافيف دماغه. يا إلهي. كم نحن

الأشخاص الشيوخ معرّضون لآفة الكذب. هذا القاضي الهزيل لم يكفّ عن الثرثرة في موضوع مغامرات شبابه قرب شارع ترْن بول. وعلى كل ثلاث كلمات منه تظهر كذبة ينبغي لسامعه أن يبتلعها كأنها آية مقدّسة. انا لا أزال أتذكّره يوم كان في سان كليمان وكأنه أحد الفتيان الذين نتسلّى بمداعبتهم والتنكيت عليهم. وعندما يتعرّى كان يبدو كأنه فجلة بذَنبين وكانت حركاته أقرب الى بهلوانيّات القرود. كان نحيلاً الى درجة كُدْنا نراه وكأنه شبح الجوع بالذات. وكانت المومسات يدعونه « منْدْراكور » لأن هندامه دائماً متأخّر عن زيّ ذلك الحين. وكان ينشد لفتياته الطائشات أغاني سمعها من أفواه سائقي العربات، ويُقسم انها آخر صرعة ليلية من نظمه وتأليفه. والآن ها هوذا سيف الخشب الذي حوّله فساد العصر الى سائس خيل بليد. وهو يتحدّث عن جون دي غان بصورة مألوفة كأنه رفيقه في السلاح. وأنا أقسم بدوري انه لم يشاهده سوى مرة واحدة في باحة كاروسال حين شجَّ رأسه رجال المارشال، لأنه اندسّ فيما بينهم واختلط بتجمّعاتهم. ولقد أبصرته حينذاك وقلت له، هو الذي يظن نفسه جون دي غان انه نحيل الى درجة تمكّنه من الدخول بسهولة في جلد سمك الحيّات. وربما تسنّى لبيت المزمار أن يكون له قصراً رحيباً. لكنه الآن أصبح يملك الأراضي الواسعة، والعديد من البقر والثيران. سأتّصل به اذا رجعت، ولن أكون مرتاح البال اذا لم أجعل منه خاتم سليمان كي أحصل بواسطته على كل ما أشتهي. وبما

ان السمك الكبير دائماً يأكل السمك الصغير، لست أدري لماذا لا أبتلعه أنا بموجب هذا القانون الطبيعي، حالما تسنح لي الفرصة المناسبة.

الفصل الرابع

المشهد الأول

وسط غابة في يورك شاير

(يدخل رئيس اساقفة يورك، وموبري وهاستينكس وغيرهم)

رئيس الأساقفة : كيف تُدعى هذه الغابة؟

هاستينكس : اسمها غابة كولْتري.

رئيس الأساقفة : لنقف هنا، يا سادة، ولنرسلْ كشّافين لمعرفة حجم أعدائنا.

هاستينكس : لقد أرسلناهم منذ برهة.

رئيس الأساقفة : حسناً، يا أصحابي وإخواني في هذه الحملة الكبيرة. عليّ أن أعلمكم اني تلقّيت من نورثمبرلند رسالة مؤرخة من وقت قريب، باردة اللهجة، اليكم فحواها : لقد تمنّى أن يكون هنا شخصياً برفقة قوّات تناسب مقامه العالي، لكنه لم يستطع أن يجنّد أحداً. وبناء على ذلك، بغية أن يدع فرصته تتفاعل وتختمر، إنسحب الى اسكتلندا راجياً من كل قلبه أن تثمر

جهودكم وأن تسيطروا على الأحداث الجارية وعلى مقاومة أخصامكم الألدّاء.

موبري : هكذا تحطّمت وانهارت الآمال التي علّقناها عليه.

(يدخل رسول).

هاستينكس : ما وراءك من الأخبار؟

الرسول : في غرب هذه الغابة، على بعد ميل من هنا تقريباً، يتقدّم الأعداء بنظام. واستناداً الى المساحة التي يشغلونها، أقدّر ان عددهم يناهز الثلاثين الفاً على وجه التقريب.

موبري : العدد الذي افترضناه تماماً. علينا اذاً أن نتقدّم نحن بدورنا، وأن نجابههم من جهة السهل.

رئيس الأساقفة : من هو الضابط المسلّح القادم الى هنا؟

موبري : أعتقد أنه مولاي ويستمورلند.

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : أحيّيكم وأقدّم لكم أصدق تهاني قائدنا العامّ الأمير اللورد جون دوق لنكاستر.

رئيس الأساقفة : تكلّم، يا لورد ويستمورلند، بكل أمان. ما معنى مجيئك الينا؟

ويستمورلند : يا مولاي، رسالتي موجّهة الى سموّك بالدرجة الأولى. فاذا تمادى هذا العصيان، كما هو الحال تذكيه عصابات حقيرة شرسة بقيادة شبيبة دموية تكسوها الأسمال البالية وتختلط بها فرق متهوّسة من الرعاع، أقول اذا ظهرت هكذا بمظهرها الحقيقي الطبيعي، لن تظلّوا هنا، أعني أنت، يا أبتِ الوقور وهؤلاء اللوردات

النبلاء، لتستردا فظاعة تمرّدكم الدموي بثياب مقاماتكم السامية. أنت، يا مولاي رئيس الأساقفة الذي ترتكز مهمّتك على السلم والأمان، والذي دعمتْه يد القدرة الالهية، أنت الذي وطّد سلطتك العلم والأدب، انت الذي ترمز ملابسك الناصعة الى البراءة مثل حمامة بيضاء وروح مقدس يبشّر بالتفاهم والوئام، لماذا في فوضى حركتك المجرمة تترجم لغة السلام الوديع الى لهجة الصلف والغطرسة والحرب والدمار؟ وقد جعلت من كتبك قبوراً ومن حبرك دماً مهدوراً ومن ريشاتك رماحاً مسنونة ومن لغتك المباركة بوقاً صاخباً وموسيقى يطغى عليها ضجيج المعارك والدمار؟

رئيس الأساقفة : تسألني لماذا أتصرّف هكذا؟ هاك باقتضاب ما هي غايتنا، كلنا مرضى، لأن الإمعان في التجاوزات قد أورثنا الحمّى المحرقة التي اضطرتنا الى نزف الدماء. وهذه الحمّى عينها التي أصابت المرحوم الملك رتشرد قد قتلته. لكني، يا لورد ويستمورلند النبيل، لم آتِ الى هنا كطبيب ولا كعدوّ السلم زحفت مع رجالي المسلحين، بل اكتفيت بتوجيه إنذار بآلة الحرب الهائلة لمعالجة القلوب العليلة التي عافت السعادة، ولكي أطهّر صفوف العصاة الذين أخذوا يهدمون مقوّمات حياتنا. وبغية التكلم بصراحة أكثر أقول اني وضعت في كفّة ميزان العدل ما تخلّفه اسلحتنا من ويلات ودمار وما نتحمّله نحن من محن وشدائد، فوجدت ان آلامنا حالياً هي أخفّ بما لا يقاس مما تسببه من أضرار وعلل. لقد رأينا مجرى الأمور الحاضرة فاستغنينا عن

راحتنا وطمأنينتنا لنصدّ سيل هذه الهجمات الجارفة. أمامنا ملخّص عن كل ما لحق بنا من خسائر سنبسطه في الوقت الملائم. وكنا مزمعين أن نقدمه للملك منذ زمن بعيد. لكن مساعينا للحصول على موعد ذهبت ادراج الرياح. والذين حالوا دون تحقيق هذا اللقاء هم الأشخاص الذين اضرّوا بنا أكثر من سواهم. والأخطار التي هدّدتنا منذ عهد ليس ببعيد، ولا تزال آثارها الدموية ظاهرة على الأرض، والأمثال المتكررة في كل دقيقة تمرّ بنا قد دفعتنا الى حمل السلاح المدمّر، لا لتكسير أجنحة السلام ولا أغصان زيتون الأمان، بل لحماية السلم الحقيقي هنا قولاً وعملاً، كما يجب أن يسود بيننا.

ويستمورلند : متى رُفضت إحتجاجاتكم؟ وبماذا أزعجكم الملك؟ أي كبير منكم قد جُرحت كرامته؟ ولماذا لجأتم الى التمرّد والعصيان وسفك الدماء بما أثرتموه من الأحقاد الدفينة والغرائز الوحشية؟

رئيس الأساقفة : ان ما لحق بأسرتي ولا سيّما بأخي من اساءة الدولة، أيها الصديق الكريم، وما لاقوه من الظلم والطغيان جعلاني أشترك شخصياً في هذا النزاع المسلّح.

ويستمورلند : هنا لا مجال لتقويم الأمور بالقوة. واذا كان حقًّا هناك من موجب فهذا العمل ليس مطلوباً منك بالذات.

موبري : ولماذا لا يخصّه جزئياً كما يخصّنا نحن كليًّا، ونحن جميعاً نشعر بألم الجراح السابقة ونرى في الوقت الحاضر يد التعسّف تمتدّ لتلويث شرفنا.

ويستمورلند : لا، يا مولاي لورد موبري، لا بد من أن تحكم على

الوقت بمنظار الحاجة، لتقتنع حينئذ بأن الزمان، لا الملك، هو مصدر كل هذه المحن. ويبدو لي ان لا الملك ولا الزمان من سبّب هذه الفرقة والشقاق وأثخن الجميع بالجراح. أولم ترجع أنت في حومة هذه المشاكل الى سيادة دوق نورفولك والدك النبيل الطيب الذكر.

موبري : ماذا خسر والدي معنوياً حتى احتاج الى تجديد نفوذه بشخصي؟ ان الملك الذي كان يحبه لأسباب تتعلق بالدولة اضطر قسراً الى اقصائه عنه. وقد تمّ ذلك حين أوشك هو وهنري بولينبروك ان يصطدما وكلاهما على أتم الاستعداد فوق صهوة جواديهما الصاهلين نزقاً، ورماحهما مشهرين والمهماز في رجليهما جاهز، وعيناهما تقدحان شرراً وحماسة، وهمّا أن يشتبكا في العراك بدون رحمة ولا هوادة. في ذلك الحين لم يكن ما يحمي صدر بولينبروك من طعنة نجلاء يسدّدها اليه والدي المغوار، وفي تلك اللحظة بالذات ألقى الملك عصاه الى الأرض، فما كان من أبي ورفاقه، عن تحفّظ أو مجابهة قعقعة السيوف، إلّا أن سقطوا مضرجين بدمائهم تحت نظر بولينبروك.

ويستمورلند : أنت تؤكد هنا، يا لورد موبري ما لا تعرفه. في تلك الحقبة من الزمان كان كونت هيرفورد أشجع وجيه في انكلترا. فمن يدري لمن من الأثنين كان الحظ ابتسم؟ لكن، لو أحرز والدك النصر هناك لا أظنه كان لاقى الظفر في كوفنتري. لأن الشعب بأكمله وبصوت واحد طالب بمعاقبته ورفع بالاجماع صلواته

وأعلن حبّه لهيرفورد الذي كان يودّه ويباركه ويجلّه أكثر من الملك. لكن هذا استطراد خارج عن الموضوع. لقد جئت الى هنا من قبل الأمير، قائدنا العام، لأطّلع على شكواكم وعلى ما لحق بكم من غبن، ولأعلمكم بأن سموّه على أتم الاستعداد لاستقبالكم بكل حفاوة، وإنصافكم كما يحق لكم وترغبون، وكل ما هو شرعي من طلباتكم ستنالونه حتماً، بصرف النظر عما بدر منكم مما يفترض انه بادرة عداء.

موبري : لكنه الآن يقدّم هذا العرض مرغماً بسبب ما فاجأناه به من ردّة فعل، ويقوم به من باب السياسة لا بداعي التحبيذ.

ويستمورلند : يا مولاي، أنت تفكّر هكذا بدافع ما ينفخ صدرك من الزهو والاعتداد بنفسك. بينما هذا العرض قد صدر عنه من قبيل الحلم والرفق لا بداعي الخوف والتراجع. واليك بهذه الحقيقة الأكيدة. ها هو جيشنا على مرأى ومسمع من مواقعكم. وأنا أقسم لك بشرفي، ان هذا الجيش هو مبعث ثقة وارتياح ولا يمكن أو يوحي بأية فكرة خوف. وخطوطنا تضمّ أسماء شهيرة أكثر مما تحويه صفوفكم. ثم ان رجالنا أبرع في القتال من رجالكم ودروعنا أمتن بما لا يقاس من دروعكم، وهذا يجعلنا نحن الأقوى والأشدّ بأساً. فلا تدّعي اننا مجبرون على تقديم هذا العرض السخيّ.

موبري : على كل حال، لا أرى مجالاً لقبولنا بالتفاوض.

ويستمورلند : هذا ليس إلا الدليل القاطع على التضعضع الذي أفضى

اليه موقفكم المتشبّث بما لا يستحق كل هذا العناد. لأن الوضع المشكوك فيه لا يجوز إعتماده أساساً لأية تسوية ومصالحة.

هاستينكس : هل يتمتع الأمير جون بصلاحيات مطلقة وواسعة تعادل سلطة أبيه الملك، ليستمع الى مطالبينا ويقرّر بصورة نهائية كل الشروط التي نتفق عليها؟

ويستمورلند : هذا أمر مفروغ منه بوجه عام. وأنا استغرب ان تطرح مثل هذا السؤال.

رئيس الأساقفة : اذاً يا مولاي ويستمورلند، إعتمد هذا الأمر الواقع، لأنه يشمل جميع ما سبّب لنا من المضايقات، وليكن لكل بند من الاتفاقية استدراك، ولكل فرد إشترك في هذه القضية هنا وفي أي مكان آخر عفو نهائي مبرم، على أن يضمن تنفيذ ما نريده حالاً في كل ما يخصّنا ويتعلق بنا. وهكذا تعود الأمور بصفاء الى مجاريها الطبيعية، وينضمّ رجالنا الى قوّات الدولة لتوطيد السلام والوئام بيننا جميعاً على الدوام لأننا كلنا رعاياها سواء بسواء.

ويستمورلند (يأخذ الاتفاقية) : سأبسط هذه للقائد العام. واذا شئت، يا مولاي، سنتقابل قريباً بخصوص أوضاع جيشنا. وعندئذ إن شاء الله، تنهي جميع المشاكل سلمياً أو على ارض المعركة حيث برز خلافنا وسيكون السلاح حكماً بيننا يقرّر مصيرنا ومصيركم.

رئيس الأساقفة : انا موافق على ذلك، يا مولاي.

(يخرج ويستمورلند).

موبري : في أعماق صدري إحساس ينبئني بأن عوامل السلام بيننا ليست مستقرة.

هاستينكس : لا تخشى ذلك. اذا توصّلنا الى جعل نصوص السلام نهائية وشاملة على أساس شروطنا سيكون صلحنا صلباً كالصخر.

موبري : أجل، ولكن سيُنظر الى حجتنا كأنها عرجاء وجوفاء ومبتذلة وهزيلة تذكّر الملك بتمردنا عليه. ومهما أظهرنا له من مودّة وإخلاص، نظل شهداء ولائنا وخضوعنا للملك، بحيث عندما تهبّ أضعف رياح الغطرسة من جهته ستجعل حبوب قمحنا أخفّ وزناً من تِبْننا، فلا يفرّق بين السنابل الجيدة والزؤان الرديء.

رئيس الأساقفة : لا، لا، يا مولاي. أرجوك أن تلاحظ هذا : الملك قد أرهقته الاتهامات المشينة والمختلقة، لأنه أدرك ان خنْق الشك بالقتل لا يفيد ولا يؤدّي إلّا الى إشعال الفتنة وإحياء مشكلين أخطر منه بين ورثة الضحية. وبالتالي هو يريد الآن محو كل ما سُجّل في باب الحقد والضغينة، ويصرّ على ازالة كل أثر يذكّره بشقائه ويعيد الى ذهنه أيامه التعيسة. ما دام قد اقتنع أنه لا يستطيع أن يقتلع من هذه الأرض جذور كل ما سبب له القلق والهمّ، لأن أخصامه متشبّثون هم وأصدقاؤهم بأن سعيهم للقضاء على أي عدوّ سيؤدّي حتماً الى فقد صاحب يكون لهم عوناً أيام الشدّة. فإن هذه الدولة أشبه بامرأة وقحة أخرجت زوجها عن صبره حتى هدّدها بالضرب والتأديب، وحين عزم على تفنيذ وعيده أبرزت في وجهه إبنه، فجمّدت يده وهو يرفعها لتهشيمها والاقتصاص منها.

هاستينكس : من جهة أخرى قصد الملك أن يُعْمِل قضبانه في أبدان مناوئيه، لكن أدوات هذا العقاب لم تطاوع مشيئته. فغدت سلطته كنمر اقتلعت براثنه، يهدّد وليس له من قدرة على التقاط طريدته.

رئيس الأساقفة : هذا صحيح. لذا، كن مطمئن البال، يا عزيزي لورد مارشال، إننا ان أحكمنا جيداً صياغة بنود اتفاقيتنا سيدوم حلمنا وسلامنا نظير عضو كُسِر وجُبّر وأضحى أقوى مما كان عليه قبل إعطابه.

موبري : حسناً. ها هوذا مولاي ويستمورلند يعود إلينا.

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : الأمير قريب جداً من هذا المكان. فهل تريد سيادتك أن تجتمع بسموّه على مسافة متساوية بين جيشينا؟

موبري (لرئيس الأساقفة) : سرْ، يا صاحب السيادة، قدماً على بركة الله.

رئيس الأساقفة (لموبري) : كن السبّاق، يا مولاي، واذهب لتحية الأمير، ونحن لا نلبث أن نلحق بك.

(يخرجون).

المشهد الثاني

في جهة أخرى من الغابة

(يدخل موبري ورئيس أساقفة يورك وهاستينك من جهة،
ومن الجهة الأخرى يدخل الأمير جون لنكاستر وويستمورلند
وضباط ورجال من الحاشية)

الأمير جون : أهلاً بك، يا ابن عمي موبري. أحيّيك، يا رئيس الأساقفة الجليل، وأنت أيضاً، يا لورد هاستينك، وأنتم كلّكم كذلك. يا مولاي لورد يورك، كانت أيامك أحلى، يوم التأمت رعيتك مجتمعةً عند قبّة الجرس وتحلّقت حولك لسماع تعليقاتك الحكيمة على النصوص المقدّسة، أكثر من هذه الأيام، إذ تحاول أن تظهر كرجل حديدي تحرّك زمرة من العصاة يطبّلون ويزمّرون ويستبدلون كلام اللين بحد السيف، وتباشير الحياة بأشباح الموت. لأن الرجل الجالس على عرش القلوب والزاهي بنور شمس العطاء، مهما ابتزّ ثقة الملك بالأمور الطفيفة، كم من المحن، يا للأسف، يسبّب في ظلّ طاغيةٍ، عظمته باهظة الثمن كهذه. هكذا هو حالك، يا سيدي رئيس الأساقفة. من لا يدري كم كان مقامك سامياً في تعزيز كتاب الله. بالنسبة إلينا كنت الناطق باسم مجلس الملك باعتباره صوت الرب بالذات على الأرض، وقدسيته في السماء، وكل أفكارنا كانت متجهة الى قدرتك الفائقة ونفوذك الواسع. ومن كان يجسر على مجرّد التفكير في إمكان معاكستك مشيئة جلالته، لا سيّما أثناء ممارسة سلطتك الدينية في ظل سلطتك الدنيوية كأنك عدوّ لدود يناوئ

ملكه، لا تتردّد عن معارضته بأعمال مشينة بعيدة كل البعد عن رسالتك المباركة؟ أجل لقد أثرت بما تدّعيه من مؤازرة السماء، قسماً كبيراً من رعايا أبي، نائب الله على الأرض، وأقمت الأرض ولم تقعدها لمحاربته بعكس توصيات الدين المسالمة، وألّبت عليه عدداً كبيراً من رعاياه المخلصين.

رئيس الأساقفة : يا عزيزي لورد لنكاستر، أنا هنا لا أريد أن أقوّض أركان سلام أبيك. لكن هذه الفوضى، كما سبق وشرحت للورد ويستمورلند، تجمعنا بدافع إحساسنا الغريزي بالغبن، وتكتّلنا بشكل فعّال لتأمين خلاصنا. ولقد أرسلت الى سموّك معروضاً مفصّلاً يبيّن سبب محنتنا واستغلالنا. لكن البلاط رفضه بازدراء، وهذا ما أيقظ ظنوننا وهيّج تنّين الحرب المسبّع الرؤوس. غير ان نظرته الهائلة يمكن تلطيفها بتسامح رائع وبتلبية مطالبينا الشرعية العادلة. وهكذا لن نتأخر عن ابداء خضوعنا وامتناننا اذ يكون إنصافنا قد شفى جراح غيظنا، فننحني بتواضع أمام مشيئة جلالته.

موبري : وإلّا اجتهدنا أن نجرّب حظّنا جميعنا حتى آخر رجل منا.

هاستينكس : وحين نسقط هنا، سيأتي من يحلّون محلّنا لتجديد هذه المحاولة. واذا لم ينجحوا بدورهم سيجدون من ينوب عنهم لمواصلة السعي حتى تتكلّل بالفوز. وهكذا تولد تمرّدات متلاحقة وتنتقل هذه النزاعات من وريث الى آخر ما دامت في انكلترا أجيال صاعدة تتمتع بالنخوة والحميّة.

الأمير جون : أنت سطحي الى آخر حدود السحطية، يا هاستينك، ولا يسعك أن تدرك عمق فعالية الظروف المقبلة.

ويستمورلند (للأمير) : هل لسموّك أن تتنازل وتعلمنا بصراحة الى أي مدى تستطيع أن تتقبّل عروضهم؟

الأمير جون : انا مستعد لأن أقبلها جميعها، وأقسم هنا بشرفي أن نوايا والدي أُسيء فهمها، وان العديد ممن يحيطون به لشدّة فسادهم شوَّهوا إرادته وسلطته. يا مولاي، هذا الغبن سرعان ما يُرفع عنكم، وأؤكّد لك انه سيرفع حتماً. واذا وافقتم، تسحبون أنتم قوّاتكم من مختلف المناطق كما نسحب نحن قوّاتنا. ثم هنا في هذا المكان نتبادل انخاب الصداقة بين جيشينا ونتعانق أمام الجميع ونحتفظ بذكرى هذه المصالحة الودّية الصادقة على مدى الأيام.

رئيس الأساقفة : اني أعتمد على كلامك، أيها الأمير، لتحقيق هذا التقارب.

الأمير جون : أجل، أنا أعدك بذلك واني مصمّم على الوفاء بوعدي. وبناءً على ذلك أشرب نخب سموّك.

هاستينك (للضابط) : أيها القائد، إذهب وبشّر الجنود بنبأ هذا السلم. ولتُدفعْ رواتبهم ولينصرفوا الى بيوتهم، وأنا واثق بأن الأمر سيسرهم. عجّل أيها القائد.

(يخرج الضابط).

رئيس الأساقفة (يأخذ كأساً) : اني أشرب نخبك، أيها اللورد النبيل ويستمورلند.

ويستمورلند : انا مغتبط بهذه النتيجة السارة. ليتك تعلم كم عانيت من المشقّات للوصول الى هذا السلم، فأشرب وافرح

من كل قلبك. وستظهر مودّتي لك قريباً بشكل جليّ واضح لا يقبل أدنى ريب.

رئيس الأساقفة : أنا لا أشكّ بما تقول.

ويستمورلند : حقاً أنا سعيد بهذه الخاتمة المرضية. وأنا أشرب نخبك، يا عزيزي اللورد وابن عمي اللطيف موبري.

موبري : ستهنئني قريباً باستردادي كامل صحتي، لأني فجأة شعرت ببعض الانزعاج.

رئيس الأساقفة : عند اقتراب المحن كثيراً ما يشعر المرء بسرور غير طبيعي. كما أن الحزن والكآبة غالباً ما تسبق الأحداث السعيدة.

ويستمورلند : إفرح اذاً، يا ابن عمي العزيز، لأن انحرافاً مباغتاً في صحتك أتاح لك أن تفاجأ غداً بحدث سارّ.

رئيس الأساقفة : صدّقني اذا قلت لك اني مرتاح البال للغاية.

موبري : أبْشر، سيصحُّ ما تقول.

(تُسمع هتافات عن بعد).

الأمير جون : انتشر نبأ السلم. فأسمعوا الهتافات بهذه المناسبة السعيدة.

موبري : هذه الهتافات تعلو عادة على أثر إحراز النصر.

رئيس الأساقفة : هذا في الحقيقة انتصار عظيم مثل استتباب السلام. لأن الفريقين سيتكاتفان بنبل وبدون سقوط أية ضحيّة.

الأمير جون (لوستمورلند) : إذهب، يا مولاي، واصرف أيضاً جميع رجال جيشنا. (يخرج ويستمورلند). (لرئيس الأساقفة) واذا سمحت، يا مولاي الفاضل، سيمرّ مسلّحوكم أمامنا لنرى أي نوع من الرجال كنا سنجابه.

رئيس الأساقفة: إذهب، يا لورد هاستينكس، وقبل أن يتفرّق هؤلاء الرجال، دعهم يمرّون أمامنا.

(يخرج هاستينكس).

الأمير جون : املي كبير أن ننام جميعنا مرتاحين في هذه الليلة التاريخية.

(يدخل ويستمورلند).

الأمير جون (يواصل كلامه) : لماذا، يا ابن العمّ، ظلّت فِرَقنا بدون تحرّك.

ويستمورلند : لأن الرؤساء الذين تلقّوا الأمر أولاً من قبلك بالبقاء، لم يرضوا أن ينصرفوا قبل أن يسمعوا هذا الأمر منك شخصياً.

الأمير جون : هم يعرفون واجبهم.

(يدخل هاستينك).

هاستينكس : يا مولاي، تفرّق أفراد جيشنا، ونظير ثيران فتيّة أفلتت من النير، سارعوا في الابتعاد باتّجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب. كما يفعل التلاميذ عند الانصراف من المدرسة، كل واحد يركض الى بيته أو الى باحة اللعب.

ويستمورلند : خبر مفاجئ، يا مولاي هاستينكس، لأجله أُوقفك كمجرم متلبس بالخيانة العظمى. كذلك أنت، يا سيادة رئيس الأساقفة، وأنت أيضاً، يا لورد موبري، لأنكما مشتركان معه بالخيانة.

موبري : هل هذا عمل عادل وشريف؟

ويستمورلند : وهل يعتبر تجمّعكم كما ذكرت؟

رئيس الأساقفة : هل تريد أن تنقض حلفانك؟

الأمير جون : أنا لم أقسم لك أن أحقّق أية تسوية. لقد وعدتك باستدراك التجاوزات التي شكوت منها، وأنا لا أزال مصمماً على تنفيذ وعدي بكل ضمير حيّ. لكن، من جهتكم، أيها المتمردون، هل تريدون نيل مكافأتكم على عصيانكم وعلى تصرفاتكم العدوانية؟ لقد جنّدتم هؤلاء الرجال بصورة طائشة وجئتم بهم الى هنا لتهديد كياننا، ثم صرفتموهم بطريقة مهووسة. لا بدّ من دق الطبول لمطاردة عصاباتكم المشتتة. مشيئة الله نصرتنا عليكم وليست جهودنا التي قادتنا الى الفوز في هذا النهار. هيّا، يا رجال، رافقوا هؤلاء الخونة الى المشنقة حيث يكفّر المجرمون عن عصيانهم وتُزهق أرواحهم.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

في بقعة أخرى من الغابة

(تصدح الموسيقى، يتحرك الجنود ويتلاقى فالستاف وكولْفيل).

فالستاف : أرجوك أن تقول لي ما اسمك؟ وما هي صنعتك؟ ومن أين أتيت؟

كولفيل : انا فارس، يا سيدي، واسمي كولفيل دي فال.

فالستاف : تقول ان اسمك كولفيل، ولقبك فارس، وإقامتك في فال. بعد الآن، لن يكون اسمك كولفيل، أيها الخسيس. أما لقبك فهو الخائن، وإقامتك السجن الذي ستلازمه مدى الحياة.

كولفيل : أولست سرْ جون فالستاف؟

فالستاف : انا رجل بكل معنى الكلمة، يا سيد، مهما تقلّبت الأحوال. فهل تريد أن تسلّم نفسك، أو أحاول القبض عليك بالقوة؟ وهكذا تجعلني أعرق وكل نقطة من عرقي ستكلّف دموع أصدقائك الذين سيندبون موتك ويكون مصيرك. فالأجدر بك أن تحزم أمرك وتستسلم إليّ وتكون تحت رحمتي.

كولفيل : أعتقد أنك سرْ جون فالستاف، وبناءً على ذلك أستسلم اليك.

فالستاف : في بطني مدرسة لغات كاملة، لا عمل لها سوى الهتاف باسمي. ولو كان لي بطن عادي لاعتُبرتُ أنشط فتى في جميع أنحاء أوروبا. لكن كرشي يُثقل همتي... ها هوذا قائدنا العام قادم.

(يدخل الأمير جون وويستمورلند وآخرون).

الأمير جون : انتهى التمرد، ولا حاجة الى متابعة المطاردة. يجب أن تستدعي الجنود، يا ابن عمي الكريم ويستمورلند. (يخرج ويستمورلند). أين كنت، يا فالستاف، طوال هذا الوقت؟ ها أنت عائد بعد أن انتهت جميع المشاكل. أقسم لك بحياتي، ان عود المشنقة سينكسر من كثرة ثقلك، في يوم قريب، ان شاء الله.

فالستاف : سأحزن للغاية، اذا لم يتمّ الأمر هكذا. لقد عرفت دوماً ان التوبيخات والملامات هي دائماً مكافأة أصحاب القِيَم. هل تظنني أُسرع كالزرزور أو كالسهم المنطلق أو كقنبلة المدفع؟ وهل يتسنى لجسمي الضخم أن يسابق الفكر السريع كالبرق؟ لقد بادرت الى المجيء بالعجلة الممكنة لتحركي البطيء، فسبقت أكثر من ثمانين حصان عربة سفر صادفتها في سبيلي الى هنا. وأثناء الطريق لم أحجم عن توقيف سرْ جون كولفيل والإتيان به أسيراً، وهو فارس مغوار وعدوّ ماكر رهيب. لكن، ما العمل؟ فحين شاهدني استسلم اليّ بطريقة تمكّنني من القول مع القائد الروماني الشهير قيصر ذي الأنف المعقوف : جئت، ورأيت، وانتصرت.

الأمير جون : وهذا تمّ بفضل لباقته لا بفضل جهادك.

فالستاف : لست أدري. على كل حال، ها هو ماثل أمامك، أسلّمك اياه، وألتمس من سموّك أن تضيف مأثرتي هذه الى انجازات هذا النهار التاريخي المجيد. وإلّا، بحق السماء، رويت هذا الحدث في قصيدة خاصة نمّقت مطلعها بتعداد صفاتي، وصوّرت في سياقها كولفيل وهو يقبّل رجلي. ومهما يكن الأمر، لن أقصّر

في الاتيان على ذكرك معي وإبراز شخصيّتك الفذّة نظير قطعة عملة جديدة برّاقة. هذا اذا لم أجعل إسمك ينخسف في سماء المجد كالقمر القاتم وسط فلك معتم تظهر فيه أشخاص الكبار كرؤوس الدبابيس، لا قيمة لأقوالهم مهما علوا في سلّم النبل والجاه اذا لم تنظر إليّ بعين العطف والرعاية. وعلى هذا الأساس، أرجوك أن تقدّر جهودي وأن تعاملني بالعدل والانصاف.

الأمير جون : انصافك عسير، أيها المتفلسف الظريف.

فالستاف : اذاً، أرجو أن تعوّض عليّ.

الأمير جون : أنت ثقيل الوزن، والتعويض عليك ليس بيسير.

فالستاف : فما عليك إلا أن تسدي إليّ أي معروف يوازي صنيعي، وسمّه كيفما شئت.

الأمير جون (للأسير) : هل تدعى كولفيل؟

كولفيل : أجل، يا مولاي.

الأمير جون : أنت متمرد مرموق، يا كولفيل.

فالستاف : وقد أسره رجل مشهور بأمانته.

كولفيل : أنا، يا مولاي، على مثال رؤسائي الذين أوصلوني الى هنا. ولو تبعوا نصيحتي لكانوا استسلموا إليك لقاء أبهظ الأثمان.

فالستاف : لست أدري بِكَم باعوه. لكنك أنت وهبت وجودك هنا بلا مقابل نظير فتى عاقل، وأنا أشكرك على تصرفك الرصين.

(يدخل ويستمورلند ثانية).

الأمير جون : هل أوقفتم المطاردة؟

ويستمورلند : أجل، إنسحبنا ووضعنا حدًّا للمجزرة.

الأمير جون : أرسلوا كولفيل ورفاقه الى يورك، لكي ينفّذ فيهم حكم الاعدام حالاً. خذْه، يا بلونت، وضعه تحت الحراسة المشدّدة. (يؤخذ كولفيل). والآن لنعجّل في الرحيل الى البلاط، يا سادة. إذ علمت بأن والدي الملك مريض جداً. وأخبار نجاحنا ستسبقنا الى جلالته وتفرحه، فتنشط صحته. هيّا بنا، يا ابن عمي، انقل اليه هذا النبأ السارّ وسنلحق بك قريباً في مسيرتنا العادية.

فالستاف : إسمح لي، يا مولاي، بأن أمرّ بكلوسستر شاير، وعندما تصل الى البلاط، أرجوك أن تكون أميراً عطوفاً عليّ لدى تقديم تقريرك.

الأمير جون : الوداع، يا فالستاف. بصفتي القائد الأعلى، سأتكلم عنك بطريقة أفضل مما تستحقّ.

(يخرج).

فالستاف (وحده) : كم أودّ أن تكون منفتح الذهن، فذلك أوْلى من دُوقيّتك بذمّتي، هذا الفتى البارد الدم مدهش لأنه يشرب الخمرة. وأمثاله في الصلابة لا يُرجى منهم خير كثير. لأن مشروبهم غير المسكر بالاضافة الى ما يأكلونه من السمك يبرّد دمهم الى درجة أن يصابوا بجمود الرجولة. وعندما يتزوجون ينجبون فتيات نحيلات. وهم في الغالب أغبياء وجبناء، كالعديد بيننا ممّن لا يتعاطون المنشّطات. ان كأساً من الخمرة الجيدة تذهب بكل الحماقات والسخافات والحزازات التي تطوّق المرء وتضايقه وتفعم صدره آمالاً هزيلة وغريبة تتحكّم بتفكيره ولسانه وتولّد فيه مزاجات سخيفة

مستبدّة. أما ثانية فضائل الخمرة الممتازة فإنها تحمّي الدم الذي، قبل أن يبرد، يجعل الكبد أبيض مائلاً الى الشحوب، وهذه دلالة على الغباء والجبانة، كما قلت. ثم ان الخمرة تمنح الدفء والحركة في الباطن الى أقصى مدى. وتنير الوجه كالمصباح وتزيد القوى في جسم الانسان الذي يشبه مملكة صغيرة، وتنبهه الى وجوب التسلّح لدرء التخاذل. عندئذ تلتفّ جميع عناصر الجيش الداخلي في الجسم حول قائدها ألا وهو القلب الذي يزهو بهذا الموكب الحميم ويجرؤ على القيام بالمهارات المرغوبة، وجميع هذه النشاطات ناجمة عن الخمرة المنبّهة. هكذا بدون الخمرة، نرى ان مجمل الأسلحة القيّمة ليست ذات فعالية كبيرة، لأنها هي التي تحرّكها. والثقافة هي أشبه بمنجم ذهب يحرسه ابليس بانتظار ان تستثمره الخمرة وتروّج اعماله وتزيده قيمةً. لهذا السبب نجد الأمير هاري نشيطاً، لأن الدم البارد الذي ورثه عن أبيه بصورة طبيعية هو كالأرض الهزيلة الجرداء القاحلة، لا تصلح ولا تخصب إلّا اذا شربت وارتوت. فتصبح جيدة طيبة. ولو كان لي ألف ولد لما تأخرت عن تعويدهم رفض المشروب الخفيف والتمسك بتجرّع الخمرة الجيدة المسكرة؟

(يدخل باردولف).

فالستاف : ما وراءك من أخبار، يا باردولف.

باردولف : كل أفراد الجيش صُرفوا ورحلوا.

فالستاف : لا بأس من رحيلهم. أما أنا فسأمرّ بكلوسستر شاير

حيث سأزور الفارس الأستاذ روبرت شالو. فلقد عجنته وخبزته وأدرته بسبّابتي وإبهامي، وقريباً سأمهره بختمي. هيا بنا نذهب.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في جناح الملك بقصره في وستمنستر

(يدخل الملك هنري وكلارانس والأمير همفير. وورويك وغيرهم).

الملك هنري: والآن، اذا كُتبتْ لهذا الجدل نهاية سعيدة بعد انهياره عند أبوابنا، سنقود شبابنا الى ساحات قتال أوسع ولن نشهر إلا خناجر مشحوذة. فاسطولنا جاهز وجيشنا مستنفر ولدى معاونينا التفويضات القانونية اللازمة، وكل الأمور تسير على ما يرام. ولا يلزمنا الّا اقدام شخصيّ، ونحن ننتظر عودة المتمردين الذين لا تزال الأسلحة في أيديهم، الى حظيرة الحكومة، والخضوع لأوامرها الشرعية.

وورويك : لا نشك أبداً بأن جلالتك ستحصل على هذه الترضية.

الملك هنري: يا بنيّ همفري كلوسستر، أين أخوك الأمير الشاب؟

همفري : أظن، يا مولاي، انه ذهب الى الصيد في وندسور.

الملك هنري: وهل ذهب شقيقه توماس كلارانس بمعيته؟

همفري : لا، يا مولاي الكريم، انه هنا ماثل أمام جلالتك.

كلارانس (يتقدّم) : ماذا تريد مني، يا أبي ومولاي؟

الملك هنري: انا لا أريد لك إلّا كل خير، يا توماس كلارانس.
كيف لم تذهب بصحبة أخيك الأمير؟ هو يحبّك وأنت تبتعد عنه، يا توماس. ان لك في قلبه منزلة ومودّة خاصة تمتاز عن سائر أخوتك. فأملي ان تصون هذه المحبة، يا ولدي. وبعد رحيلي عن هذا العالم، أرجو أن تكون خير وسيط بين جلالة شقيقك خليفتي وبين سائر أخوتك. فلازمه ولا تهمل محبته ولا تتهاون في الاحتفاظ برضاه عن طريق الفتور والتظاهر بقلّة الإكتراث. لأني أعرف جيداً انه يعطف على من يقدّر رعايته وهو شفوق على من يستحق الاهتمام به وكريم الكفّ، ومثل النور يضيء على أهل البرّ والاحسان. مع ذلك أعرف جيداً انه متى غضب تحجّر قلبه وأظلم مثل أيام الشتاء وعنف نظير رياح العاصفة الهوجاء في نهار ربيعي. فلا بد اذاً من مداراة طبيعته. يمكنك أن توبّخه على أخطائه لكن بلطف واحترام، حين تراه ميالاً للمرح. لكن اذا كان سيّء المزاج فاصبر عليه الى أن تصفو أجواؤه ويهدأ كأنه حوت على اليابسة وقد أنهكه التعب خارج مياه البحر الواسع. إحفظ ما أوصيك به، يا توماس. عليك أيضاً ان تكون مثالاً صالحاً لأصدقائك، وستكون كحلقة من ذهب تجمع بين أخوتك، بحيث يظل وثاق الدم رباطاً لا يتفكّك بفعل تقدّم العمر الذي يصعب تجنّبه متى سرى هذا السمّ العنيف القتّال كالزرنيخ والسريع الانفجار كالبارود.

كلارانس : سأحيطه بكل رعايتي وكل حنوّي.

الملك هنري: لماذا أنت هنا ولست معه في وندسور، يا توماس؟

كلارانس : هو اليوم غائب لأنه ذهب لتناول طعام العشاء في لندن.

الملك هنري: وهل تدري بصحبة من؟

كلارانس : بمعية بوينز ورفاقه الآخرين كالمعتاد.

الملك هنري: أخصب أرض تتعرض للأعشاب الضارّة. وهو أنبل صورة تمثّلني وأنا في ريعان الشباب، لم يسلم من التهوّر. لذلك أنا قلق على مصيره بعد مماتي. قلبي يتفطّر ويقطر دماً عندما أتصّور ما قد يحلّ به من شقاء ومن فساد بعد أن أرقد في مثواي الأخير الى جانب أجدادي. إذْ عندما لن يصدّ تهتكه أي رادع حين سيخلو بنفسه تحت تأثير الغضب وفورة الدم والاحتداد، يوم تمتزج السلطة بالتبذير، الى أين ستطير به أجنحة شهواته وسط الأخطار المحدقة التي ستجرفه الى هاوية المهالك والكوارث.

ورويك : يا مولاي الفاضل، أنت تذهب بعيداً في هذا المجال. فالأمير يدرس الآن طباع رفاقه كأنها مفردات لغة أجنبية. ولكي يمتلك دقائقها لا بدّ له من أن يطلع عليها ويتعلّم أغرب ألفاظها. وحين يتوصّل الى مبتغاه، كما تعلم، يا مولاي، يكون قد أتقنها ليتجنّب أغلاطها. كذلك سيهدي الزمان أميرنا، فيقلع عن عشرة رفاقه كما يتحاشى الكلمات النابية. وذكرى أصحابه ستكون له كنموذج، وكمقياس حيّ يتّخذه سموّه لتقدير سواهم من الأخيار وقد استفاد من خبرته برفقة الأشرار ومن أخطائه الماضية.

الملك هنري: يصعب على النحل أن يغادر المحيط الذي اعتاده، ولو أُلقيت فيه جيفة نتنة... من القادم الى هنا؟ أهذا أنت يا ويستمورلند؟

(يدخل ويستمورلند).

ويستمورلند : السلام على مولاي الملك. كم أتمنى أن يضاف المزيد من السرور الى ما آتيه به من الأنباء المفرحة. الأمير جون ابنك، يا مولاي، يقبّل يديك المباركتين. موبري والأسقف إسْكروب وهاستينكس كلهم خضعوا لما تفرضه عليهم شريعتك. ولم يبقَ من سيف متمرد خارج غمده. لأن السلام عمّ كل مكان وانتشر غصن الزيتون فوق رؤوس الجميع. أمّا كيف حصل هذا النجاح، فجلالتك تستطيع أن تقرأ تفاصيله بتأنّ في التقرير الكامل والمفصّل الذي أقدّمه لك الآن.

(يسلّمه ورقة).

الملك هنري: أنت الطائر الميمون الذي يبشّر بقدوم الربيع، يا ويستمورلند، وفي أواخر الشتاء يغرّد مشيداً بطلوع الفجر كمقدمة النهار الجديد. وها هي أنباء أخرى.

(يدخل هاركور).

هاركور : صانتك العناية الإلهية من غدر أعدائك، يا مولاي. واذا وسْوس لهم الشيطان عضيانك، أتمنى لهم أن يهلكوا نظير من جئت أكلمك عنهم. فالكونت نورثمبرلند ولورد باردولف على رأس العديد من الانكليز والاسكتلنديين قد شتّتهم رجال أمن يورك شاير. أما تفاصيل سير القتال فهي مبيّنة في هذه العجالة.

(يسلّمه أوراقاً).

الملك هنري: ولماذا تنهال عليّ كل هذه الأنباء الجديدة المطمئنة؟

أولا يمنّ علينا الحظ أحياناً بأكثر مما نستحق؟ وهل يكتب السعد كلماته الحلوة بحروف قاتمة؟ أنه يفتح شهيّتنا أحياناً ولا يُلقمنا أي طعام. هكذا هو حال هزيل الصحة. فالحظ يولم المآدب غالباًويسدّ قابليّتنا مثل الغني الذي تضخّمت ثروته ولم يتمتع بما تتيحه له من ملذّات. عليّ اذاً أن أنعم الآن بهذه الأنباء البهيجة. لكني أشعر باضطراب في نظري وبدوارٍ يرهق رأسي. هيا اقترب مني، لأنني أشعر بكثير من الانزعاج.

(يغيب عن الوعي).

همفري : تشجّع، يا مولاي.

كلارانس : ما بك، يا أبتِ؟

ويستمورلند : مولاي الملك، عُدْ الى رشدك، وافتح عينيك.

ورويك : صبراً، أيها الأمراء... أنتم تعلمون ان هذه النوبات أمست مألوفة وعادية بالنسبة الى جلالته في هذا الوضع. أرجوكم أن تبتعدوا عنه لتفسحوا له مجال التنفّس بسهولة. لا بد له من أن يعود الى حالته الطبيعية.

كلارانس : لا يمكنه أن يتحمّل طويلاً هذا الضيق. فالهموم المتواصلة وانشغال ذهنه المرهق بصورة متواصلة قد نالت منه وأضعفت جلَده، فباتت صحته على وشك الانهيار، وراح أجله يزداد دنواً كل يوم.

همفري : رعاياه قلقون على حالته، وقد لاحظوا انهم في هذه المرحلة من عهده، أضحوا أيتاماً فقدوا أباهم، وخرافاً بدون حارس. فالفصول قد تبدلت أجواؤها كما لو كانت السنة قد نامت عدة أشهر ثم اجتازت ما حدث من فراغ بقفزة واحدة.

كلارانس : النهر الكبير اقتبل المد ثلاث مرات بدون انحسار أي جزر متوسط المدى. والأشخاص المسنّون الذين رافقوا الأجيال الماضية ودبّ فيهم هزال التفكير يقولون ان هذه الأمور عينها قد جرت قبل أن يمرض جدّنا الأكبر إدوارد ويموت.

ورويك : أيها الأمراء، تكلموا بصوت خافت، لأن الملك أخذ يستردّ وعيه.

همفري : هذه الصحوة لا بد من أن تكون الأخيرة قبل مفارقة الحياة.

الملك هنري (وقد صحا) : أرجوكم أن تسندوني وتنهضوني وأن تأخذوني الى حجرة أخرى، بكل تمهّل وهدوء.

(يؤخذ الملك).

المشهد الخامس

في حجرة أخرى

(الملك ممدّد على سرير وحوله كلارانس وهمفري وورويك)

الملك هنري: أرجو أن لا يضجّ أحد منكم، يا أصدقائي الأعزاء. مع ذلك أودّ أن يدمدم صوت حنون شجيّ أنشودة لطيفة قرب أذني المتعبة.

ورويك : اجلبوا الموسيقى الى الحجرة المجاورة.

الملك هنري: ضعوا تاجي على وسادتي هنا الى جانب رأسي.

كلارانس : لقد غارت عيناه، وتبدّلت ملامح وجهه كثيراً.

ورويك : خفّفوا الضجة على قدر الإمكان.

(يدخل الأمير هنري).

الأمير هنري : من رأى دوق كلارانس؟

كلارانس (وعيناه تدمعان) : ها أنذا، يا أخي، وقد مزّق الحزن قلبي.

الأمير هنري : ماذا أرى؟ المطر يهطل تحت سقفنا وليس خارجاً. كيف حال الملك؟

همفري : صحته متدهورة جداً.

الأمير هنري : وهل علم بالأنباء السارة؟ يجب أن تُطلعوه عليها.

همفري : وقوفه عليها هو الذي غيّر أحواله بهذه السرعة.

الأمير هنري : اذا كان مرضه ناجم عن الفرح، فلا بدّ له من أن يعود الى وضعه الطبيعي بدون مسعف أو علاج.

ورويك : لا ترفع صوتك هكذا عالياً. لأن والدك الملك بحاجة الى الرقاد الهادىء.

كلارانس : تعالوا ننسحب الى الغرفة المجاورة.

ورويك (للأمير هنري) : تفضّل، يا مولاي، بالانتقال معنا.

الأمير هنري : لا، أريد أن أجلس هنا، وأسهر على الملك. (يخرج الجميع ما عدا الأمير هنري). لماذا وُضع التاج هنا على وسادته؟ هل أضحى الآن رفيق سريره؟ ما هذا التبدّل المستجدّ؟ أهو همّ الذهب الذي يُقصي النوم ويمهّد السبيل لسيطرة ليالي القلق والسهاد؟ وهل بتّ، يا والدي، لا تنام إلّا والتاج بقربك؟ لكن رقادك العميق ليس كالنوم الهادئ الذي كان يريحك برفق في الماضي حين كنت تشخر طوال الليل. يا صاحب الجلالة، إن تشبّثت اليوم بما يصون حياتك نظير درع ثقيل تحتمي به في يوم حارّ يحرقك وهو يزود عنك، فان انفاسك أضحت خفيفة لا تحرّك ريشة اذا وُضعت قرب أنفك. واذا تنفّست، فلا بدّ لهذه الريشة من

الاهتزاز. لكن هذا النوم في الحقيقة ثقيل كأنه سُبات عميق، يا والدي الكريم. وكم من ملوك الانكليز قد فارقوا هذه الهالة الذهبية. انا مدين لك بالدموع وبالآلام التي تدفعني اليها قرابة الدم والطبيعة والحب والحنوّ البنوي، يا والدي العزيز. وما أحفظه لك من المودّة والتقدير يفيك حقّك. أمّا أنت فمدين لي بهذا التاج الأمبراطوري الذي يهبط تلقائياً على رأسي ما دمت وريثك الشرعي المباشر، تبعاً لقرابة الدم كما قلت. (يضع التاج على رأسه). الآن وقد وضعته على رأسي، أسأل الله أن يحفظه عليه. عندما تنحصر جميع قوى الأرض في ساعد جبّار، لن يتمكّن أحد من انتزاع هذا الشعار الوراثي، هذا التاج الذي منحتني إياه، يا أبي، سأحتفظ به وديعة كما تركته أنت.

(يخرج والتاج على رأسه).

الملك هنري (يستيقظ) : ورويك، كلوسستر، كلارانس.

(يدخل ورويك ورفيقاه).

كلارانس : هل ناديتنا، أيها الملك المفدّى؟
ورويك : ماذا تريد، يا صاحب الجلالة؟ كيف حالك، يا مولاي؟
الملك هنري: لماذا تركتموني وحدي هنا، يا سادة؟
كلارانس : يا مليكي، أبقينا بقربك الأمير أخي الذي ودّ أن يجلس الى جانبك ويسهر عليك.
الملك هنري: أين أمير وايْلس؟ دعوني أشاهده. أليس هو ها هنا؟
ورويك : هذا الباب كان مفتوحاً. ولا بد من أن يكون قد خرج الى مكان قريب.

همفري : لم يمرّ أحد بالغرفة المجاورة حيث كنا.

الملك هنري: أين التاج؟ من أخذه من فوق وسادتي؟

ورويك : عندما انسحبنا، يا صاحب الجلالة، تركنا التاج حيث كان موجوداً هنا.

الملك هنري: أخذه الأمير، اذاً. إذهبوا وابحثوا عنه. هو مستعجل للحصول عليه، فظنّ رقادي موتاً. ابحث عنه، يا لورد ورويك، واجلبه الى هنا حالاً. (يخرج ورويك). سلوكه الطائش هذا بالاضافة الى مرضي سيعجّل نهايتي... انظروا، يا أولادي كيف تتصرفون. وكيف تثور الطبيعة الانسانية بسرعة حالما يغريها الذهب. لهذا السبب استفاق الآباء النشيطون من نومهم على أحوال شبيهة بهذه كانت تشغل بالهم وترهق أدمغتهم بما ينتابهم من هموم وما يجلبه عليهم ذهبهم من شرور. لذا كنزوا أكداساً قذرة من الأصفر الرنّان خزّنوها بطرق غريبة. ولهذا السبب ربّوا أولادهم ولقّنوهم شتى المبادئ والفنون ودرّبوهم على أساليب الحرب، ونظير النحل الذي يمتصّ رحيق الزهور العطرة ليضع الشمع ثم يسكب فيه العسل اللذيذ، نحن أيضاً نجمع غنائمنا في مستودعاتنا. ونظير النحل أيضاً تجرّ متاعبنا علينا الموت والهلاك. وهذا بالذات ما يؤلم الأب وهو ينازع عند دنوّ أجله.

(يدخل ورويك ثانية).

الملك هنري (يواصل حديثه) : أين هو هذا الابن الذي لم يشأ أن ينتظر حليفه المرض ليُكمل ما بدأه من الاجهاز عليّ.

ورويك : وجدت الأمير في الحجرة المجاورة، يا مولاي، ودموع

الحزن تسيل على خدّيه، وهو متأثر جداً على أثر المرض الشديد الذي انتابك، كأن خنجراً طعن فؤاده في الصميم. وها هو قادم اليك.

الملك هنري: لكن، لماذا أخذ التاج؟

(يدخل الأمير هنري).

الملك هنري (يواصل كلامه) : ها هوذا هاري قد اقترب. أما أنتم فغادروا الحجرة واتركونا وحدنا.

(يخرج جميع الأمراء والسادة ما عدا الأمير هنري).

الأمير هنري : لم أكن أظن اني سأسمع صوتك ثانية.

الملك هنري: اعتقادك، يا هاري، هو وليد استعجالك. انا تأخرت في الرحيل عنك، وهذا قد أتعبك. هل أنت متشوق هكذا وتوّاق الى خلوّ عرشي، حتى انك بادرت الى حمل تاجي قبل أن تحين ساعتي الأخيرة؟ ما أشدّ هوس الشباب النزق؟ أنت تتهافت على المجد الذي سيسحقك، على ما أرى. انتظر قليلاً، فغيمة سلطتي تكاد تسوقها نسمة هزيلة وسترى السلطة تسقط قريباً بين يديك، لأن أجلي فعلاً قد دنا. فسرقت ما كان أصبح ملكك بعد ساعات قليلة بدون ارتكاب أي جرم. وقبل أن يختطف الموت روحي، ها قد أكدت ظنوني، وسلوكك أثبت لي انك طوال حياتك لم تحبّني بل تمنيت غيابي السريع لتخلفني. وفي ضميرك سننت الف خنجر وشحذتها على قلبك المتحجّر لتطعنني أثناء نصف الساعة الأخيرة من عمري. اذهب واحفر قبري بيديك، واطلب أن تدقّ أجراس الفرح التي تتوق أذناك الى سماع رنينها عند موتي. أتمنّى أن تغدو

الدموع المنسكبة على نعشي بلسماً يريح قلبي. ولا تتأخر عن إهالة تراب النسيان على الحفرة التي ستضمّ رفاتي، وسلّم الدود جثمان من منحك الحياة وربّاك. أطرد قُوّادي الأمناء وحطّم قراراتي الحكيمة. لأن موعد هدم النظام قد اقترب الآن. وها قد توّج هنري الخامس نفسه أمام ناظري. تبًّا لك أيها المهووس ما أعقّك. وليسقط تجبّرك الملكي الأرعن. اليكم عني أنتم جميعاً أيها المستشارون، واذهبوا الى بلاط انكلترا يا قرود التخاذل المتقاطرين من كل بلد غريب. وأنتِ، أيتها الدول المجاورة، تطهّري من أرجاسك، لأن لديك جحافل من الدجّالين الذين يشتمون ويسكرون ويرقصون وينهبون ويتهتكون ليلاً ويقتلون وهم يعربدون ولا يتورّعون عن ارتكاب أشنع المنكرات والموبقات بطرق وأساليب جديدة مشينة. إفرحوا اليوم لأنهم لم يعودوا يزعجونكم بصخبهم. لأن انكلترا أضحت في وضع يتيح لها تنقية أجوائها من هذه الأقذار والأرجاس لأن انكلترا ستفرض سيطرتها وهيبتها وقوّتها في كل مكان، ما دام ابني هنري الخامس سينتزع الكمامة التي كانت تسدّ شدق الدعارة ويفلت الحبل على الغارب لانتشار الفوضى والانحطاط ويفكّ قيد الكلب المسعور الذي سيغرز أنيابه الحادة في جسم الأبرياء. ما أشقاك، أيتها المملكة المسكينة المصابة بمرض الشقاق والتمزّق الداخلي. اذا كانت حكومتك لم تستطع أن تحميك من الفوضى والضياع ماذا يحلّ بك لا سيما اذا أصبحت هذه الفوضى أساس حكومتك. ستعودين كما كنت في الماضي

صحراء تأوي اليك الذئاب سكانك الأصليون.

الأمير هنري (يجثو) : سامحني، يا مليكي. لو عارضتَ تصرفاتي بحزم وصرامة لجعلتني أتجنب هذه الملامة القاسية قبل أن تتكلم وقبل أن تستشيط غيظاً امامي هكذا... ها هو تاجك. أرجو أن يحفظك الله ويصونه لك طويلاً. اذا انا أحببت هذا التاج، فلأني أعتبره شعار شهامتك وسمعتك العطرة. أملي أن لا أنهض من وضعي هذا الذليل إلّا وقلبي المفعم ولاءً واحتراماً لشخصك الكريم يفيض بين حنايا ضلوعي بالتبجيل والخضوع المعلن أمام الملأ لسلطتك وهيبتك. يعلم الله اني عندما دخلت هذا المكان، خيّل الي ان جلالتك خامد الأنفاس ظاهراً، فصعقت لبرودة الموت التي جمّدت الدم في عروقي. وإن كنت لا أفصح عن الحقيقة المجرّدة، فليزهق الموت روحي بسبب إظهاري خلاف ما كنت أضمره في الواقع من تبدّل مريب. عندما اقتربت لأنظر اليك، وقد ظننتك، لا سمح الله، قد فارقت الحياة أو على وشك أن تلفظ أنفاسك الأخيرة، خطرت ببالي فكرة لم أستطع مقاومتها، فدنوت من التاج كما لو كان معدنه يفهم مرامي وخاطبته في سرّي قائلاً : ان الهموم التي تختبئ في داخلك قد أرهقت كاهل والدي، ومع انك من الذهب فحتماً صنفك يبدو من أردأ معدن. ولو تدنّت قيمتك هكذا فيظلّ الذهب ثميناً لأنه الدواء الشافي الذي يصون حياة البشر. لكنك دوماً لامع ومحترم وطيّب الذكر أينما حللت وفي أي زمان كنت، تضني من يقتنيك ويتشبّث بأذيالك.

هكذا، يا مليكي المفدّى، وأنا أتهم التاج بهذه القبائح، حملته على رأسي لأجرّب مفعوله ومظهره، كما لو كان عدواً قتل أبي. وهذه علّة كل وريث عرش في هذه الدنيا. وان كانت ملامسة التاج قد أفعمت صدري غروراً ونفخت نفسي بروح الكبرياء، وإن خامرت ذهني فكرة العصيان والغطرسة وأغرتني سلطة الصولجان بتسرّع، أرجو أن يبعده الله دوماً عن أشواقي وأن يجعلني أحقر أمير أجثو على ركبتيّ أمام عظمتك الحقيقية باحترام وخضوع وامتثال كليّ.

الملك هنري: يا بنيّ، السماء ألهمتك أن تأخذه قبل الأوان لكي تضاعف عطف أبيك عليك، ويسامحك بحكمته ورحابة صدره. إقترب مني، يا هاري، واجلس الى جانب سريري واستمع الى نصائحي الأخيرة، على ما أعتقد، إذْ لن يتسنّى لي أن أكررها عليك. الله يعلم، يا بنيّ، بأية وسائل وأية طرق غير مباشرة بل متعرجة وصلت الى هذا التاج. وأعلم أيضاً ما رافق تثبيته على رأسي أنا من متاعب وصعوبات. لكنه على رأسك أنت سيستقرّ بسلام أكثر واحترام أوفر، لأن مشاكل وصولي اليه ستُدفن معي في ضريحي. لم يظهر، وهو على رأسي، كأنه انتزع بالقوة والعنف. وكانت رؤية أنصاري الأحياء تذكّرني دائماً بما لهم من فضل بمساعدتهم اياي للحصول عليه. وهذا كان سبب نزاعات يومية وصراعات دموية لفرض سلام وهمي. لأن كل هذه التهديدات الوقحة لم أواجهها إلا بتحدّيات خطرة وأساليب لم تكن في أغلب الأحيان

مشكورة. ما دام حكمي كان نتيجة هذه الصراعات بعد اغتصابي السلطة. غير ان الموت قد غيَّر اليوم هذه الوضعية بالنسبة اليك. فما كان في أيامي موضوع شكٍّ وجدل، يؤول اليك حالياً عن طريق الشرعية والرضى، لأنك ترث هذا التاج بموجب قانون الخلافة. مع ذلك، مهما كانت أركان عرشك موطدة أكثر من عهدي، أنت لا تزال هشاً أمام سيل المشاكل التي قد تعترض سبيلك. فجميع أصدقائي الذين عليك أن تسعى الى جعلهم أصدقاءك وتحذرهم، لم يفقدوا أنيابهم وبراثنهم إلا من زمن قريب. فبعد أن رفعوني الى سدّة الملك بجهودهم الرهيبة، ظللت أخشى أن ينقلبوا عليّ ويسلبوني السلطة كما ساعدوني للاستيلاء عليها. ولكي أتلافى هذا الخطر المضني اضطررت الى إعدام بعضهم، وكان في نيّتي أن أرسل الآخرين الى الأراضي المقدّسة لأبعد عني شرّهم المسلّط كالسيف فوق رأسي، خوفاً من أن يسوّل لهم البطر وقلة الانشغال أن يحسدوني على سلطتي ويزاحموني ويتآمروا علي ليحلّوا محلّي على العرش. لذلك عليك، يا هاري، أن تنتهج سياسة تشغل أفكارهم الميّالة إلى العصيان، في حروب خارجية بشكل يحوّل نشاطهم الى التفاعل بعيداً عنك، وينسيهم ذكرى أوائل أيام الحكم. أريد أن أقول لك المزيد. لكن صدري اللاهث لا يدع لي مجالاً للكلام أكثر مما فعل. ألتمس من الله أن يغفر لي أسلوب حصولي على التاج، وأن يتيح لك حمله على رأسك طويلاً بعزّ وسلام.

الأمير هنري : مولاي الفاضل، لقد اكتسبت أنت هذا التاج وحملته

وحافظت عليه، ومنحتني إياه معزّزاً، ووجوده على
رأسي هو حقّ شرعي من الحقوق التي أوليتني إياها.
فكن مطمئن البال، يا أبي، اني سأدافع عنه بكل قواي
ولو حاول العالم كله أن ينتزعه مني فلن يجد الى
ذلك سبيلاً.

(يدخل الأمير جون لنكاستر وورويك ولوردات آخرون).

الملك هنري: اسمعوا وانظروا، هذا هو ابني جون لنكاستر.
الأمير هنري : أتمنى لك الصحة والسلام والسعادة، يا والدي ومليكي المحبوب.
الملك هنري: يا ولدي جون، وجودك بقربي يجلب لي السعادة والأمان. لكن الصحة أخذت تنسحب من هذا الجزع الناشف الذابل. فكما ترى، أوشكت مهمتي الزائلة أن تبلغ نهاية المطاف. أين لورد ورويك؟
الأمير هنري : يا لورد ورويك.
الملك هنري: هل للجناح الذي غبت فيه عن الوعي من اسم خاصّ؟
ورويك : أجل، يدعى القدس، أيها المولى الكريم.
الملك هنري: أشكر الله. اذ لا بد لحياتي من أن تنتهي هناك. لقد ظننت خطأً ان خاتمة حياتي ستكون في الأرض المقدسة. أرجوك أن تنقلني الى تلك الحجرة حيث أودّ أن أستريح. هذا هو القدس الذي أتمنى، أنا هنري، أن أموت فيه.

الفصل الخامس
المشهد الأول

داخل بيت شالو في كلوسستر شاير.

(يدخل شالو وفالستاف وباردولف والغلام).

شالو : أقسم بشرفي اني لن أدعكم تذهبون هذا المساء. (ينادي). تعال، يا دايفي.

فالستاف : لا بدّ لك من أن تعذرني، يا أستاذ روبرت شالو.

شالو : لن أسامحك أبداً. اذ لا عذر لك، ولا مجال للاستفسار لأني لا أريد ان اسمع هذا الطلب، ولن أعذرك أبداً. أين أنت يا دايفي؟

دايفي : ها أنذا، يا سيدي.

شالو : دايفي، يا دايفي... هيا يا دايفي... أجل، هكذا. أيها الطاهي وليم، قلّ له أن يأتي الى هنا... يا سرْ جون، لن أسامحك أبداً.

دايفي : أريد أن أقول لك، يا سيدي، ان لا سبيل الى تنفيذ هذه المهمة. ثم هناك أمر آخر، يا سيدي. أتريد أن نبذر قمحاً تلك الأرض التي تكلّمنا عنها؟

شالو : نعم، قمحاً أحمر، يا ديفي... أما الطاهي وليم... ألا يوجد هنا من حمام صغير؟

دايفي : أجل، يا سيدي... ها هيذا لائحة مصاريف الحدّاد الذي صنع حدوات الحصان وسكّة المحراث.

شالو : إفحصوا مفرداتها وادفعوا له ثمنها... لن أسامحك أبداً، يا سرْ جون.

دايفي : هذا البرميل يحتاج حتماً الى طوق جديد. ثم، هل تريد، يا سيدي، أن تحسم بعض أجر غليوم لتعويض قيمة الكيس الذي أضاعه ذلك اليوم في باحة معرض هينْشكلي.

شالو : أجل، هو مسؤول عنه... لا تنسَ الحَمام، يا دايفي، وزوج دجاج قصير القوائم وقطعة لحم خروف وبضعة لُقَم صغيرة لذيذة. قل ذلك للطاهي وليم.

دايفي : هل سيبقى هذا المحارب هنا طوال الليل، يا سيدي؟

شالو : أجل، يا دايفي. أودّ أن أعامله معاملة حسنة. فما عليك إلّا أن تقابل هؤلاء الناس بالحسنى، وإن كانوا أوغاداً مشاغبين، رغم من يحميهم. وليس مستبعداً أن يضايقوا أحداً منا.

دايفي : أؤكد لك أنهم سيضايقون أنفسهم. لأن ثيابهم الداخلية رثّة للغاية تدل على قذارة طبعهم.

شالو : وجدت علّتهم، يا دايفي. فالتزم عملك.

دايفي : أرجوك، يا سيدي، أن تساعد وليم فايْزور وينْكوت على التغلّب على باركس من التلال القرينة.

شالو : هناك شكاوى عديدة، يا دايفي على فايزور هذا الوغد اللئيم الذي أعرفه جيداً.

دايفي : أوافق سيادتك على أنه وغد لئيم. وأتمنى مع ذلك أن لا يجد أي شقي من يسانده هنا، نزولاً عند طلب صديق. الرجل الشريف يستطيع أن يدافع عن نفسه، أمّا الوغد فلا. لقد خدمت سيادتك بشهامة منذ ثمانية أعوام. فاذا لم أفضّل مرة أو مرّتين أحد اللّؤماء على رجل شهم أكون غير مستحقّ عطفك ورعايتك، يا سيدي. هذا المسكين هو صديقي الشريف، لذلك ألتمس من سيادتك أن تنظر اليه بعين العطف والرأفة.

شالو : هيا، سيكون لك ما تشاء، ولن ينوبه مني أي سوء... فعد الى عملك، يا دايفي. (يخرج دايفي). أين أنت، يا سرْ جون؟ هيا، إخلع جزمتك... ثم هات يدك، يا أستاذ باردولف.

باردولف : أنا سعيد بمشاهدة سيادتك.

شالو : أشكرك من كل قلبي على عواطفك، يا عزيزي الأستاذ باردولف. (للغلام) وأنت أيضاً أهلاً بك، يا صديقي الباسل... تعال، يا سرْ جون.

فالستاف : سألحق بك، يا أستاذي الكريم روبرت شالو. (يخرج شالو). يا باردولف، إسهر على جيادنا. (يخرج باردولف والغلام). ولو قُطّعت إرباً إرباً سأساوي حوالى خمسين شخصاً من أمثال الأستاذ شالو الهزيل. جميل أن يلاحظ الانسجام الموجود بينه وبين أرواح هؤلاء الأشرار. فهم من شدة مراقبتهم إياه أضحوا كالقضاة المتزمتين. وهو من كثر ما تبادَله واياهم من الأحاديث بات يخاطبهم كأنه خادم أحد القضاة. وذهنيّتهم الضيقة متماسكة كشركاء متنافري المصالح يتناغمون

كالأوزات البرّية. فإذا شئت الحصول على أمرٍ ما من الأستاذ شالو، ما لي إلّا أن أتملّق هؤلاء الأشخاص وأنا مقتنع بأنّهم هم وأستاذهم المذكور مجبولون من طينة واحدة. فألاطف الأستاذ شالو وأنا متأكد بأن لا أحد يسيطر أكثر منه على خدّامه. لا غرو في أن الفتنة والغباء هما من الأمراض المعدية. وبالتالي، يجب على هؤلاء الناس أن يحذروا من معاشرة هذه الزمرة. وحين آخذ شالو هذا كنموذج ومثال يتسنى لي أن أُضحك الأمير هنري باستمرار طوال مدة عرض ستة أزياء أي مدة أربع جلسات أو صياغة سندَيْ اعتراف بالديون. ولن يبقى له أي وقت فراغ. هذا هائل. ما أفظع الأثر الذي يتركه الكذب لا سيما عندما يؤيده حلفان كاذب أو مزاح سخيف يلقي برصانة على فتى لم يذق طعم الألم فيصاب رأسه بالصداع، ستراه يضحك حتى يصبح وجهه نظير رداء مبلول لبسه صاحبه على قفاه.

شالو (ينادي من الداخل) : يا سرْ جون.

فالستاف : أنا آتٍ، يا أستاذ شالو. أنا آتٍ.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر ويسْتمنْستر

(يدخل ورويك واللورد كبير القضاة).

ورويك : يا مولاي كبير القضاة، الى أين أنت ذاهب؟

كبير القضاة : كيف حال الملك؟

ورويك : صحّته هزيلة، وقد تراكمت عليه الهموم.

كبير القضاة : أملي أن لا يكون قد مات.

ورويك : لقد سلكت طريقاً خطراً، وبالنسبة الينا لم يعد من عداد الاحياء.

كبير القضاة : كم وددت أن يأخذني صاحب الجلالة معه في هذه الرحلة. لأن الخدمات الكثيرة التي أدّيتها له بكل ولاء، وهو حيّ تتركني عرضةً لجميع الاضطهادات بعد غيابه.

ورويك : أظن في الواقع، ان الملك الجديد لا يحبك كما يجب.

كبير القضاة : أنا عالم بذلك. ولذا استعدّ لمجابهة الوضع الحالي الذي لا يمكن أن يكون رهيباً بالنسبة اليّ أكثر ممّا أتصوّره.

(يدخل الأمير جون والأمير همفري وكلارانس وويستمورلند وغيرهم).

ورويك : ها هم أولاد المرحوم هنري آتون والحزن يكسو وجوههم. ليت لهؤلاء الأمراء الثلاثة صفات أكثر سموًّا من الملك الراحل هنري. فكم من النبلاء حينذاك يحافظون على مناصبهم، إزاء أخلاق كهذه من أردأ المزايا.

كبير القضاة : وأنا أيضاً، أتمنى أن تنقلب الأمور رأساً على عقب.

الأمير جون : نهارك سعيد، يا ابن عمي ورويك.

الأميران همفري وكلارانس : نحن نتقابل كأشخاص فقدوا موهبة الكلام.

ورويك : ونحن نتذكّر ما جرى. لكن الموضوع كئيب، ولا سبيل الى قبول الخطب الطويلة.

الأمير جون : نتمنى السلام على كل حال لمن جعل أيامنا كئيبة.

كبير القضاة : بل نتمنى أن يلازمنا السلام وينجينا ممن يضاعف شقاءنا.

همفري : أجل، يا مولاي العزيز، لقد خسرت صديقاً بكل معنى الكلمة. وأُقسم ان ما يرتسم على محياك من القنوط ليس مستعاراً، بل يدعم الحقيقة عينها.

الأمير جون : مع ان لا أحد يسعه أن يؤكّد ما خصّنا به من امتيازات، لا سيما أنت الذي تترقب أبرد استقبال. وهذا ما يضاعف أساي. أسأل الله أن يجعل الأمور تسير بعكس ما تبدو عليه.

كلارانس : يتحتم عليك الآن أن تحسن معاملة سرْ جون فالستاف وأن تسلك هكذا إتجاهاً يخالف مبادئك وطباعك.

كبير القضاة : أيها الأمراء الأعزاء، ما فعلته قد أقدمت عليه بكل مروءة وبحكم ضميري الحي غير المنحاز. ولن تروني أبداً ألْتمس صفحاً عن بعض هفواتي الطفيفة. اذا كان الولاء وحسن النيّة لا يحميانني، فالأجدر بي أن ألحق بمولاي الملك المتوفّي وأخبره بمن أرسلني اليه.

ورويك : ها هوذا الأمير قد أتى.

(يدخل الملك هنري الخامس).

كبير القضاة : نهارك سعيد، حفظك الله يا صاحب الجلالة.

الملك : هذه الحلّة الجديدة الرائعة الجليلة، لا تناسبني كثيراً كما تظن. يا أخوتي أنتم تمزجون حزنكم ببعض المخاوف. هنا بلاط انكلترا وليس بلد بني عثمان. وأنا لا أشبه ذاك السلطان الذي حين تسنّم العرش قتل جميع اخوته ليتخلّص من مزاحمتهم. فأنا هنري قد خَلَفْتُ والدي هنري. مع ذلك هذا لا يزيل مسحة الكآبة عن وجوهكم، يا أخوتي الأحياء، لأن هذا الحزن يليق بكم ما دمتم تلزمون الحِداد الملكي الذي أودّ أن أحافظ عليه كتقليد مشكور. وأنا شخصياً أحرص عليه في أعماق قلبي، يا أشقّائي الأعزاء. وأقسم لكم اني سأكون لكم في آن واحد خير أب وخير أخ. فأرجوكم أن تحيطوني بمحبتكم، وأنا أخصّكم برعايتي. أجل ابكوا هنري الميت كما أنا أبكيه. لكن هنري الحي سيعرف كيف يحوّل دموعكم هذه الى بسمات.

الأمراء الثلاثة : نحن لا نرجو من جلالتك أكثر من ذلك.

الملك : ما لي أراكم تنظرون اليّ بصورة غريبة؟... (لكبير القضاة) وأنت بنوع خاص، أعتقد بأنك مقتنع بأني لا أحبك.

كبير القضاة : أنا مقتنع، من قبيل العدالة، بأن ليس لدى جلالتك أية حجة لكي تُبغضني.

الملك : كلا. كيف تريد مني أنا الأمير وقد وصلت الى أعلى المراتب، أن أنسى ما سُمْتَني اياه من شتى التحقيرات والتوبيخات والمراقبات والعقوبات حتى السجن لا سيما يوم كنت وريث عرش انكلترا المرتقب. هل

كل هذا بسيط في نظرك؟ هل يمكنني التغاضي عن كل هذه الاهانات ونسيانها هكذا بسهولة كأنها لم تكن؟

كبير القضاة : لقد حللت انا محلّ شخص والدك، لأن صورة حكمه كانت مرتسمة على صفحة حكمتي واستقامتي. بينما في ادارة عدالته كنت انا مكلّفاً برعاية مصالحه العامة، فشئت، يا صاحب الجلالة، أن تتناسى كرامتي وهيبة القانون ونزاهة العدل، وهي في الحقيقة صورة الملك الذي كنت أمثّله. فضربت أنت عرض الحائط بهيبة مقامي كقاضٍ. وأمام هذا التحدّي الذي قصدت به والدك، قمت أنا بواجبي بشجاعة واستخدمت سلطتي وسجنتك. فإن كان هذا التصرف يستحقّ اللوم أَقِلْني الآن وقد انتقل التاج الى رأسك لكي تشاهد قريباً ابنك يعبث بقراراتك ويقتلع جذور هيبة العدل من محكمتك السامية ويعرقل سيرها ويدوس السلطة التي تحمي السلام والأمان حول شخصك الكريم ويشوّه صورة مُلْكك ويهدم انجازاتك القيّمة ويقوّض أركان عدالتك وهي أساس دوام حكمك. راجع فكرك الملكي وضع نفسك في هذا الموقع واختر خط نهجك من هذا المنطلق. كن أباً وتخيّل نفسك انك أيضاً ذاك الابن، وتأمّل الاهانة التي تلحق بكرامتك، وانظر الضرر الذي يتهدّد قوانينك بوقاحة لا تخطر ببال. تصوّر نفسك موضوع ازدراء ولدك وتخيّلني انا القاضي في سبيل الحرص على وقار شخصك وسلطتك اضطر الى معاقبة ابنك. بعد هذا الفحص الدقيق الرصين

حاكمني. وبما انك الملك أعلِن على هذا الأساس ان ما قمت به لا يليق بكرامتي وبشخصي ولا سيما بسلطتك التي أمثّلها، يا مليكي الكريم.

الملك : الحق الى جانبك، لأنك تقدّر الأمور حق قدرها. اذاً، واصل على الدوام حمل الميزان والسيف رمز العدالة والنزاهة. وأنا أتمنى أن تجمع أمجاداً جديدة حول شخصك الى أن ترى لي ابناً يهينك وتخضعه لقراراتك الحكيمة كما كان حالي معك. وأتمنى أن أعيش طويلاً لأكرّر أقوال أبي : « سعيد انا لأن في إدارتي رجل شجاع لا يهاب الفساد ويجرؤ على فرض العدالة حتى على إبني. وسعيد أنا أيضاً لأن إبني يُخضع عظمته لهيبة العدالة ». فلأنك عاقبتني وسجنتني بدون تردّد، أضع السيف القاطع في قبضتك لتكافح الشرّ وقد تعوّدت طويلاً على حمله غير هيّاب سطوة مستبدّ مهما كان متغطرساً. وأوصيك بأن تستخدمه بمثل العدل الجريء المنصف الذي أثبت جدارتك على حمله لحماية مصالح مملكتي. ها هيذا يدي تمتدّ لمصافحتك. فكن أباً لشبابي، لأن صوتي يعلن ما تهمسه في أذني، وأنا مستعد لأن أخضع مشيئتي بتواضع لتوجيهات حنكتك وحكمتك واستقامتك. وأنتم جميعاً، أيها الأمراء، صدّقوني اني استحلفكم كي تحذوا حذوي. فلقد تحمّل أبي نزق شبابي بصبر وحمل آلامه معه إلى القبر. لأنه في مثواه الأخير وأرَى أيضاً عواطفي الصبيانية، وأنا أقتبس الآن بمشقةٍ روح شهامته لأُجابه تحدّيات كل العالم الذي لا تجديه جميع التوقعات ولكي أمحو الأحكام الموضعية التي

صوّرتني في نظر الناس حسب مظاهري المستهترة. لقد تدفق نزف الدم حتى وصل الى هنا بصورة وقحة طاغية. والآن تحوّل مجراه نحو البحر حيث يختلط بالأمواج المتلاطمة ويظل سارياً مع ذلك في هدوء الجلالة والعظمة. سأستدعي حالاً مجلس معاونيّ السامين واختار منهم مستشارين لكي أتيح للهيئة العليا في إدارة دولتي أن تماشي تقدم الأمة من خلال أفضل أحكامها، ولكي يستتب السلم لمنع الحرب، وكلاهما عاملان أليفان حكيمان لا بدّ من المحافظة على التوازن بينهما. (لكبير القضاة). وفي كل هذه التدابير، وأنت بمثابة والدي، ستساعدني على الحكم حسب خبرتك الواسعة وحكمتك السديدة. وبعد تتويجي سأجمع، كما سبق وأعلنت، كافّة أركان الدولة، آملاً أن يستجيب الله دعائي ويعينني على تحقيق أمانيّ، كي لا يظل أمير أو وجيه يسرّه أن يتمنى على السماء أن تختصر يوماً واحداً من أيام حياتي السعيدة، أنا هاري، لأني لا أريد إلاّ خير كل واحد من رعاياي متمنيًّا أن يعيش الجميع في سعادة ورخاء.

(يخرجون).

المشهد الثالث

وسط حديقة شالو عند الغسق في كلوسستر شاير

(يدخل فالستاف وشالو وسيلانس وباردولف والغلام ودايفي).

شالو : هيّا بنا نشاهد أرجاء حديقتي، ونتذوّق تحت ظلال الأشجار تفاحاً لذيذاً من انتاج السنة الماضية، طعّمته انا بيدي، ومآكل أخرى مع كأس يانسون... تعال، يا ابن عمي سيلانس، وبعدئذٍ نذهب لننام.

فالستاف : أرى انك تملك منزلاً جميلاً لا أفخم منه.

شالو : بل لا أحقر منه. كلهم أوغاد، يا سرْ جون. ما أنعم هذا النسيم العليل. قدّم لنا، يا دايفي، ما جهّزته من أطعمة طيبة. هيا قدّمها لنا بدون تأخير.

فالستاف : دايفي هذا يخدمك بأشكال شتى، لأنه خادمك وبستانيّك معاً.

شالو : هو خادم أمين وماهر في الطهي، يا سرْ جون. لقد شربت كثيراً من الخمرة أثناء العشاء. أجل هو خادم صالح. والآن تعال واجلس، يا ابن عمي.

(يجلس فالستاف وشالو وسيلانس الى المائدة).

(يغنّي).

سيلانس : بذمّتي، سنتعوّد على هذا، كما يقال...
... ما ألذّ تذوّق الأطعمة الشهيّة
وشكر السماء على هذه السنة الغنيّة
فيها المآكل وافرة والمرأة ذات العفاف

يتمايل حولها الماجنون كالأطياف،
لنسرحْ ونمرحْ،
ونظل على الدوام في هرج ومرج ومزاح.

فالستاف : ها هوذا انسان مرح يحبّ النكات الطريفة. يا أستاذ سيلانس، أنا أشرب نخبك على هذا الأساس.

شالو : أسكب، يا دايفي، كأس خمرة للأستاذ باردولف.

دايفي (لباردولف) : لذيذة حقاً، يا سيدي. تفضّل اجلس. (يجلس باردولف والغلام الى مائدة أخرى). سأعود اليكما بعد لحظة. هذا لذيذ جداً، يا سيدي. تفضّل اجلس... أيها الغلام النجيب، تمتّع بهذا الجوّ المؤنس، وما ينقصك من المآكل، عوّض عنه بالشراب، أرجوك أن تعذرني. المهم أن تكون مرتاح البال.

(يخرج دايفي).

شالو : لا تحرم نفسك من المرح، يا أستاذ باردولف. وأنت هناك، أيها الجندي، إنعمْ بوجودك معنا.

سيلانس(يغني) :

لنمرحْ ونفرحْ، فزوجتي نظير غيرها من النساء
كل بنات حواء غادرات، صغيرات أو كبيرات على السواء.
القاعة حبلى بالمجون واللُحَى تهتز نشوى بدون حياء
فأهلاً بالأيام الحلوة البهيجة التي تدعونا
الى الطرب والمرح والزهو طوال ساعات ترْوينا.

فالستاف : لم أكن أصدّق ان للأستاذ سيلانس مثل هذا المزاج المرح.

سيلانس : من؟ أنا؟ لقد عاقرت بنت الحان أكثر من مرة في الماضي.

(يدخل دايفي).

دايفي (يضع صحناً أمام باردولف) : هذا صحن من المنوّعات لتتذوّق ما فيه من لذيذ المآكل.

شالو : أشكرك، يا دايفي.

دايفي : أعذرني، يا صاحب السيادة. سأعود اليك بعد لحظة. (لباردولف) هل تريد كأس خمرة، يا سيدي.

سيلانس (يغني) :

كأس خمرة لذيذ يفتح الشهيّة
وأنا أشربها نخب عشيقتي الصبية
لأن القلب المسرور يحب الحياة السخيّة.

فالستاف : صدقت، يا أستاذ سيلانس.

سيلانس (يدمدم) :

لنسرح ونمرح، فها هو الليل قد أقبل،
ومعه أطيب الأويقات من الله نسأل.

فالستاف (يشرب) : هذا نخب صحتك وعمرك الطويل، يا أستاذ سيلانس.

سيلانس (يغني) :

إملأ لي الكأس واعطني لأشرب
فأناجيك وأسامرك حتى الخمرة تنضب.

شالو : أهلاً بك، أيها الشريف باردولف. تبًّا لك. هل تحتاج الى شيء ولا تطلبه مني. (للغلام) مرحباً، أيها المحتال الصغير... ها أنا أشرب نخب الأستاذ باردولف، ونخب كل فرسان لندن.

دايفي : أتمنى أن أشاهد لندن مرة واحدة قبل أن أموت.

باردولف : وأنا آمل أن أراك هناك، يا دايفي...

شالو : بذمّتي، كلاكما تشربان معاً برميلاً من الخمرة... أليس كذلك، يا أستاذ باردولف؟

باردولف : أجل، يا سيدي، في كوب أملأه من إنائين كبيرين الى أن يفرغا.

شالو : شكراً... لذا أؤكد لك ان الوقت سيتشبّث بأذيالك، لأنه كالحصان الأصيل يتعلّق بصاحبه.

باردولف : وأنا سأتمسّك به، يا سيدي.

شالو : هذا كلام ملوكي. لا تحرمْ نفسك ملذّات الحياة، وكنْ مرحاً على الدوام. (يطرق الباب). إذهب وانظر من في الباب... من يطرق الباب، يا هذا؟

(يخرج دايفي).

فالستاف (لسيلانس الذي يشرب جرعة) : أنت تُثبت وجهة نظري.

سيلانس (يغني) :

ضع الحق بجانبي دوماً،
وساندني أيها الفارس يوماً
فلا بدّ لي أن أملك قوماً.
أليس كذلك؟

فالستاف : أجل، هكذا.

سيلانس : نعم، نعم. أعترف بأن الرجل المسنّ لا يزال نافعاً لأمرٍ ما.

(يدخل دايفي ثانية).

دايفي : هذا بيستولي قادم من البلاط الملكي ببعض الأخبار.

فالستاف : من البلاط الملكي؟ دعهُ يدخل حالاً.

(يدخل بيستولي).

فالستاف (يواصل كلامه) : ما وراءك من الأنباء، يا بيستولي؟

بيستولي : حفظك الله، يا سرْ جون.

فالستاف : ماذا جاء بك الى هنا، يا سرْ بيستولي؟

بيستولي : على كل حال، أخباري ليست بسيّئة ولا تزعج أي إنسان. أنت اليوم من خيرة شخصيات هذه المملكة.

سيلانس : أنا أصدّقك، لكن أقلّ من الرجل البدين القابع في ورويك.

بيستولي : ليحمل ابليس هذا البدين الى الجحيم، لأنه جبان خسيس. أنا صديقك، يا مولاي، وقد جئت الى هنا على حصاني بأقصى السرعة لأنقل اليك أهمّ المعلومات وأبهجها، وهي تساوي ذهباً وهّاجاً وتستحقّ الجائزة الكبرى.

فالستاف : أرجوك أن تسردها لي لأشرح بها صدري.

بيستولي : تباً لهذا العالم ولعبيده الأوغاد. أنا أتكلم عن افريقيا وعن أفراح العصر الذهبي.

فالستاف (يلقي الكلمة التالية) :

يا أيها الخيّال الآشوري، ما وراءك من الأخبار؟
عل ملك الغناء أن يعلن الحقيقة المجرّدة.

سيلانس (يغني) :

ها هو روبين هود، مورَّد الخدّين بلقائه حبيبته جيهان.

بيستولي : هل المطلوب من الكلاب أن تردّ على أولاد جبل هيليكون اليوناني؟ وهل يجوز له أن يهزأ هكذا بالنبأ السارّ اذاً، عليّ أنا بيستولي أن أزجّ بنفسي في أتّون المعركة.

شالو : أيها الوجيه الشهم، لا أفهم معنى تصرفاتك.

بيستولي : اذاً عليك، ان تندب حظك.

شالو : أعذرني، يا سيدي. اذا كنت تأتي بأخبار البلاط، أنا أعتقد بأن أمامك حلّين لا ثالث لهما : إمّا أن تبوح بها لنا، وإمّا أن تكتمها عنّا. فأنا هنا أمثل نوعاً ما سلطة الملك.

بيستولي : أي ملك تقصد؟ هل تعني الفتى الطائش؟ تكلّم أو تستحق الموت.

شالو : يقصد الملك هنري.

بيستولي : هنري الرابع أم الخامس؟

شالو : هنري الرابع طبعاً.

بيستولي : تبًّا لخدمتك. إنّ حملك الوديع، يا سرْ جون هو الآن ملك. وهنري الخامس هذا هو رجل الساعة. أنا لا أقول إلّا الحقيقة الأكيدة. واذا كنت انا بيستولي كاذباً، فلا بدّ لي من أن أتحمّل المسؤولية نظير الدّعيّ المخاتل.

فالستاف : ماذا تقول؟ هل مات الملك العجوز؟

بيستولي : نظير وضح النهار والشمس الساطعة، كل ما أقوله صحيح لا سبيل للشك فيه.

فالستاف : هيا نرحل، يا باردولف. أسرج حصاني. وأنت، يا أستاذ روبرت شالو، إخترْ المنصب الذي تريد أن تشغله في هذا البلد، فيكون لك حتماً. أرجو لك المزيد من التوفيق، يا بيستولي.

باردولف : ما أحلى الأيام السعيدة. لن أبدّل ثروتي الطائلة بشهادة أحد الفرسان.

بيستولي : اذاً، الأخبار التي أتى بها جيدة.

فالستاف : خذ الأستاذ سيلانس الى سريره... يا أستاذ شالو،

كن من شئتَ. أمّا أنا فسأظلّ حليف الحظ والثروة. إنتعل جزمتك لأننا سنسافر على ظهور الخيل طوال الليل. وأنت، يا بيستولي الظريف... هيا نرحل، يا باردولف (يخرج باردولف). تعال، يا بيستولي، وزوّدني بمزيد من أحاديثك الشيّقة. واجتهدْ أن تختار ما يناسبك منها... إنتعل جزمتك، يا أستاذ شالو. أنا أعرف جيداً ان الملك الشاب يميل اليّ. خذوا جياد أول الواصلين الى هنا. فإن قوانين انكلترا كلها تحت أوامري، وأتمنى الحظ السعيد لمن كانوا من أصدقائي. والويل للورد كبير القضاة.

بيستولي : دعوا الصقور تنهش رئتيه. أين البهجة التي كنت أرتع بها في الماضي؟ ها هي. فأهلاً بالأيام المرحة.

(يخرجون).

المشهد الرابع

في أحد شوارع لندن

(يدخل رقباء يشدّون المضيفة كويكلّي ودوروثي ترودْرا).

المضيفة : لا، لا، أيها الوغد اللئيم. قبل أن أموت أودّ أن أراك معلقاً بحبل المشنقة. لقد خلعت لي كتفي، أيها الخبيث.

الرقيب الأول : سلّمني اياها رجال الأمن. أؤكد لك أنها ستذوق طعم السياط، إذْ قُتل رجل أو اثنان مؤخراً بسببها.

دوروثي : أنت كاذب أيها المحتال. لعنة الله تنصبّ عليك، يا صاحب الوجه المشؤوم. اذا ولد الطفل الذي أحمله في أحشائي قبل الموعد المنتظر، فالأهون عليك أن تضربَ أُمّك أيها الدجّال.

المضيفة : يا إلهي. ليت سرْ جون كان هنا. لجعل هذه المشكلة قضية دموية. أسأل الله أن لا تأتي ثمرة أحشائها الى هذا العالم قبل أوانها.

الرقيب الأول : اذا حدث ذلك ستقدّم لها أكثر من عشرة مساند. لأنها لا تملك الآن سوى واحد. هيا إتبعاني كلاكما. لأن الرجل الذي ضربتماه، أنت وبيستولي، قد مات.

دوروثي : أصرّح لك، أيها الرجل الهزيل صاحب الوجه المستطيل، بأني سأضربك بعنف لأجل ما سبّبته لها من إزعاج، أيها العقرب السامّ. أقسم لك اني سأضربك ضرباً مبرّحاً.

الرقيب الأول : أصمتي، أيتها الوقحة.

المضيفة : لا بدّ للحقّ من أن يتغلّب على القوّة... ها قد أتى الفرج بعد طول العذاب.

دوروثي : هيا أيها الغبي. خذني الى القاضي.

المضيفة : نعم، تعال، أيها الكلب الجائع النبّاح.

دوروثي : تبًّا لك، يا شبيه الرجال، بل يا أيها الهيكل العظمي المريع.

المضيفة : أجل، انت هيكل عظمي شنيع.

دوروثي : تبًّا لك من هزيل خسيس.

الرقيب الأول : حسناً. سنرى ما يكون من أمركما.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في ساحة دير ويستمنستر.

(يدخل غلامان ويفرشان الأرض بسطاً)

الغلام الأول : دائماً مزيد من البُسْط.
الغلام الثاني : لقد نُفخ البوق مرتين.
الغلام الأول : ستدقّ الساعة الثانية عندما نعود من التتويج... عجّلْ، عجّلْ.

(يخرج الغلامان).
(يدخل شالو وبيستولي وباردولف والمرافق).

فالستاف : عليك أن تظلّ هنا بقربي، يا أستاذ روبرت شالو، لأني أنوي أن أقدّمك الى الملك. سأتطلّع اليه بطرف عيني عندما سيمرّ، وستلاحظ كيف سيرمقني بنظرة عطف.
بيستولي : بركة الله تشملك، أيها الفارس المغوار.
فالستاف : تعال الى هنا، يا بيستولي، وقف خلفي. (لشالو) لو تيسّر لي الوقت الكافي لصنع ثياب جديدة، لكنت فكّرت بالألف ليرة التي أقرضتك اياها. لكن لا أهمية لذلك، وهذا أفضل، لأنه يثبت الجهد الذي بذلته لأراه على هذا الحال.
شالو : ما العمل؟
فالستاف : هذا برهان على حرارة مودّتي.
شالو : فعلاً.
فالستاف : وعلى صدق تفانيّ أيضاً.
شالو : في الحقيقة.

فالستاف : يبدو عليّ اني ركبت حصاني ليلاً ونهاراً، بدون تردّد ولا تفكير، وبدون أن يتسنى لي أن أغيّر ملابسي.

شالو : هذا مؤكد.

فالستاف : ها قد كساني غبار الطريق من جرّاء طول مسافة السفر. فتصبّب العرق من جسمي شوقاً الى رؤياه، وأنا لا أتصوّر إلا هذا الأمر، متناسياً كل ما عداه، كما لو لم يكن لديّ في الدنيا إلا مشاهدته.

بيستولي : دائماً هو ذاته ولا شيء سواه. هذا كل همي في الحياة.

شالو : نعم، بدون شك.

بيستولي : أيها الفارس المقدام، سيحرق الهمّ كبدي وسأنفجر من شدّة الغيظ. ان دوروثي التي تعتبرها كأنها هيلانة طروادة بالنسبة الى تفكيرك السخيف هي الآن نزيلة السجن، وقد جرجرتها اليه أياد ليس أقذر منها. يمكنك أن تتخيّلها كحيّة رقطاء داخل جحرها تفحّ لتنتقم بضراوة. وبيستولي بذاته روى لي ذلك، وأعتقد أنه لا يقول إلاّ الحقيقة الأكيدة.

فالستاف : سأنقذها انا منه.

(تسمع هتافات وموسيقى).

بيستولي : هذا هدير البحر وصوت البوق الذي يصمّ الآذان.

(يدخل الملك وموكبه الذي يضمّ كبير القضاة).

فالستاف : حفظك الله، يا صاحب الجلالة الملك هال. يا صديقي هال العظيم.

بيستولي : اني ألتمس من السماء أن تسهر عليك وتحرسك،

أيها الملك المبجّل، يا ابن المجد الأصيل.

فالستاف : حفظك الله، يا ولدي الحبيب.

الملك (يشير الى فالستاف) : يا سيادة القاضي، أرجوك أن تكلم هذا الوقح.

كبير القضاة (لفالستاف) : هل يحق لك أن تتحدّث هكذا؟ وهل تدري ماذا تقول؟

فالستاف : يا مليكي المعظّم، يا هرقل الجبار، اليك أوجّه كلامي من صميم قلبي.

الملك : أنا لا أعرفك، أيها الرجل المسنّ. يجمل بك أن تذهب وتصلّي. لأن شعرك الشائب الأبيض لا يليق بما تظهره من هوس. لقد أبصرت مراراً في الحلم مستهتراً عجوزاً مثلك غائصاً في السكر والعربدة. لكني عندما استيقظت من النوم ازدريت بحلمي. إجتهد ان تخفّف من الآن وصاعداً انتفاخ بطنك، وأن تضاعف فضائلك. أقلع عن الشراهة واعلم ان تخمتك الدائمة ستودي بك الى القبر قبل الأوان. لا تجبْني بمزاح سمج، ولا تظنّ اني لا أزال كما كنت. لأن الله يعلم، والناس يلاحظون اني طردت من كياني ذاك الرجل القديم وسأطرد عني جميع الذين كانوا في الماضي من أعزّ رفاقي. واذا سمعت اني لا أزال كما كنت عليه من الشطط، تعال اليّ وستعود كما كنت مسبب انحرافاتي وما تملّكني من فوضى. والآن، أنا أبعدك عني وأهدّدك بالموت اذا خالفت وصيتي، مثلما أقصيت عني جميع من أفسدوني. وأحرّم عليك أن تسكن على بعد أقلّ من عشرة أميال من قصري، وأصرّ على تقيّدك بهذا التدبير. أمّا ما خصّصته لك من مبلغ لمصروفك فيصلك

لكي لا تشجّعك حاجتك على عمل الشرّ. ومتى علمتُ بأنك أصلحت سيرتك فعلاً، فبحسب مقدرتك واستحقاقك سأوظفك في شغل يناسبك. (لكبير القضاة) أكلفك، يا صاحب السيادة، بأن تنفّذ أوامري بحذافيرها. والآن لنكمل مسيرتنا.

(يخرج الملك وموكبه).

فالستاف : يا أستاذ شالو، انا مدين لك بألف ليرة.

شالو : أجل، يا سرْ جون، أرجوك أن تعطيني اياها لآخذها الى منزلي.

فالستاف : هذا الآن غير ممكن، يا أستاذ شالو. لكن لا تحزن على ذلك. سيرسل في طلبي بصورة خاصة. هكذا يتظاهر بالتغيير أمام الجمهور، فلا تقلق على ما سلّفتك اياه لأني على استعداد دائم لأخلق منك شخصيّة بارزة.

شالو : لا أرى كيف يتمّ ذلك، إلا اذا أعطيتني ثوبك الأرجواني وحشوتني تبناً. أستحلفك بالله أن تسدّد لي خمسمئة ليرة بدل الألف.

فالستاف : يا سيدي، أنا مصمّم على وفاء وعدي. وما رأيته هنا ما هو إلّا لون واحد من مزاياي.

شالو : لون واحد، يا سرْ جون؟ أخشى أن يصبغك ويطغى عليك لونك الجديد فلا يعرفك أحد من أصحابك.

فالستاف : لا ينشغلْ بالك، ليس هناك من لون يشوّهني. تعال لتناول طعام الغداء على مائدتي. هيا، أيها القائد بيستولي، وأنت أيضاً، يا باردولف. سأُستدعى حتماً هذا المساء باكراً.

(يدخل الأمير جون وكبير القضاة وموظفو المحكمة).

كبير القضاة : رافقوا، من فضلكم، سرْ جون فالستاف الى سجن شارع فليت. وخذوا معه جميع رفاقه.

فالستاف : يا مولاي...

كبير القضاة : لا أستطيع أن أتحدّث إليك الآن. سأستمع الى حديثك بعد برهة. هيا خذوهم.

بيستولي : اذا عاكسني الحظ، راضاني الأمل.

(يخرج فالستاف وشالو وبيستولي وباردولف والغلام وموظّفو المحكمة).

الأمير جون : أقدّر كثيراً تصرف الملك النبيل، لأنه أصرّ على أن يكون جميع رفاقه القدماء من الأقوياء المرموقين. لكنهم كلهم أبعدوا حتى تستقيم أخلاقهم وتظهر للملأ أسمى وأرصن مما كانت عليه في الماضي.

الأمير جون : الملك استدعى أعضاء مجلسه للاجتماع به.

كبير القضاة : فعلاً .

الأمير جون : اراهن على أننا قبل نهاية هذا العام سنحمل أسلحتنا وحماسنا الوطني الى أراضي فرنسا. وقد سمعت أحد المطّلعين يعلن ذلك. وخيّل اليّ ان الملك أعجبه هذا المشروع. هيا تعالوا معي لنرى ما يكون.

(يخرج الجميع).

خاتمة

أولاً، أُبدي لكم خشيتي، ثم أقدّم لكم احترامي، وأخيراً ألقي عليكم خطابي. أما خشيتي فتصدر عن عدم إرضائكم، واحترامي يتجسّم في إكرامكم، وخطابي يشتمل على طلبي عفوكم. فاذا ترقّبتم مني حديثاً رائعاً كنت انا الخاسر. لأن ما سأتلوه على مسامعكم هو من تأليفي أنا، وما سأقوله في الحقيقة أخاف أن لا يكون في صالحي. لكن، في الواقع، ولأجل الصدفة... اعلموا اذاً، وانا واثق بأنكم تعرفون جيداً، اني ظهرت هنا في ختام مسرحية ربّما غير ناضحة لألتمس حلمكم ولأعدكم بما هو أفضل منها. وكنت أنوي فعلاً أن أفي بوعدي ضمن هذه المسرحية. فاذا كان ذلك مني لاسترعاء انتباهكم، فعملي غير موفق، وقد أفلستُ، وأنتم، يا دائنيّ الأعزاء لم تكن من نصيبكم إلا الخسارة الفادحة. فخفّفوا من أعباء ديوني، لأني عازم على أن أسدّد لكم قسماً منها. وكالعديد من المدينين أعدكم بأن أغدق عليكم كنوزاً لا تحصى.

اذا كان حديثي لا يحملكم على تخليص ذمّتي، هل تريدون أن أستخدم رجليّ لأهرب حالاً؟ لكن لا، أكون قد دفعت لكم هكذا بعملة غير رائجة اذا صفّيت ما لكم عليّ من ديون بالفرار من وجهكم. مع ذلك، على الضمير الحيّ أن يقدّم لكم على الأقل

ترضية ممكنة ومقبولة، وهذا ما أنا مصمّم على فعله. جميع النساء اللطيفات الحاضرات ها هنا قد سامحنني. أمّا الرجال فلا يحذون حذوهنّ، وهذا ما لم يلمسه أحد في مثل هذا المجتمع الراقي.

هناك كلمة أخيرة أرجوكم أن تصغوا اليها. اذا لم تتقزّز نفوسكم من اللحم والدسم، فإن مؤلّفنا المتواضع سيكمل هذه القصة حيث سيظهر أيضاً سرْ جون وسيضحككم مع الفرنسية الحسناء كاترين. هنا، على ما أعلم، سيموت فالستاف على أثر خضّة عنيفة، إلّا اذا أقدمتم أنتم على ذبحه بطريقة شرسة. لأن المدعوّ «أولدْ كاسل» قضى شهيداً. وهذا الأخير ليس الرجل المشار اليه ذاته. الآن، وقد كلَّ لساني وتعبت أيضاً قدماي، أتمنى لكم ليلة سعيدة. في خاتمة المطاف، أنحني أمامكم إحتراماً، وأجثو بغية الصلاة لأجل الملكة الكريمة.

تمت مسرحية هنري الرابع

أعمال شكسبير الكاملة

الملاهي

الاول:
العاصفة ـــ سيدان من فيرونا ـــ زوجات وندسور المرحات ـــ واحدة بواحدة ـــ مهزلة الاخطاء.

الثاني:
جعجعة دون طحن ـــ عذاب الحب الضائع ـــ تاجر البندقية ـــ حلم ليلة صيف ـــ كما تشاء.

الثالث:
ترويض الشرسة ـــ العبرة في النهاية ـــ الليلة الثانية عشرة ـــ حكاية الشتاء.

المآسي

الرابع:
تاجر البندقية ــ يوليوس قيصر ــ انطونيوس وكليوباترا ــ هملت.

الخامس:
مكبث ــ روميو وجولييت ــ مأساة كوريولانوس ــ سمبلين.

السادس:
الملك لير ــ تيمون الاثيني ــ تيطس اندرونيكس ــ ترويلوس وكروسيدا.

التاريخيات

السابع:
ريتشارد الثاني ــ ريتشارد الثالث ــ الملك جون ــ بيريكليس امير صور.

الثامن:
هنري الرابع ٢/١.

التاسع:
هنري الخامس ــ هنري الثامن.

العاشر:
هنري السادس ٣/١.